

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإقليم الجنوبي
الإدارة العامة للثقافة

روائع المسرح العالمي

سيرانودي برجرالك

تأليف: ادمون رويستان

ترجمة: عباس حافظ • مراجعة: الدكتور محمد صبري

تقديم: عبدالرحمن صدقي



مقدمة

مؤلف المسرحية

أدمون روستان

حياته وأثاره

قبل أن نتحدث عن مسرحية « سيرانو دي برجراك » ، نرى من الضروري لتوفية النقد الأدبي حقّه ، أن نبدأ بالحديث عن صاحبها « أدمون روستان » ، للعلاقة الوثيقة بين الرجل وأثره .

مولد الشاعر

ولد في بلدة غرّة ابريل عام ١٨٦٨ في مرسيليا .
نشأ على البحر الأبيض المتوسط
الشمس كلما شرقت أو غربت مثل
تار الورد .
كان أول نعمة أصابه ما النعمة الثانية، فكانت نشأته في أسرة من
هواة الشعر والموسيقى، مع سعة الرزق وصلاح الحال، إذ كانوا
من ذلك الفريق من رجال المال الذين لم تقصد مزاوله الأعمال
تدقيقهم للأدب والفن .

قد كان أبوه « أوجين رويستان Eugène Rostand » - قبل أن
يأخذ مكانه في مجمع العلوم الاجتماعية لاشتهاره في الاقتصاد
السياسي - شاعرا ينظم رقيق الشعر، وقد صدر له ديوان أسمر
« ملقى الشعب Sentiers Unis » وفيه يذكر الوالد ولده في أكثر
من مقطوعة ، ومن ذلك اشارته الى مولده بمارسيليا في مشرق
النور على ساحل البحر ، اذ يقول :

« أتذكر كيف كان صبح حياتك بلون الورد ؟ »

ثم يشير الى ما كن يجرى من الرطانة وانهذر على لسان الرضيع
الصغير :

« كلمات يصوغها على هواه »

« وأسماء تصغير لم يسبق اليها سواه »

« يجرى بها ذلك اللسان الصغير العذب ، »

« تلك لغة الجنة ولا ريب . »

ولا ريب في أن الوالد قد اطلع ولده على هذا الشعر ، بعد أن
صار قتي في مقبل النضج ، كما أخذ يطلعه فيما بعد على ما كان
يترجمه عن اللاتينية من تلك الاغاني الغرامية الملتهة التي نظمها
الشاعر الروماني « كاتيلوس Catullus » في أوائل القرن الاول
الميلادي .

كذلك كانت الدار التي ولد فيها، صاحبة بالموسيقى لياليها .
وقد كان عمه على الخصوص من أهل الافئدة بالنغم ، وله في التأليف
الموسيقى عدة من المقطوعات الموسيقية الدينية .

فلا غرو أن يشأ « ادمون رويستان » منذ حداثة العمر على حب
الجمال وتذوق الموسيقى والشعر .

ولما أن حتم القتي بالنجاح سنى الدراسة فى معهد النليسيه
بمرسيليا ، أوفده أبواه الى باريس ليستكمل التحصيل فى معهد
« ستانسلاس Stanislas » ، وهنا تختلف الأقوال فى أمر
الطالب ، ولكن الأرجح فى الظن أنه كان من فريق الحالمين الذين
يذهلهم عن الدرس ازدهار شجرة ، أو بريق قطرة من انطل على
زهرة ، أو تحليق فراشة ، أو قطعة سحب تذهبها أشعة الشمس ،
أو خاطر خيالى يطرأ على النفس . وكان من أساتذة المعهد
الذين درس عليهم البلاغة مؤرخ الادب المشهور « رنيه دوميك
René Doumic » ، وليس عندنا ما نقوله عن أيدم الدراسة هذه ،
لان انذى أفضى إلنا به انقى عنها لايتجاوز اشارات نادرة
غامضة .

ولم يودع القتي باريس بعد توديعه المدرسة ، فقد كان بما
يزوده به أهله من المال فى سعة تكفل له الاستمرار والاستقلال .
فأخذ لنفسه حجرة صغيرة أنيقة فى دار بشارع بورجونى ، وانتظم
فى مدرسة الحقوق ، ولم يبرحها حتى أكمل سننها وتخرج فيها .
ولا أحسبنا فى حاجة الى القول بأنه كان أقل عكوفاً على المراجع
القانونية منه على روائع الشعر والادب منساقاً مع أهواء خياله ،
جارياً وراء أحلامه ، وهو يتصيد فى مطالعته وتأملاته تلك الشوارد
الحائمة فى هدأة الليل فى الغرفة كأنها القرائح يحوم فى هالة النور

حول المصباح . لقد احتواه الادب بأجمعه واستحوذ على كل جوارحه ، ولا عجب في ذلك اذا ذكرنا ما تسابع عليه من فرص التبحر الباكر . فانه لم يكد يتم دراسته ، ويعود الى مرسيليا موطنه ومسقط رأسه ، حتى ظفر من أكاديميتها بجائزة « اليان » على الرسالة التي كتبها عن « القصص العاطفي والقصص الطبيعي » ، فاشاد فيها بفضل ذلك المواطن القديم « أونوريه دي أورفي Honoré d'Urfé » صاحب القصة المطولة الدائمة الصيت التي تعد في أدب القرن الثالث عشر الآية الكبرى لادب الحب ورقة النزل . وتدلتا حملة أدينا الشاب لهذه القصة بالذات على ما هو مركز في طبعه من النزوع الى التأني والتجمل في الشعور والتعيز ، شأنه في ذلك شأن أبناء المدرسة الخيالية المثالية التي تلمس كل شيء بعصاها السحرية ، فاذا كل شيء عليه مسحة ضافية شعرية ، واذا الاشياء كلها مفرغة في قالب الجمال ، ملحقة بعالم المثال .

وما دما قد حرصنا على التيسر الى أن « ادمون رويستان » بحكم ميلاده في مرسيليا يعد من أهل الجنوب بما طبعوا عليه من توقد الخاطر والالمية وحدة المزاج والحيوية ، فلا حجب أن يفوتنا التوبة بأن أجداده من ناحية أمه كانوا أبعد توغلا في الجنوب ، فهم اسبان من أهل قادس . وهذه الوراثة الاسبانية في « ادمون رويستان » تفسر لنا نزوعه الى أن يطلب في الواقع شيئا يفوق الواقع ويملو عليه . ويتمثل هذا بأجلى بيان عند الاسبان في تمجيدهم روح القروسية ، فهي موضع المفضلة والمفاخرة عندهم ، وهي قبل كل

شيء مادة الادب عندهم . والى هذا التمجيد الوراثي لروح
القروسية ، حمل « ادمون روستان » فى دمه من أرض الاندلس
العربية تلك النزعة الى الاستكثار من الاستعارات والتشبيه
والمبالغات ، مع الاطباب والاساع فى الكلام والايان بالآيات بعد
الآيات من البلاغات .

باكورة الشاعر الفنانى

فى عام ١٨٩٠ خرج الى النور كتيب صغير يشق طريقه الى
الجمهور . وكان الكتيب مهورا باسم « ادمون روستان » ، وهو
ديوان شعر يشتمل على مقطوعات صفار من رفاق الاشعار نظم
أكثرها فى باريس وهو يدرس الحقوق ، وكان ينشرها تباعا منذ
عامين فى مختلف المجلات ، وقد جاءت كلها فى نظم جميل منسق
اللفظ ، حسن الوشى ، مستطرف الاخيلة ، لا يخلو من الاغراق
فى اللطافة واطهار الرقة والنظرف . وقد اختار الشاعر لديوانه هذا
العنوان : Musardises وهو يعنى - كما يقول فى مقدمته - عبث
البطالة ولغو الصبا وأضغاث الاحلام .

واتفق بعد أشهر معدودات من ظهور ديوان الشاعر ، أن كان
زواجه بشاعرة من شوارع عصره ، هى الأنسة « لويز روز -
اتين Louise Rose-Etienne المعروفة باسم « روزموند
جيرار Rosemonde Gérard » ، وكانت قد سبقته الى
نشر ديوان لها باسم « المزامر Pipeaux » ، وكانت موضع التقدير

عند الشعراء ومنهم « ليكونت دي ليل Le Comte de Lisle »
الذى اختصها بمكان أثير . ولم يعض عام على زواج الشاعرة
بالشاعر حتى أنجبا « موريس Maurice » الذى سار فى أثرهما
ولحق بهما فى زمرة الشعراء كأنما أورثه أبواه موهبة الفن فيما
أورثاه ، وهكذا كُتبت باكورة الشاعر مزدوجة .

ونعود الى باكورة الشعر لنقول انه من غير الجائز أن تتطلب
من ديوان شاعر فى العشرين من عمره ما تشده عند الاساتذة
الكبار من قوة الاقدار وعمق القرار . ومع ذلك فتحسن تبيين فى
هذه الاشعار مخايل تلك السمات الجوهرية والصفات الاساسية التى
هى قوام المزاج الشعرى الذى قامت عليه فيما بعد شهرة ادمون
روستان . فمن وراء ذلك التظاهر بالقصور وقلة الاهتمام تترامى
نفس الشاعر مقتونة بالمثل الاعلى ، وكأنما تتعزى عما حولها من
القبائح المتبدلة بالاستغال بالاوهام والاستغراق فى عالم الاحلام .
وهو كثيرا ما يستهل القصيدة بنعمة جليلة رائدة ، وينتهي بشكامة
مازحة ومداعبة هازلة ، ثم كثيرا ما تتحول العاطفة المتأججة الى
ابسامة مترددة حائرة تتحول بعدها الى نكسة ساخرة . وهذا التدخل
المستمر من الرقابة العقلية التى يفرضها الشاعر على الدواعى القلية
والتوازع العاطفية مما يحير العقل ويبلبل الخاطر ، ويجعل للشعر
ذلك الطعم الحلو المر الذى يحمد فى بعض الفاكهة وأنواع من
الخير . ويضاف الى ذلك ، تلك البراعة فى الصناعة والحذق فى
النظم ، هذه القوافى الفاخرة ، وهذا التنوع فى الاوزان ، وهذه

الثروة اللفظية التي لا تقدر . كل هذه الخصائص التي لم تدرك في حينها عند ظهور الديوان ، ولم تقدر حق قدرها ، هي عينها الخصائص التي عاشت مع الشاعر واستوفت نموها ، حتى بلغت على المسرح في آخر الامر غاية ما يتطلع اليه شاعر من النصر .

ثورة على الادب الواقعي

وكانت الغلبة على الادب والمسرح وقتئذ للمدرسة الواقعية ، فاذا هي تتجاوز القصد وتخرج عن الحد في تصويرها للواقع . فلم تقتصر على اقضاء الخيال والاحلام من عالمها الواقعي ، بل ذهب غلاتها الطبيعيون الى تجاهل ارادة الانسان وفكره ووجدانه ، بدعوى أن تصرفات الناس مرهونة بما ركب فيهم من الطبائع الوراثية ، وما هم خاضعون له من مؤثرات البيئة ومطالب الحياة المادية ، مما يجعلهم مسيرين بحكم ذلك الجبر الطبيعي المحتوم . وقد كان من معقات ذلك ما يؤخذ على المدرسة الواقعية الطبيعية من أنها في جميع آثارها الادبية تسقط من حسابها فكرة الخير والشر ، ولا تلقى بالا الى الاعتبارات الاخلاقية ، بل تظهر الانسان في مستوى غيره من الحيوان وتجعل أمره كله للفرائز الحيوانية ، كما أنها لا تدخل في حسابها العناية الالهية وسائر ما يتصل بالايمان الديني والوحي الوجداني .

وكان يقسم المسرح مع الواقعية الطبيعية مؤلفو المسرح الشمالي في ضيابه واكتابه ، وفي طليعتهم « ايسن Ibsen » الترويجي . وكان يقابلهم مقابلة الاضداد ذلك الفيض المعتاد من الملامى الحاجة الممتلئة

بالإباحية والخيانة الزوجية • وتوسط الفريقين تلك التمثيلات
الجادة ، ذات الفكرة الهادفة على طريقة • اسكندر ديماس الابن •
بجعلها المنطقى ومناقشتها الحادة •

وهذه الفنون على اختلافها تتصل من قريب أو بعيد بالحياة
الواقعية في مستوياتها العادية ، فلا جرم يستولى القصور شيئا فشيئا على
الجمهور من ناحيتها ، لطول عهده بها ، وألفته لها في الحياة
نفسها ، وهو لا جرم يحس بالشوق التزايد الى ما يخرجها من هذا
الجو الارضى ، ويعلو به على كثافة المادة ووطأة الاسر الجسدى •

ومن ثمة لم تلبث المثالية أن عادت الى الفن بأنواعه : عادت
المثالية الى التصوير في لوحات • أوجين كارير *Eugène Carrière*
الذى كان مع التزامه للواقعية يعرف كيف يفيض على كل ما يحيط به
من الكائنات الحية والجامدة فيضا مما يكه قلبه من الحنان الدافق
وما يعمر به عقله من الافكار العميقة ، وذلك عن طريق ما يصطنعه
من التصرف فى الاوضاع ، والزيادة والنقص فى الاضواء والظلال ،
وبالجملة اضافاته غلالة من أحلامه وشاعريته على تصاويره •

وكذلك كانت الحال فى الموسيقى ، فقد عادت اليها المثالية فى
معزوفات فاجنر الذى كان الفن والدين عنده صنوين لا يترقان ،
كما يشهد بذلك كل من استمع الى دراماته الموسيقية ، سواء كانت
« خاتم نبلونجين *Nibelungen* » التى أدارها على الالهة الاساطير
الشمالية ، أو « بارسفال *Parsifal* » الدراما الدينية المسيحية التى
ليس لجمالها المثالى ونقاها الروحي نظير •

ومثل ذلك يقال في عودة المثالية الى الشعر ذي الانعام
والمعاني الطوقة الغامضة في «فرلين Verlain» وأتباع المذهب الرمزي،
والى فن القصص الذي يكاد يخلو من الوقائع والمادة القصصية
ويقصر الامر فيه - كما هو الشأن في روايات «بيير لوتي
Pierre Loti» - على الانطباعات النفسية .

فلا غرابة اذن في أن تعود المثالية الخيالية للتألق تحت الانوار
المسرحية ، على يد شاعر مثل «ادمون روستان» اجتمعت له كل هذه
الآهية من المزايا الشعرية اللازمة للاضطلاع بهذه المهمة ، ولا غرابة
أن نراه ترسخ على هذا المسرح قدمه، ويزداد - مع التمرس والمران -
تمكنا من فنه ، فيتعاظم شأنه ويتعالى نجمه ، حتى أصبح منذ
ارتفع الستار عن «سيرانو دي برجرانك» علما من أشهر أعلام
المسرح الشعري .

المسرح الشعري

ونحن لاشك نذكر ما كان للشعر من السيادة على المسرح
والاستتار به في القرن السابع عشر بفضل مسرحيات المايقرة الثلاثة
من الرواد الأوائل المبدعين : كورنيي وموليير وراسين ، كما نذكر
بعد ذلك ما كان للشعر في أوائل القرن التاسع عشر عقب المعركة
الرومانتيكية على المسرح من النصر الباهر المين الذي طبق الآفاق
دويه الصاحب الى حين ، ولكنه لا يسعنا مع ذلك الا أن نذكر الفترة
التي أعقبت تلك الحقبة ، وما توصف به من انصراف الناس عن
المسرح الشعري فيما عدا القلة ممن بقوا على وفائهم للشعر .

وكانت الروح الوضعية التى تقدم بنا وصفها هى السائدة المسيطرة على الفكر فى هذه الفترة ، وقد ظل المسرح خاضعا لها مدى خمسة وعشرين عاما . ولكن المثالية فى أتماتها لم تفقد جميع حقوقها ، فقد عادت المسرحية الشعرية الى المسرح تظهر عليه فى الحين بعد الحين ، لتهز قلوب الفرنسيين الذين أفقدتهم الهزيمة المنكرة ومعقاتها المادية والخلقية فى الحرب السبعينية ايمانهم بالقيم الروحية . ويلاحظ على المسرحية الشعرية التى عادت ، أنها عادت مجردة من المبالغات الرومانتيكية ، ولكنها عامرة بالسمو الروحى ، حالية بالكارم الخلقية ، وقد كان لبعض هذه المسرحيات نصيب من النجاح الباهر عند الجمهور .

ومن مؤلفى هذه المسرحيات الشعرية « هنرى دى بورنييه Henri de Bornier » وبعد من تلاميذ فيكتور هيجو ، وقد أخرج بعد نكبة فرنسا فى حرب السبعين مسرحيته الوطنية « ابنة رولان La fille de Rolland » التى تجرى حوادثها فى عهد شارلمان ، وهى درس قاس للخونة ، ومعرض للإيمان القوى بالوطن واليقين بمصائره ، ويرجع ما قبولت به المسرحية وقتئذ عام ١٨٧٥ من التقدير والرواج العظيم الى تجاوبها مع حالة الشعب المعنوية فى ظروفه السياسية .

وأما معاصره « فرانسوا كوبيه François Coppée » فيرجع نجاح مسرحياته الى جزالة شعره وقوة شخصياته ، ومن أشهر هذه المسرحيات « سفرو تورلى Severo Torelli » التى عرضت

عام ١٨٨٣ ، وتدور على حرمة القسم الذى أقسمه ثائر شاب بأن يقتل طاعية يزا « برنابو سينيولا Barnabo Spinola » ، ثم لا يلبث القتي أن يعلم من أمه أن هذا الطاعية والده ، ومع ذلك يأبى الحث يمينه ويصمم على ائزال النعمة بالطاعية المستبد أيا كان . ولكن الام تسبقه الى ذلك ، حتى تجنب ولدها ارتكاب الجريمة الشنيعة ، جريمة قتل الوالد بما فيها من المخالفة النكراء للطبيعة .

ولكن هذا الجو المظلم المتجهم لم يكن من طبيعة شاعرة المرسيلي الشاب « ادمون رويستان » الذى كان غذاؤه الروحى فى صباه - الغذاء المحب فوق كل شئ سواه - هو « الفريد دى موسىه » الرومانتيكى فى « حكايات من اسبانيا وايطاليا » ، و « الفريد دى موسىه » ذا الخيال اللعوب والهزل المضحك الغريب فى « أغنية القمر » ، و « الفريد دى موسىه » المتطرف السائل ، المتألق الهندام ، المتحذلق الكلام فى مسرحية « قيم تحلم الصبايا ؟ » و « لا مزاح مع الحب » ، وأخيرا « الفريد دى موسىه » انشكسبرى فى « لورنزا سيو » مع الاحتفاظ بما تقدم من خصائص « الفريد دى موسىه » الشعرية التى تجعل السورة العارمة العاطفية أقرب الى فورة الشامية المتلاثلة الفرنسية .

ونحن فى توكيدنا هذه الروحية لـ « ألفريد دى موسىه » لا نعبر عن رأينا الشخصى وحده ، ولا نعتمد على آراء المعول عليهم من اعلام النقاد المتخصصين وحدهم ، بل نصدر عن سريرة صاحب الشأن الاول « ادمون رويستان » نفسه ، الذى أقضى فيما رواه لنا عن « غرفة الطالب » فى الصدر من ديوان شعره بهذا التصريح الشعرى :

شكرا لك ، أنت يا من عمرت رأسي بالاحلام الحسان
أنت يا من كانت يدك الخفيفة العابرة تدس لي في الرق
سوأنا طالب صغير في المعهد -

كتب الشعر من كل محرم محظور
مما نظمه الشعراء من كل عظيم مشهور
أنت جعلتني أقرأ في الخفاء شعر « دى موسيه » ..

باكورة الشاعر المسرحي : « اهل الخيال »

ولم يلبث هذا التلميذ الروحي لالفريد دى موسيه أن انصرف
عن الشعر الغنائي الذي كان ينظمه في صباه ، وتطلع الى المسرح .
وكان قد سبق له الاشتراك مع زوج أخته الشاب في تقديم ملهه من
نوع القودفيل اسمها « القفاز الاحمر Gant rouge » لمسرح
« كليني Cluny » حيث مثلت في أغسطس عام ١٨٨٨ ، فلقاها
« فرانسيسك سارسي Francisque Sarcey » شيخ النقد المسرحي
في ذلك الحين بكلمة في تعقيباته الصحفية قال في مستهلها :
« قدم لنا مسرح كليني ملهه من نوع القودفيل في أربعة فصول
للسيدين « هنرى لى » و « ادمون رويستان » ، وكلاهما في حداثة
السن ومستهل العمر ، وقد حرص القائمون بالامر على أن ينهوا
الى علمنا انها أولى محاولتهما ، ولا ريب أن جرمهما كان يكون كبيرا
لو أنها المحاولة الثانية ! » .

وتجن تضرب صفحا عن هذه المشاركة المسرحية الباكورة ، لنجمل

بدء الكلام عن « ادمون رويستان » الشاعر المسرحى ما نعتبره أول مسرحياته ، وهى كوميديا من ثلاثة فصول اختار لها شاعرنا عنوان « أهل الخيال Les Romanesques » وقدمها الى مسرح الكوميدي فرانسيز ، فكان عرضها الاول فى الحادى والعشرين من مايو سنة ١٨٩٤ ، ولا يتسع المقام هنا للتعرض لها بالتحليل والشرح الطويل ، فنكتفى فى شأنها بأن نجعل فى التعريف بها واجمال وصفها الى ما قدمناه فى التعريف بالشاعر ووصف ديوانه من النزوع الى التائق والتطرف وتحري الطرف واللطافة .

وحسبنا أن نذكر هنا أن بطل هذه المسرحية هو الجدار الفاصل بين بيتين لأسرتين ليس لهما من أمنية غير زواله لى تتصل الارضان ، ويعيش الجاران فى هودة ووثام ، ولا سبيل الى ذلك الا بالمصاهرة . ولكن الفتى والفتاة Sylvette et Percinet من أهل الخيال السابحين فى الاحلام ، المتأثرين بقصص الحب والهيام ، وهما من أجل هذا يتسكرا لهذا الزواج الذى يرغب فيه الوالدان . فيعمد الوالدان الى التظاهر بكراهة أحدهما للآخر أشد الكراهية ، ويزيدان فيما بينهما من الحوائل . وعندها ينقلب الامر ، ويضطرم الحب بين الفتى والفتاة ويمعلان على تقويض الجدار الفاصل بين البيتين . ولكنهما بعد أن زال ، لا يلبثان أن يدركهما الملل من هذه الحياة المطردة فى سعادة وراحة بال . ولما كانا من أهل الخيال ، فلا جرم أن يعاودهما الحنين الى أحلام الشوق وعذاب الحرمان ، فيعاد بناء الجدار كما كان ، ولكنه لا يلبث أن يزال للمرة الثانية والاخيرة ، حين ينزل

بهما من الخطوب ما يردهما الى صوابهما ، ويفتح عينهما على ما للواقع
الحقيقى من قيمة ، وما فى الركون اليه من طمأنينة .

وهذه المسرحية فى موضوعها وأسلوبها وشخصياتها تذكرنا
لا محالة بمسرحية « فيم تحلم الصبايا A quoi rêvent les
jeunes filles » للفريد دي موسيه « الى الحد الذى لانشك معه
فى أن « آدمون رويستان » كان يحفظها عن ظهر قلب .
وقد نجحت المسرحية فى نطاق محدود ، أى أن نجاحها كان
مقصورا على الذين اعتادوا ارتياد مسرح الكوميدي فرانسيز
والاختلاف اليه ، ولم تعد الى اجتذاب غيرهم .

الاميرة البعيدة

ويرتفع فن « آدمون رويستان » طبقة فى سماء المثالية مع « الاميرة
البعيدة La Princesse Lointaine » تلك التمثيلية
الشعرية التى استعار موضوعها من اسطورة من أساطير القرون
الوسطى عن حياة شخصية تاريخية هى السيد الشاعر « جوفرى
روديل Jaufré Rudel » من شعراء الاقليم الجنوبى « البروفانس »
المتجولين الذين اشتهروا بانشاد القصص والغزل فى القرن الثانى
عشر ، والمأثور عن ذلك الشاعر أنه رحل مع من رحلوا فى الحروب
الصليبية عام ١١٤٨ . وتروى الاسطورة انه كان قد استهوى خياله
واستولى على وجدانه ما كان يتناقله الركبان من التجار والحجاج
الى بيت المقدس ، ويجرى منهم على كل لسان ، من الحديث
المستفيض الخلاب عن أميرة طرابلس الشام « مليسند Mélissinde »

فى روعة جلالها وسحر جمالها وسائر ما كان يتغنى به الواصفون
من شمائلها وخصالها . فأخذ ينظم الاشعار اثر الاشعار فى « الاميرة
البعيدة » التى كان خيالها يلزمه ليل نهار ، ولا يفتأ يذكرى لواعجه
ويقض عليه مضاجعه .

وأخيرا لم يستطع الشاعر عنها صبرا ، وأبحر الى سوريا على
ظهر سفينة أعدها ، متجشما للمكاره كلها ، متعرضا لثورة الرياح
العاصفة ، وسطوة البرابرة القراصنة ، مصطحبا معه امام المصلى
«تروفيم Trophime» والصديق الحميم «برتران دالامون Bertrand
D'Allamon» فلما أن رست السفينة ، وبلغت به الارض البعيدة ،
أرض الحبيبة المعبودة ، كان الشاعر العاشق من شدة الاعياء والمرض
يعانى سكرات الموت ويحضر فى آخر النزاع . فمضى برتران « نيابة
عنه الى الاميرة يلتبس منها عيادة شاعرها المستهام العابد . فلما دخل
عليها انقصر ، حسبته الشاعر فى أول الامر ، وتعلق به قلبها على
الفور . فأسرع الصديق الى تعريفها بنفسه ، ولكنها استمسكت بحبه ،
وأبت الحضور الى الشاعر المحتضر ، واسترسل برتران لهذا الهوى
وخارت مقاومته ، ولكن الهوى لم يلبث أن غلب عليه العقل .
واستجابت الاميرة الى رجاء الصديق فتبعته الى حيث كان الشاعر يجود
بأنفاسه الاخيرة . وقد كانت هذه اللمحة كافية لاسعاده ، وفى هذه
النشوة القصيرة أسلم الشاعر العاشق روحه بين يدى الاميرة . وفى
اللحظة التى قضى الشاعر فيها نجه ، افترق الاثنان من بعده ، فدخلت

الاميرة الدير حيث انقلعت لله ، ومضى برتران متطوعا الى ساحسة
الجهاد متطلعا للبذل والفداء .

وإذا كان « ادمون روستان » قد تصرف فى الرواية الاسطورية
كما شاء له رأيه وهواه عند نظمه لهذه التمثيلية ، فقد فعل ذلك متعمدا
ليتجه بها وجهسة رمزية . فإذا « الاميرة البعيدة » ذات الجسمال
هى الرمز للمثال الاعلى الذى نحلم به وننشده ، ونسعى اليه ونطمح
فى بلوغه .

ولكن ، ما أكثر ما تقوم دون ذلك العقبات الاهوال . وبعض
هذه العقبات المعترضة يأتى من ناحية المثال الاعلى نفسه ، فهو لا يخلو
من التفرير بمن يعشقون ومخادعتهم وكأنه موكل بتعذيبهم ، بل هو
أحيانا كالمولع بتخيب رجائهم حتى ينقلب أحيانا فى أعينهم على خلاف
الصورة المثالية الماثلة فى أذهانهم . وجملة القول انه شئ يسهل
الحلم به ، ويعسر البلوغ اليه ، ويكاد يكون فى حكم المستحيل
الاستئثار به والاستيلاء عليه . ولكن « الاميرة البعيدة » - كما رأينا -
تقبل آخر الامر على عاشقها ، لتطبع قبلة على جبينه وشفتيه قبل أن
يموت .

والمعنى المراد بهذا أن عاشق الجمال فى صورته المفرغة فى قالب
الكمال ، يفنى حياته كلها فى طلب المثال الذى يعد طلبه ضربا من
المحال ، ومع ذلك يموت العاشق وهو فى أتم الرضى والغبطة ، لانه
- وهو يموت - ظفر بلمحة من هذا الجمال فى صورته المفرغة فى
قالب المثال ، وان يكن ذلك لم يتجاوز الللمحة فى آخر لحظة .

هذا المحب أسعد السعداء ، انه ينشد الحب العظيم ، وكل حب عظيم ينشد السماء ، وقد أظفرت السماء منها باللمحة المنشودة .

ولقد كان حفل هذه المسرحية « الاميرة البعيدة » من النجاح أكثر من سابقتها منذ أول عرض لها على مسرح الرئيساس في الخامس من ابريل سنة ١٨٩٥ ، وقد كمل نجاحها ولاريب قيام المثلة الشهيرة « سارة برنار » بتمثيل دور الاميرة ، والى جانبها الممثلان الشهيران « لوسيان جيتري Lucien Guitry » و « دى ماكس Max » في دور الشاعر ورفيقه برتران .

بيد أنه لا بد لنا مع ذلك من التنويه بما لهذه المسرحية من القيمة الذاتية . فالمسرحية هذه المرة تقدمت تقدما ملحوظا محسوسا فى صيغة الحوار ، كما تعددت المشاهد المتقنة المؤثرة واشتدت فيها الحركة . وفوق ذلك ، كشفت لنا هذه المسرحية عن جانب جديد فى الشاعر يفوق فى سموه ورفعته ما سبق أن جادت به قريحته . ذلك أن « الاميرة البعيدة » قصيدة من قصائد الايمان والجهاد والاريفية . ثم هى على الرغم من منحها الرمضى ما برحت دراما حية كسائر الدرامات . فان بطلتها فى جوها الاسطورى تتصرف مع ذلك تصرف المرأة بما جبلت عليه من المتناقضات والاندفاعات والتردد والضعف ، الى جانب الاخلاص الرائع ، والتفانى العجيب ، والذهاب فى التفكير الى حد التضحية وانكار الذات فى حماسة واصرار رهيب . كذلك البطل الشاعر ورفيقه ، فكلاهما مفتون بالمشال على طريقته :

وكلاهما مع ذلك يزاحم الآخر عليها ، وكل هذا في محيط من حماسة الفروسية والخصية الدينية والسورة العاطفية .

هذه الخصائص كلها - مضافا إليها ما ذكرناه للشاعر من الثروة اللفظية والتأنق في العبارة وجزالة القوافي وبدع الأخيصة - هي بعينها الخصائص التي بلغ الشاعر ذروتها العليا بعد سنتين في « سيرانو دي برجراك » Cyrano de Bergerac ، وهي الآلية التي فاق فيها نفسه ، وفتن بها أهل عصره ، فكانت أجمل توديع للقرن التاسع عشر ، وأجمل استقبال للقرن العشرين .

مولد مسرحية عظيمة

بين المسرحيتين « سيرانو دي برجراك » و « الاميرة البعيدة » ، مشابه جد قريبة ، تجعلنا نرى أميرة الشرق الصليبي - كما صورها « ادمون رويستان » في المسرحية السابقة - ماثلة وراء شخصية « روكسان » في هذه المسرحية اللاحقة ، وكذلك نرى « جوفري روديل » شاعر القرن الثاني عشر في اهاب « سيرانو دي برجراك » شاعر القرن السابع عشر .

ويمعزنا القاريء اذا ضربنا صفحا عن ظهور « السامرية la Samaritaine » بينهما ، وهي من القصص الديني الذي لا يتفق لمثل « ادمون رويستان » في ملكته الشعرية أن يحسن تأدية ما ينطوى عليه النص الانجيلي من الجلالة والبساطة . ونحن لا نستبعد أن يكون تقديمها على مسرح الرئيساس يوم الجمعة

المقدسة فى الرابع عشر من ابريل سنة ١٨٩٧ قد جاء متأخرا على
تأليفها .

ولقد روت لنا زوجة الشاعر كيف كان مولد سيرانو دى
برجرالك فى باريس فى المنزل رقم ٢ بشارع فورتونى Rue Fortuny
ولا يزال المنزل قائما حتى اليوم ، وهو منزل متواضع صغير ، يخيم
عليه صمت كثير ، ويرين عليه شعور التوتر الذى يعاينه صاحبه
المجتهد القلق فى عمل متصل غير قرير . فهذا رجل البيت يدخل من
غير سلام ولا كلام ، ويجلس من غير تفكير فى الجلوس ، وينظر
فى الصحف دون أن يقرأها ، ويهرم - بلا قصد الى غير حد -
شاربه ، وهو شاخص البصر الى الحائط الذى تكسوه ستارة عليها
نقوش تمثل الاوراق العريضة لشجر الكستناء ، أبو فروة ، وهذه
بذرة الشاحبة تسطر فى حركة محمومة الكثير من السطور ، بخط
منضم صغير ، ثم تلقى فى صرامة بالكثير من الاوراق الممزقة فى سلة
المهمات . ثم جلسات الاكل الصامتة على المائدة ، وهذه الاعتذارات
عن الدعوات ، وهذه الفترات من أزمات اللباس المتواضعة ، وهذه
العودات الى العمل فى شجاعة متجددة . ولكم من مرة غادر
« ادمون رويستان » فجأة مجلس سمر ، أو مشهدا من مشاهد الفرجة
أو احتفالا بعيد من الاعياد ، وهو يقول ، وقد ازداد وجهه شحوبا :
« أنا عائد الى دارى .. انى متعب » . وينصرف فعلا وعليه سيماء
الاعياء كمن كان فى سفر شاق طويل . وهكذا كان يأبى على نفسه

الترفيه عنها وتسليتها ، بل كان كل حرصه على تركيز همها وحصر جهودها على العمل الذى هو سبيله . كان يكره أوقات الفراغ والبطالة . كان يهرب منها الى البيت معجلا ، وكان داعيا دعاء ، فاذا احتواه البيت ، لم يأت - وهو المتعب كما يدعى - الى الفراش أو يتهالك على مقعد ، بل يتجه من فوره الى منضدة الكتابة ، ويعمد الى القرباس والقلم ، كأنهما الدواء الذى لا بد منه على عجل ، لما به من الداء . ثم يستغرق فى حلمه . لقد كانت الراحة تتبعه ، وكان العمل فى التعبير عن حلمه بالقلم هو سبيله للاستراحة من الراحة . وهكذا كانت تمضى الايام اثر الايام ، والشهر بعد الشهر ، وهو عاكف على مسرحيته ، يمدحها من دم قلبه ، وينث فيها الروح من روجه ، ويخلع عليها من بدائع خياله ، حتى تحققت معجزة الخلق ، وكان مولد « سيرانو دى برجرارك » على ذلك المثال الرائع العجيب الذى تتعاقب عليه الاجيال وهو ما يزال يهز النفوس ويسمو بالروح ويفتن الخيال .

شخصية « سيرانو دى برجرارك »

كانت المسرحيات الثلاث قبل « سيرانو دى برجرارك » قد أكسبت شاعرنا بعض الشهرة ، فهو عند النقاد الشاعر الرقيق الخلاب والمؤلف المسرحى البارع . ولكن موسيقى شعره العذبة التى كان يطرب لها العارفون كانت أصواتها أرق جرسا ، وأنجل جرما ، من أن تفرغ أسماع الجمهور . كذلك شخصياته كان طابع الروائية

الخيالية جد ظاهر عليها مما لا يتأتى معه صدق التأثير بهما ودوام الحماسة لها .

أما هذه المسرحية فقد دخلت على شعرها الموسيقى المجلجلة التي طال الالامد فى انتظارها بعد أن رفع عقيرته بها « كورنىي Corneille » فى مسرحيته الاسبانية « السيد » ، وبعد أن تفنن فى ترديدها « هيجوه » فى مسرحيته الرومانتيكية « هرمانى » . ولم تقف هذه الموسيقى المجلجلة هنا عند الصناعة الشعرية ، بل تمثلت فى حوادث المسرحية وتجسدت فى أشخاصها ، وبخاصة فى شخصية بطلها . بل ان هذه الشخصية التي أبدعها شاعرنا عجيبة رائعة فى ذاتها ، فهي ما كادت تطلع على المسرح حتى اجتذبت اليها النواظر ، واستحوذت على المشاعر ، واستبد سحرها بالناس فتعلقت الانفاس ، وأرهفت الاسماع لتلقف كل لفظ وخاطر أجراه الشاعر على لسان بطله . والسر فى ذلك أن البطل « سيرانو دى برجرارك » شخصية تشير الاعجاب والعجب والضحك والاشفاق والمرنية جميعا .

لقد أودع « ادمون رويستان » فى بطله - وهو مثله شاعر - شجاعة القلب وعلو النفس وألمية الفكر . ولكن القدر الساخر أبى الا أن يتدخل فيفسد المنه وينقص المتعة على الزميل الشاعر . فقد رزى « سيرانو » بأنف عظيم شوه طلعته ، وجعله عند السفهاء عرضة للتنادر والاستهزاء ، كما فوت عليه الخطوة عند النساء وحرمه نعمة الحب المتبادل . فلا جرم أن تولدت من هذا التناقض بين مظهر ذلك البطل ومخبره تلك الحال النفسية التي جرى الاصطلاح فى علم

النفس الحديث على تسميتها « مركب النقص » ، فهو دائم التحدي
بالقول وبالفعل ، يشهر سيفه للمناجزة في كل مناسبة ، ويعرض
بلاغاته في كل مناظرة ومخاطبة .

وعلى هذه الصورة نشهد في الفصل الاول من مسرحية « سيرانو
دى برجراك » - أول ما نشهد - دار بورجيني Hôtel de
Bourgogne التي اتخذت منذ القرن الثالث عشر دارا للتمثيل في
باريس ، ونحن وقتئذ في عام ١٦٤٠ ، والدار تحتشد بالتفرجين ،
وهم خليط من الناس ، من فرسان وأشراف ، وسادة وسيدات من
طبقة العلية الارستقراطية ، وتجار من الطبقة الوسطى .
البرجوازيين ، وقد اندس بين مجموعهم بعض النشالين . وبعد
طول انتظار ، تدق الدقات الثلاث على المسرح ويرتفع
الستار ، وعند ارتفاعه يطرق الاسماع عزف على المزمار ،
ويظهر العازف وهو الممثل الاول المشهور « مونفليري Montfleury
ضخم الجثة في ثوب من ثياب الرعاة ، وعلى رأسه قبعة مزدانة بالزهر
مائلة على أذنه ، وهو ينفخ في مزمار مزدان بالشرائط الحزيرية
الملونة ، فلا يكاد الممثل الجسيم يستهل الايات الاولى من كلمات دوره
التمثيلي ، حتى يرتفع صوت جهوري يسكته ، انه صوت سيرانو ،
وكان قد حظّر على الممثل أن يظهر على مسرح التمثيل مدة شهر ،
وكانه صاحب النهي والامر ، فيحتج الحاضرون ، ويستصرخ الممثل
من بينهم الفرسان والاشراف ولا من معين ، وان كانوا جميعا
ساخطين ، وأخيرا يتقدم منهم شريف شاب ليسخر منه ، فلا تسعفه

البديهة ، فيتولى ذلك عنه سيرانو نفسه ، ليظهره على عجزه ، ويفضح
 فيه وخمول ذهنه أمام الملائكة . ويطيل سيرانو في صفة أنفه الطويل ،
 مخترعا في السخرية به أبداع التشايبه ، حتى يبهت الكل من بلاغته
 وفيض قريحته . فلما يتم له الظهور على خصمه من الناحية البلاغية ،
 يعمد الى الظهور عليه من ناحية الفروسية . فيدعوه الى المصارعة ،
 متعمدا أمام الملائكة أن يرتجل أثناء ذلك أسودة ذات مقاطيع ، وانه في
 ختام كل مقطوعة يصيب الشريف الفطريف على الرغم من علمه بهذا
 التنبيه وأخذة الالهة له . وتجرى المصارعة على هذه الصفة بين دهشة
 الجميع واعجابهم .

وإذا كان المؤلف قد حشد في هذا الفصل - بين جموع
 المتفرجين في دار بورجونى للتمثيل - جميع أبطال القصة رجالها
 ونسائها . فان هذين الموقفين يعدان أبلغ تعريف بطلها الاول
 « سيرانو دي برجراك » .

وكان سيرانو في قرارة نفسه منطويا على مثل العبادة لاحدى
 الاواس الحاضرات ، وهى ابنة عمه الجميلة المهذبة الفاضلة
 « روكسان » ، ولكن عرفانه بموضع التشويه في سحته أوجب عليه
 كتمان ذلك الحب على عمقه وشده . أما هى ، فقد تعلق قلبها بالفتى
 الجميل كрستيان ، ولكن الفتى كان دونها فى جودة القريحة وخلاصة
 البيان ، ويشفق عليها سيرانو من صدمة الخيبة فى فتى أحلامها ،
 فيبلغ من حرصه على سعادة من يحبها ، أن يتغلب على غريزة الانانية
 ويرضى التضحية ، فتسمح له نفسه أن يعير غريمه العيى فى رسائله

بلاغة بيانه وفيض مهجته وجنانه ، وأن يسعفه في موقف المناجاة تحت
الشرفة بطلاقة لسانه وحضور ذهنه وسرعة خاطره وخياله ، ليرتاح
إليه قلب روكسان ويتم رضاها به .

ولا يلبث كرستيان أن يلقي مصرعه في حصار « أراس » الذي
اشترك فيه هو وفتيان غسقونيا ، وعلى رأسهم سيرانو دي برجرالك ،
ضد الأسبان ، فتعزل روكسان في الدير ، ويظل سيرانو يتردد
عليها زائرا .

ويقدم سيرانو عليها في مساء يوم من أيام الخريف ، وهو يتحامل
على نفسه ، مخفيا عنها الجرح المميت الذي أصابه في رأسه . فتلقى
إليه آخر رسائل كرستيان ، تزكية لما يرى من فجيعتها عليه . فإذا
سيرانو يقرؤها في نبرة بلغت من التأثر غايته . ثم تزيد عتمة المساء
وهو ماض في التلاوة ، فتحين من روكسان التفاتة إليه ، فإذا الرسالة
مطوية ، وهو يؤدي ما فيها عن ظهر قلب . وعندها تدرك روكسان
أنه هو ناظم هذه الرسائل الحارة الصادقة ، وصاحب هذه العواطف
النبيلة العالية . ويكون قد نال منه الجهد فيموت بين يديها ، ولكنه
يموت وهو قائم يفاخر ، وسيفه شاهر ، وقد طافت برأسه ذكريات
المعارك التي خاضها في سبيل الحق والعدالة والعظمة . وها هو ذا في
اللحظة الأخيرة ، وقد غام عقله ، وزايله وعيه ، فهو يضرب الهواء
بسيفه زاعما أنه يقاتل الباطل والنذالة والتمصب ، حتى يفلبه ضعفه ،
فيفلت السيف من كفه ، ويترنج ، ويسقط ميتا ميتة البطل في
معركة الشرف .

حقيقة « سيرانو دى برجراله »

ومما هو جدير بالذكر ، أن بطل المسرحية له وجود حقيقى ، وليس شخصية محض خيالية ، فقد عاش فعلا فى القرن السابع عشر شاعر ومؤلف مسرحى اشتهر بهذا الاسم ، وقد التزم ادمون رويستان فى مسرحيته أن يقدمه لنا على حقيقة صورته . فان ذلك الانف الاقنى العظيم كمنقار العقاب المعقوف الذى يحمله « سيرانو دى برجراله » وتزدان به سحته ، هو أنف طبيعى من صنعة الله ، وليس للمؤلف المسرحى فضل فى ادعائه والذهاب الى ابتداعه . ثم هذه المسارعة الى المبالغة للحفاظ على كرامته ومنها عدم الاشارة الى أنفه مع ما كان فى المبالغة من التعرض للموت مرتين ، احدهما الموت بحكم القانون الذى كان الوزير الخطير « ريشليو » قد استصدره بحظرها وجعل الاعدام عقابها ، والموت الآخر على يد الخصوم الذين كانوا يتجاوزون أحيانا العشرة ، وقد بلغوا ذات مرة المائة ، فان هذا جميعه لا يعدم سندا من الاسانيد التى جاءت فى شهادة الشهود من معاصريه ورواة أخباره ، وان تجاوز بعضها الحد الى المبالغة والسرف . وكذلك كل ما عرضته المسرحية من أنه جرى منذ أكثر من جيل ، فى دار « بورجونى » للتمثيل ، بين الشاعر الفارس سيرانو والممثل البدين مونفليرى . ومن وراء ذلك حالة الحرب التى كانت قائمة بين الفرنسيين والاسبان لاسيما أثناء ما يسمى فى جملته بحرب الثلاثين ، فان هذه المشاهد الحربية مستمدة بطبيعة الحال من المصادر التاريخية ، الا أنها لا تخلو من التلفيق كلما اقتضت ذلك

من المؤلف ضرورة التنسيق ، والمأثور عن « سيرانو » أنه لحق
بالجيش في فرقة من فرق الحرس كلها من فتيان غسقونيا بقيادة
الضابط الغسقوني « كاربون دى كاستل جالو Carbon de Castel
jaloux » وهي الفرقة التي اشتركت في معركة « موزون Mouzon » في
سهول « شامباني Champagne » ضد الكرواتيين من الجيش
الإمبراطوري الألماني ، ولكن مؤلف المسرحية أبى - وهو يعرض
جسار الفرنسيين لمعقل « أراس Arras » الذي كان في يد
الإسبانيين - إلا أن تكون الفرقة الموكلول إليها حصار الأسبان هي
تلك الفرقة من فرق الحرس المؤلفة من فتيان غسقونيا الشجعان ،
بل ذهب به التعصب لاهل الجنوب أن جعل بطل المسرحية
« سيرانو » من أبناء غسقونيا مع أنه من أبناء باريس حيث ولد في
« شارع البابين Rue des Deux-Portes » ويعرف اليوم
« بشارع ديسو Rue Dussoubs » في السادس من
شهر مارس عام ١٦١٩ . ولا عبرة بما جاء في اسم سيرانو من
النسبة الى برجراك من أقاليم غسقونيا ، فقد كان اسمه « سافنيين
Savinien » وكان أبوه « قابيل دى سيرانو Abel de
Cyrano » يملك في وادي شفريز على مقربة من باريس ضيعة
كانت لاسرة غسقونية من برجراك ، ثم باعها وسكن في باريس ،
فأبى الفتى الآن يستمسك على الاقل باسم القصر والضيعة اللذين
كانا لاسرته في يوم من الايام ، فتسمى « سيرانو دى برجراك » .
أما الذي يرجع للمؤلف المسرحي وحده كل الفضل في ابتداعه

واختراعه ، ويشهد بخصب قريحته وسعة خياله وطول باعه ، فهو
 غرام « سيرانو » الكظيم اليأس بآنة عمه « روكسان Roxane
 ووضعه مواهبه كلها وعلى رأسها سيف الفارس وبلاغة الشاعر - فى
 خدمة الحب المتبادل بين معبودته فى كمالها والفتى الجميل كروستيان
 والواقع أن هذا جميعه لا نصيب له من الحقيقة الا فى شئ واحد
 لا يمدو أن سيرانو كانت له ابنة عم ، ولكنها لم تكن تسمى
 « روكسان » بل « مادلين روبينو Madeleine Robineau »
 ثم انها كانت تكبره بتسعة أعوام ، كما أنها تزوجت سنة ١٦٣٥
 بالبارون « نفيليت Neuville » وعلى اثر وفاته اعتزلت الدنيا وعكفت
 على العبادة والعمل للآخرة وانقطعت لله . ويضاف الى ذلك أن
 سيرانو كان فى عنفوان صباه يغشى الحانات ، يعاقر خمرها ويراد
 فتياتها الساقطات ، كغيره من الشعراء والمجان من أهل الفن ، وفيما
 عدا ذلك كان قليل الاحتفال بالنساء ، فلم يشتهر بعلاقة نسائية ، ولم
 ترو عنه مغامرة غرامية ، وقد أصابه فى حصار « موزون » وحصار
 « أراس » طعنة نفذت فى صدره ، وأخرى حزت فى عنقه ، مما
 اضطره الى التزام الهدوء والنظام فى عيشته . وأخيرا لم يكن
 صاحبنا ممن يرتجلون الاشعار والمقطوعات الغنائية القصار ، وكل ما
 يؤثر عنه مقطوعة واحدة Sonnet من المقطوعات ذات الأربعة
 عشر بيتا نظمها تحية للكنيسة العذراء ابنة « الدوق لويس دى ارباجون
 Louis Duc D'Arpajon » وأكبر الظن أن نظمه لها لم يكن تشبيها
 بها بقدر ما كان استرضاء لابنها الذى كان يرعاه ثم تنكر له وغضب

عليه ، فجعل الشاعر يلتمس الوسيلة لاستبقاء المودة أو على الأقل استثناء القطيعة فجعل اهداء رسائله وتراجيديته « أجربين Agrippine » إليه ، وهذه التراجيديا تكاد تكون كل ما وقع لنا من شعر الشاعر ، وقد زعم الزاعمون أن أشعارها كانت عرضة للسطو من كورنيل العظيم الذى انتحل فى مسرحياته بعض معانيها ، بمسد الزيادة والتحسين فيها ، وفيما عدا ذلك كانت كتابات سيرانو كلها نثرا ، وتشتمل على كوميديات ورسائل ومحاورات ورحلات خيالية للقمر تارة وللشمس تارة أخرى ، وهى حافلة بأفانين الاختراع والدعابة والسخر ، وعليها جميعا طابع الشك الذى هو جدير بمن تتلمذ على الفيلسوف « جاسندى Gassendi » وعاش فى عصر ديكارت .

ويذكر مؤرخو الادب فى حديثهم عن سيرانو أن مؤلفاته المذكورة أفاد من دراستها فولثير وسويفت وأمثالهما ، كما اقتبس مولير أكبر مؤلفى الكوميديا من ملهاة سيرانو المعروفة بـ « المتعالم المخدوع Pédant Joué » ، فى عام ١٦٥٤ مشهدا فى مسرحية « خبائث سكان Fourberies de Scapin » ، يعدونه أبدع مشاهداتها .

بيد أن « سيرانو دى برجراك » قد يحمد لزميله المتأخر « ادمون رويستان » أنه - مع تجاوزه الحقيقة فى أمره - قد أخرج اسمه من نطاق حلقات الدرس المحدودة الى عامة الناس أجمعين من رواد المسارح فى أقطار العالمين .

انتصار على غير انتصار

ومن العجيب أن ادمون رويستان حين قدم النسخة الخطيئة

المسرحية « سيرانو دى برجرارك » الى صاحبى مسرح « باب سسان مارتان » لم يلق منهما كلمة قبول خالصة . فقد تعلل صاحب المسرح بما تتطلبه مناظرها وملابسها التاريخية من كلفة لا طاقة لهما بها ، فأدى المؤلف متضامنا مع أبيه معاونة مالية قدره سائة ألف فرنك مما يدل على وثوقه من نجاحها .

وأخذت التجارب التمثيلية تجرى مجراها لاجراج المسرحية ، فإذا الجو فيه الكثير من السحب المظلمة القائمة بجاهد أن تقيم على الكثير من الانوار المشرقة الباسمة . وظهر كالعادة من الاغبياء السخفاء من جعلوا يحبذون بتر هذه المقطوعة أو تلك واقترضاب هذا المشهد أو ذاك ، باعتبارهم أخبر من سائر الخبراء وأحسن فهما للمسرح من جميع من هناك ، وهذه الممثلة الاولى « ماريا ليجو Maria Legault » لا ترتبط بأداء دور « روكسان » الا فى الافتتاح ، اذ كانت فى سريرة نفسها لا تقدر أن يكون لهذه المسرحية نجاح ، ثم هذا التردد قبيل التمثيل فى شراء بعض « السجق » والفطائر ليساعد مظهرها الطبيعى الى جانب الزائف المصطنع من الكثرة المعروضة من أمثالها ، على جعل مطعم الشواء فى الفصل الثانى يترأى للناظرين أقرب الى الواقع الحقيقى . وقد روت زوجة المؤلف الشاعرة أنه فى ليلة التجربة التمثيلية الاخيرة لاقى ممثل عند خروجه صحفيا بادره بالسؤال عن المسرحية ، فلم يزد الممثل على أن قال : « زعاف » دون أن تسبقها كلمة « سم » كأنه حكم معروف مفروغ منه .

وفى وجه هذه السخافات والنذالات والغيرة والحسد وسسوء

النية ، صمد مؤلف « سيرانودى برجراك » ، كأنما كان مقدرا له أن يحاربها على مسرح الدنيا حقائق مجسمة فى مستهل حياته ، كما قدر لبطله أن يحاربها على مسرح التمثيل أشباحا مترائية ساعة مماته .

فلما حل يوم الافتتاح فى ٢٨ من ديسمبر عام ١٨٩٧ ، اذا بالمؤلف مزعزع العقيدة فى مسرحيته ، وقد أخذ وثوقه فى نجاحها ينهار حين أرف موعده رفع الستار . وبلغ من غلبة الشك عليه فى قيمة عمله الأدبية أن علا وجهه الشحوب فجأة وترقرقت فى عينيه الدموع ، واذا به يلقي نفسه بين ذراعى الممثل الأول « كوكلان Coquelin » القائم بدور « سيرانو » هاتفا : عفوك يا صديقى ، سامحني أن قد جررتك فى هذه الورطة .

وارتفع الستار عن الفصل الاول ، فاذا التصفيق بعد قليل يدوى شديدا ، ويتكرر عند كل مشهد ، بل عند كل مقطوعة . وظلت الحال على هذا المنوال فى الفصول التالية . فلما نزل الستار آخر الامر على ختام الرواية ، هب المتفرجون وقوفا يصفقون ويهتفون فى نشوة وجنون ، وقد أنستهم نشوة الحماسة أن الساعة قد دقت الثانية بعد منتصف الليل .

وصدرت جميع الصحف فى اليوم التالى ، وطوال الأسبوع كله ، تلمح بالمرحبة وتطريها فى غير قصد ولا تحفظ ، معلنة أنها دون منازع آية العصر وبدعة البدائع . وكان على رأس نقادها المسرحيين شيخهم « فرانيسك سارسى » Francisque Sarcy

الذى كتب فى صفحته المسرحية فى جريدة «الطان» يقول: «ان يوم ٢٨ ديسمبر عام ١٨٩٧ سيقبل فيما أعتقد يوما ماثورا فى تاريخ المسرح الفرنسى . فقد رزقنا فيه الشاعر ورجل المسرح معا . فما من شك فى أن « سيرانو دى برجرالك » عمل فنى بديع الجمال ، وقد بلغ نجاحه الحماسى من الروعة أننا لا نجد له مثيلا يقرن به ويذكر الى جانبه ، الا اذا رجعنا عشرات السنوات الى ما رواه لنا شهود العيان فى وصف ما كان من حفلات مسرحيات «فكتور هيجو» . ومسرحية اليوم زاخرة بمقطوعات البسالة والحمية ، والاسترسالات الخطابية المثالقة ، والموضوعات التى يعاد تناولها والتصرف فيها بالاضافة والتفصيل والتتويج والافتتان فى مستويات رفيعة شعرية . وهذا كله أخرجه الشاعر مخرج المشاهد المسرحية ، لأنه مؤلف مسرحى موهوب هذا الشاعر الذى ظفرنا به ووضعنا يدنا عليه » .

ومن الجائز أن نذهب الى أبعد من ذلك ، فنقول : ان هذا الانتصار الذى تحقق على غير انتظار لمسرحية «سيرانو دى برجرالك» يفوق كل انتصار سابق ، فان انتصار مسرحية « السيد لكورنى » قد عكر صفوه وكدر أفراحه سخط الوزير «ريشليو» عليها ، وما استتبعه ذلك من النقد المعتدل الذى وجهه المجمع الفرنسى لها ، وحملات أهل الملق الجائرة ، وموقفهم الشائن ضدها . كذلك كان انتصار مسرحية « هرنانى » لفكتور هيجو مقترنا به ذلك الشجار المشهور الذى نشب فى دار التمثيل نفسها بين أنصار التجديد وأهل المحافظة والتقليد .

و هكذا بين عشية وضحاها أصبح اسم « ادمون رويستان » أشهر

الاعلام فى فرنسا ، ومثلت مسرحيته طوال عام ١٨٩٨ حتى ليصح
للمؤرخ أن يسمى ذلك العام « عام سيرانو » . وقد استتبع ذلك
شيوع اسم « سيرانو » ، فأطلقوه على طراز من القبعات ، وعلى
الحلوى ، وعلى المثلجات ، وغير ذلك كثير ، حتى كاد يصبح
« سيرانو » كل شيء .

ولم يقف شيوع هذه المسرحية عند تخوم فرنسا ، بل سرعان
ما ترجمت الى الانجليزية والايطالية والالمانية والروسية وسائر
اللغات الأوروبية ، ومثلت على المسارح فى جميع القارة الأوروبية ،
بل تعدتها الى القارة الأمريكية وأنحاء العالم كله .

وقد شهدا فى مصر رواد المسرح المصرى منذ سنوات فى
ترجمتها العربية الأولى بقلم « سيد قدرى » ، وكان اخراجها على
يد المرحوم « عزيز عيد » ، وقام بدور البطولة فيها المرحوم « جورج
أبيض » .

ونعود الى المسرح الفرنسى لنقول انه منذ أن أطلع « روستان »
على الناس « سيرانو دى برجرانك » أنساهم ما تقدم من مسرحياته ،
على الرغم من قيام « ساره برنار » بتمثيل دور البطولة فى بعضها .

وبعد عامين أخرج شاعرنا فى ١٥ مارس عام ١٩٠٠ مسرحية
« النسر الصغير » عن الحياة التعسة التى قضاها ابن نابليون
عند الامبراطور « فرانسوا الاول » جده لأمه فى البلاط
النسوى ، تحت رقابة الوزير « مترنيخ » عدو أبيه . وقامت بدور
النسر الصغير « ساره برنار » ، فكان من أدوارها المشهورة الخالدة

أصحیح أن هذه الكوميديا كما يقول « اميل فاجيه » ، « فاتحة عصر جديد » — أو فاتحة ما هو دون ذلك من الاحقاب والمذاهب — مثل مسرحية « السيد لكورنى » ، و « اندروماك لراسين » ، و « مدرسة النساء لموليير » ، و « مفاجأة الحب لماريفو » ، و « زواج فيجارو لبومارشيه » ، و « هرنانى لفكتور هيجو » ، و « ذات الكاميليا لاسكندر ديماس » ؟ ان أكبر الظن عندى أن قيمة هذه الكوميديا الشائقة هى أنها — دون أن تفتتح جديداً — قد واصلت وجمعت واستوعبت فيها — دون جهد ظاهر ، وفى رونق باهر بهاء ساطع ، ومع الاقتدار على الابتداع كذلك — ثلاثة قرون من أدب الخيال والفكاهة والطلاوة اللفظية واللطافة المعنوية ، وكلها منبثق من مصادر أصيلة غير دخيلة .

هكذا كان موقف النقد من مسرحية « سيرانودى برجرارك » منذ نصف قرن . والقارىء لا محالة شأنه شأننا لا يحب — فى فضوله مثلنا — أن يقف من المعرفة عند هذا الحد . اذن ، فلنسر معنا مسيرة ثلث قرن حتى عام ١٩٣٨ ، فمنذ ذلك العام دخلت مسرحية « سيرانو دى برجرارك » فى عداد ما يعرضه مسرح « الكوميدى فرانسيز » . فلتابعها اذن ، بعد اخراجها الجديد فى الملابس والمناظر التى ابتدعها لها « كرستيان بيرار Christian Bérard » وبعد ادبار الايام وانحسار الزمان ، لتبين ما طرأ على مكانها فى الادب المسرحى على ضوء النقد الحديث .

لقد جاز « سيرانو » امتحان الزمن . ان شخصيته لم يمسه الكبر ، ولم يدب اليها الوهن ، فما ذبلت طلعتها ، ولا

أخلقت جدتها ، ولا طرأت تجعيدة واحدة على صفحاتها ، وذلك هو الشاهد الصادق على ما يكفله حسن السبك من صيانة الأثر مهما تقادم به العهد .

لقد حيا الشباب في منتصف القرن العشرين مطلع «سيرانو دي برجرالك» في حماسة بالغة لم يسلم من عدواها الكثير من شيوخ الناقدين ، فقد كان لا يتبادر الى أذهانهم ما يتبادر اليها من الانتقادات والتحفظات حتى يخفق صوتها في حناجرهم تلك الهتافات الصادقة المتصاعدة من حناجر الشباب ، وحتى يجرفهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون ذلك التيار من الحماسة المتدفقة .

فهذا «لوسيان ديبك Lucien Dubeck» يقول في صحيفة «كانديد Candide» : «كلنا يعرف كل المعرفة ما ينقص «سيرانو»، وقد كان لا بد لنا من حفلة الأمس لنعرف ما ليس ينقصه، ان «أدمون رويستان» ليس «كورلى» ولا «شكسبير» ، ولا يمكن أن نقرن اسمه الى اسم «راسين» . ولكنه كما هو في ذاته ، لا يصح أن نبخسه حقه ونغبطه صفاته . ان مسرحيته محتفلة - على مسرح «الكوميدي فرانسيز» وفي سجل الادب المسرحي - بمكان لائق ملحوظ » .

وهذا «روبرت كيمب Robert Kemp» يقول في صحيفة «الطائر» : «هذا الكلام السريع الجياش العامر بالقوة الدافقة، الذي يجدد الشبيبة ويشد العزيمة، وهذه الحركات العنيفة والاشارات العريضة ، نجد فيها ولا شك متعة الراحة وفترة الاستجمام من شعر اليوم الدائم الغوص والاستغراق في الاعماق » .

وقد يذهب بعض النقاد المحسدين من المتفهمين المسرحيين الى وصف المسرحية بأنها عرض خلاب الوميض من عروض الاسهم النارية . ويفرنا بايراد هذا القول أنه يصلح مثلا على بعض النقد الحديث الذي يخرج عن الاعتدال والقصد ، ويتجاوز في الغمط والاجفاف وروح الاستخفاف كل حد .

وحسبنا بعد هذا البيان أن تلخص أحكام النقد الحديث في كلمة وردت في مقال نشرته جريدة «الفيجارو» للنقاد «بييربريسون Pierre Brisson» عن مسرحية «سيرانو» اذ يقول في وصف مؤلفها : « ان آدمون رويستان » عقد زواجا أشبه بما يسمونه زواج الحب بين شعر الصناعة وشعر القلب » .

المسرحية في حلتها العربية

وانه ليعيننا وقد أتينا من المقدمة على آخرها ، وأودعناها ما اعتقدنا أنه الحقيقة بحلوها ومرها ، أن تقدم بين يدي هذه المسرحية في حلتها العربية نادرة قد تكون تافهة في ظاهر قيمتها ، ولكنها رائعة في مضامين دلالتها .

يروى لنا الرواة انه في ذات يوم من أيام الاحد ، منذ عدة سنوات ، على مسرح « باب سان مارتان » ، كان الممثل العظيم «كوكلان» القائم بدور «سيرانو» قد ناله التعب وهو يمثل الدور للمرة الثالثة في اليوم نفسه ، فاقضب بعض الايات في إحدى الاسترسالات ، فاذا أحد المستمعين يهب من مقعده وسط دار التمثيل ، ويهيب بالممثل في صوت جهير :

— النص يا سيدى ، النص !

فتوقف الممثل الكبير ، وانحنى مبتسما ابتسامة الرضى ،
وهو يقول :

— انكم على حق يا سيدى ! سأعيد مبتدئا من جديد .

وأعاد الممثل المقطوعة من البداية فى تمام نصها ، وقد
أنساه ما كان من تعبهِ وزاده اجادة على اجادته هذا التذوق من
السامعين للشعر الفاخر .

وانى اليوم على يقين من أن هذا الشعر الذى يحرص أهله
هذا الحرص على نصه الفاخر فى أصله الفرنسى ، قد لقى فى
ترجمته هذه الى اللسان العربى صورته المطابقة التى تحكى لنا
فى مرآتها كل دقيقة وجليلة من « سيرانو دى برجرارك » ، بكل
ما حشده المؤلف فيها من فورة الحيوية وانطلاق الخيال ورفعة
المثال ووقدة العواطف . وكل ذلك فى أسلوبه الشفاف وتعابيرهِ
البليغة اللطاف ، وموسيقاه المجلجلة الغنية . ويحملنا على هذا
اليقين ما يعرف به الناقل الفاضل من التمكن فى صناعته ، والتجلية
فى حلبته ، والانطباع على قوة البيان ، والبصر بمذاهب الكلام،
وفنون الادب .

والحق أن هذه المسرحية فى حلتها العربية من أنفس ما يهدى
الى القراء : شبابهم وشيوخهم على السواء ، ولانخص عشاق
المسرح منهم ، بل قراء الادب كلهم ، فى الوطن العربى كله .

عبد الرحمن صدقى

سیرانو دی برجراک

أشخاص الرواية

سيرانو دي برجرال

كريستيان دي نيلبيت

الكونت دي جيش

راجينو

لوبريه

الكاتبين كاربون بون دي كاستل جالوه

الفساقنة

لينيير

دي فلليير

ماركيز - ماركيز آخر - ماركيز ثالث

مونفيري

بلرود

جودوليه

كويجي

دارتانيان

بريساي

فضولي - جندي - جندي آخر - مسابط اسباني -

فارس - بواب - رجل من الشعب - ولده - متفرج -

نشال - جندي حراسة - عازفان على الناي - قسيس

- شعراء - عمال في محل حلواني - كومبارس عديدون

- روكسان .

الراهبة : الاخوت مارنا

ليزا : زوجة راجينو

بالغة مشروبات ومرطبات : الام مرجريت

الاخت كاي

ممثل

وصيلة

بالغة زهر . . الخ - راهبات ونساء كثيرات .

الفصل الاول

(حفلة تمثيلية في فندق بروغونيا)

بهو في فندق بروغونيا سنة ١٦٤٠ ، أشبه بملاعب
لكرة المرب « التنس » ، وقد زُخرف واعد للحفلات
التمثيلية .

والبهو مستطيل بانحراف بحيث يبدو المسرح
كالقطاع المائل ، وقد صفت على جانبي المسرح الارائك ،
وستار المسرح من شقين من قماش مزخرف ، تنفرجان
عن المسرح حين يبدأ التمثيل ، وقد علقت فوقهما
الشارة الملكية ، ومنها ثوب المهرج . وثمة درج
عريض يؤدي الى خشبة المسرح ، صفت على جانبيه
مقاعد لفرقة الموسيقى وصف من الشموع .

وهيئت اماكن للنظاوة على جانبي البهو صفا من
خلف صف ، خصص اعلاها للمقصورات ، اما ارض
البهو التي تؤلف المسرح ذاته فلم يكن عليها مقاعد .
وفي نهاية المسرح ، اى الى اليمين من المقدمة ، عدد
من المقاعد تؤلف درجا . وتحت احدهى الدرجات
المؤدية الى المقاعد العالية ، حيث لا يرى منها الا المقاعد
السفلى ، شيء يشبه المصنف اذدان بالمصابيح البراقة
واصغر الزهر والالواح البللورية والصحاف الملاى
بانواع الحلوى والفطائر والاباريق .

ويقع مدخل المسرح في الوسط من مؤخرته تحت
صف المقصورات . وهو باب كبير وقد فتح قليلا ليدخل
منه المشاهدون ، وقد وضعت على واجهته الزجاجيتين ،
وفي اركان عدة ، وفوق المصنف وفي اماكن اخرى
اعلانات هراء عن المسرحية التي ستمثل تلك الليلة
« كلوزير » .

وعند رفع الستار يبدو البهو مظلما تقريبا وخلوا
من الناس والمصابيح مدلاة وسطه تنتظر الاضاءة ...

المشهد الاول

(أخذ النظارة يتقاطرون قبل موعد التمثيل وارتفعت جلبة خارج باب البهو واختلت الاصوات • فرسان وإناس من الطبقة المتوسطة وخدم وعازفون - الماركيز كويجي - بريساي وغيرهم) •
(يدخل أحد الفرسان مسرعا غير آبه باعتراض الملاحظ الواقف بالباب)

الملاحظ : أين تذكرتك يا هذا ؟

الفارس : أنا داخل من غير تذكرة •

الملاحظ : ولماذا ؟

الفارس : أتسألني لماذا ؟ أنا من رجال سلاح فرسان الملك

(يدخل فارس آخر)

الملاحظ : وأنت ؟

الفارس الثاني : أنا لا أدفع شيئا

الملاحظ : ولم ؟

الفارس الاول لزميله : ما أظن الرواية تبدأ قبل الثانية بعد منتصف الليل والبهو خال من الناس • • فتعال تتجالد بالسيف لقضاء الوقت (يتجادلان)

أحد خدم القصور (يلمح صاحبا له قد استبقه الى القاعة) :
أهذا أنت يا فلانكن ؟

الآخر (وقد دخل في تلك اللحظة) : وهذا أنت يا شامبان !

الاول : (وهو يطلع من صدره أوراق اللعب ويجلس على الارض) أتلا عبنى ؟

الآخر : أنا لك .. فهلم !

الاول : (يخرج بقية شمعة فيشعلها ثم يثبتها فوق الارض)
لقد جئت بهذه الشمعة لاستضيء على حساب المولى الذى
أخدمه .

جندى : (لبائعة زهور) انه لكرم منك أن تحضرى قبل
اضاءة الانوار (يعانقها)

(أحد الجنديين المتجادلين وقد سدد ضربة الى غريمه) :
لقد أصبتك

(أحد اللاعبين بالورق يصرخ صرخة مغلوب) : سباتى
الحارس : (فى أثر الفتاة) قبله !

الفتاة : ويحك ان الاعين ترانا

الحارس : (يجذبها الى ركن مظلم) لا تراعى فان أحدا

لا يرانا

(وهنا يأتى بعض النظارة يحملون طعاما فيجلسون فوق
الارض ليأكلوا)

أحدهم : لنأكل طعامنا على مهل مادما قد جئنا مبكرين

أحد رجال الشعب وقد اصطحب ابنه : دعنا نجلس هنا

يا بنى ،

أحد اللاعبين بالورق : ثلاثة آس

الاول : فلنصد بها الشعور المستعارة من فوق رؤوس
المشاهدين !

نشال : (يجمع حوله فنية خبثاء) استمعوا لى يا قطاعى
الجيوب بل أعيرونى آذانكم حتى ألقنكم درسا فى النشل •
الغلام الثانى : (ينادى صحابا له فى أعلا المسرح) يا هؤلاء
أعندكم نبال نهلو بها ؟

الغلام الثالث : نعم وحمص نرمى به
(وانبرى يساقط عليهم حمصا)
الفتى : (لابه) أية رواية سيقدمون لنا الليلة ؟
الاب : كلوريز

الفتى : ومن هو المؤلف ؟

الاب : الاستاذ بالتزار بارو • انها مسرحية رائعة ! (يقف
خلف كتف ابنه)

النشال (لصبيانه) : لا تنسوا أن تقطعوا بكل خفة ورفق
أحد النظارة : (يشير الى موضع فى الملهى وهو يتحدث الى
صاحب له) لقد كنت جالسا فى ذلك المكان المرتفع فى الليلة
الاولى لتمثيل رواية « السيد »

النشال : (يعلم الصبيان بأصابعه حركة النشل) هكذا تنشل
الساعات •

الاب : (لابنه) سنرى الليلة مجموعة طيبة من مشاهير الممثلين
والممثلات •

النشال : (يمثل حركة النشل) وهكذا تشلل المناديل •

الاب : (لابنه) وسنرى من هؤلاء المثلين مونفيليرى ••
أحدهم : (من احدى المقصورات) ألا عجلتم فأضاتم الشموع •

الاب : وسنرى بلروزوليبي ولوبريه وجودوليه !

أحد الغلمان : (فى قاعة المسرح) ها قد جاءت البائعة •

(تظهر الفتاة التى ستتولى البيع فى المقصف « البوفيه »
فتقف وراءه منادية) عصير الليمون ، عصير البرتقال ، لبن ،
شراب التوت •

(ترتفع جلبة فى الخارج وتسنع صيحة)

الصوت : افسحوا أيتها الاوغاد •

أحد الخدم فى دهشة : يا عجباً ، حضرات الاشراف جاءوا
للجلوس فى القاعة مع السوق ؟

خادم آخر : لقد وفدوا لبضع دقائق فقط !

(يدخل فوج من النبلاء)

مركيز : (لصاحبه وقد رأى الصالة شبه خاوية)

— ماذا ترون ؟ ونحن داخلون هكذا كأننا جماعة من تجار

الاقمشة ؟ فلتتلف فى دخولنا ، لا نزعج القوم ولا ندوس على

أقدامهم ، أف لهم ، أف لهم ! من ذا أرى ؟ ها هو ذا كويجى !

وهذا بريساى !

(يتبادل النبلاء التحيات والعناق)

كويجى : لقد حافظنا على الموعد فجئنا قبل اضاءة الشموع

المركز : ولكنى لا أطيق طول الانتظار
مركز آخر : لا بأس أيها المركز ، انتظر ها هم قد جاءوا
ليضيئوا المكان فلا تضيق ذرعا .
(ويرتفع التهليل وصيحات الفرح من النظارة أن رأوا الانوار
قد بدأت تضاء واخذوا مجالسهم استعدادا لابتداء التمثيل)
النظارة : وافرحتاه

المشهد الثانى

(يدخل شاب ذو مكانة مضطرب البزة مخمور هو لينير ،
متابعا ذراع شاب متأق على الرغم من قدم هندامه
المركز كويجى : (وهو يلمح ذلك الخليع قادما) ها هو ذا
لينير داخلا !

بريساى : (وهو يضحك) ألم يشمل الى الآن ؟
لينير : (يتقدم بصاحبه نحو النبلاء) هل أقدمك اليهم ؟
كريستيان (يهز رأسه موافقا) : أقدم اليكم البارون دى
توفيت (انحناءات بالتحية)

(يدوى المكان بتصفيق النظارة حين أضيئت الانوار جميعا)
الجمهور : وافرحتاه

كويجى : (ينحنى على صديقه بريساى . ويرنو بعينه
لكريستيان) يا له من شاب مليح
المركز الاول : (للمركز الثانى ، وقد سمع الحوار) هراء

لينير : (يسترسل فى تعريف كريستيان) مولای المريكز دى
كويجى • ومولای المريكز دى بريسای •

كريستيان : لى الشرف
المريكز الاول : لست أنكر أنه وسيم الصفحة ولكن هندامه
ليس فوق أحدث الازياء •

لينير : (يتحدث الى المريكز كويجى) ان هذا السيد قادم
من تورين •

كريستيان : (فى أثره) نعم ولم يمض فى باريس غير عشرين
يوما أو قرابتها وأنا غدا ملتحق بالحرس بفرقة الطلبة العسكريين •

المريكز الاول : لقد وصلت الرئيسة أوبرى •

فتاة المقصف : شراب البرتقال • لبن •••

الموسيقيون : (يصلح الاوتار)

كويجى : (ينوه بازدهام المسرح لكريستيان) لقد امتلأ
المسرح ••

كريستيان : نعم • جمهور كبير !

المريكز الاول : معرض لجميع الازياء •

(تدخل السيدات فيشيران الى كل باسمها ، والنساء يوزعن

الابتسامات ردا على التحيات)

المريكز الثانى : هذه مدام دى جيمينيه

كويجى : وهذه مدام بوا - دوفان

المريكز الاول : الحسنة التى ما زالت فى قلوب الجميع

بريساى : وهذه مدام دى شافينى

المركز الثانى : وهى التى ما زالت تلعب بأفئدتنا سحرا وقتونا

لينير : انظر ! هوذا المسيو كورتى • لقد عاد من روان

الفتى : (لايه) أعضاء المجمع العلمى الفرنسى كلهم هنا •

الاب : انى أرى أكثر من عضو واحد • فهو ذا بودى ، وهناك
يواسا وكيرو ، ويورشير ، وكولومبى ، وبورزيس ، وبوربون ،
واردو ••• ولن يموت اسم من هذه الاسماء • ما أجمل هذه
الفكرة !

المركز الاول : انظر ! لقد احتلت سيداتنا مقصوراتهن ، فهذه
بارتنوئيد وهناك أوريبيدونت وكاسانداس وفليكسيري •

المركز الثانى : ما أمتع أسماءهن فهل تعرفهن جميعا يا
مركزى ؟

المركز الاول : نعم كلهن •

لينير : (لكريستيان فى ناحية) لقد جئت الى هنا يا صديقى
لادخل السرور على نفسك ، ولكن غادتنا لم تحضر فانا منسحب
لأوافي «آفتى» المحبوبة ، بنت الحان •

كريستيان : (يتلطف اليه محلفا فى امساكه) كلا • كلا •
فأنت الوحيد الذى تستطيع أكثر من سواك أن تعرفنى من تكون
هذه الغادة التى أموت فى حبها ، ألسنت شاعر البلاط والشعب
معا • فهلا بقيت مرة أخرى ؟

(وفى تلك اللحظة بدأت الموسيقى الوترية ترسل انغامها ،
بينما ذهبت فتاة المقصف تنادى على معروضاتها)

رئيس الفرقة الموسيقية : سادتى (يرفع وتره استعدادا)
فتاة المقصف : شراب البرتقال • بقسماط

كريستيان : أواه • أخشى أن تكون هذه الحسنة لعبوا خداعة
صعبة الارضاء فاين لئلى وأنا البليد الالكن الجراءة على التحدث
اليها ومخاطبتها ؟ اننى بلغة اليوم وأساليب العصر لجاهل ، ما أنا الا
جندى وان كنت فى مواقف الحب الهيابة الوجله ، لقد كانت تجلس
هناك فى ذلك الموضع أبدا • تلك المقصورة الخاوية التى على
اليمين

لينير : (يهم بالذهاب) انى منصرف لا محالة
كريستيان : (يمسك بذراعه ويتشبث به) عليك بالله •• الا
ما مكثت

لينير : لا أستطيع مكثا • ان « داسوسى » ينتظرنى فى
الحان والانسان هنا يكاد يموت ظلماً

(وفى تلك اللحظة تمر فتاة المقصف عن كنب منهما تحمل
صينية صفت عليها الاقداح من مختلف الاشربة مترعة)

الفتاة : شراب البرتقال ••

لينير : (يتأفف من سماع هذا النوع من الاشربة) أف !

الفتاة : أتريد لنا اذن ؟

لينير : (يبدى حركة استياء) أف !

الفتاة : نبيذ جيد ؟
لينبير : (لصاحبه) سأمكنك معك لحظة أخرى فدعنى
أذق هذا الذى عندها

(يجلس الى منضدة المقصف ، وتصب الفتاة له شرابا)
(واذا بالاصوات ترتفع على مقدم رجل بدين قزم)
الجمهور : (ينادى فى فرح وتهليل) : ها هو ذا راجينو ...
راجينو !

لينبير (لكريستيان) انه الحلوانى المشهور
(وكان هذا مرتديا ثياب حلوانى فلم يكذب يلمح لينبير حتى
أسرع اليه)

راجينو : هل رأيت يا سيدى مسيو سيرانو ؟

لينبير : هذا حلوانى الشعراء والممثلين

راجينو : ان هذا لشرف عظيم ..

لينبير : أمسك يا صاح فانت راعى الأدب والفنون

صاحب الحان : نعم ان أولئك جميعا يأكلون ما يشتهون عندى

لينبير (مقاطعا) : دون أن يدفعوا ...

(يستمر فى التعريف به) وهو أيضا شاعر موهوب .

راجينو : لقد قيل ذلك لى .

لينبير : وهو بالشعر مفتون

راجينو : القول الصحيح أنى أعطى فى القصيدة الصغيرة ...

لينبير (مستبقا) : فطيرة أو كعكة

راجينو : بل كمبكة

لينير : ياله من شهم كريم • ولكن ألم تعط فى مقابل قصيدة
من ثمانية أبيات ؟ ••

راجينو (معاجلا) : أقراصا صغيرة من الخبز

لينير : (محتثا) بالزبد • والمسرح ألا تحبه ؟

راجينو : الى حد الهيام

لينير : وتدفع ثمننا لدخولك المسرح عملة من الفطير
والحلوى ؟ قل لنا فيما بيننا كم يكلفك الدخول ؟

راجينو : أربع قرايش بالسكر وخمس عشرة فطيرة رقيقة
صغيرة (يدير فى المكان عينيه) •

أليس مسيو سيرانو هنا الليلة ؟• ان هذا لغريب
لينير : وما وجه الغرابة فيه ؟

راجينو : لان مونفلىرى سيمثل !

لينير : هذا صحيح ، فان هذا البرميسل سيظهر فى دور
« فيدون » •• ولكن ما شأن سيرانو به ؟

راجينو : كيف ؟ ألم تعلم النبأ •• ان سيرانو يضمر له أشد
الكراهية وقد حرم عليه الظهور على المسرح شهرا كاملا •

لينير : (يجرع القدح الرابع) وما رأيك اذن ؟

راجينو : رأى أن مونفلىرى لن يمثل

المركز كويجى : (يقترب من جماعته) ولكن ليس فى وسعه

أن يمنعه

راجينو : ليس فى وسعه ؟ هذا ما جئت لاراه !
المركز الاول : ومن يكون سيرانو هذا الذى تتحدثون عنه ؟
المركز كويجى : فتى حاذق لجميع فنون السيف
المركز الثانى : وهل هو من النبلاء ؟

كويجى : هو فى عدادهم وهو ضابط صغير فى فرقة الحرس
(يشير الى رجل من الاشراف يروح ويغدو فى القاعة كمن
يبحث عن شخص معين) هو هو ذا صديقه « لوبريه » قادم نحونا ،
فاسألوه عنه ، انه بأمره العليم الخير (يناديه) لوبريه (لوبريه
يدنو منه) أتبحث عن دى برجرالك ؟

لوبريه : نعم ، وانى لقلق
كويجى : أليس حقا أنه من أفذاذ الناس ؟
لوبريه : (بحنان) الحق أنه بدمائة أخلاقه ورقة حواشيه
يفضل كل من تظلمهم السماء

راجينو : شاعر !
كويجى : مبارز بالسيف !
بريساى : عالم بالطبيعات
لوبريه : موسيقار !

لينير السكير : (وهو يغمز بعينه) انه لشخصية عجيبة !
راجينو : انه لكذلك . وانى لا أعتقد أن رساما وقورا كفيلب
دى شامبان سيرسم لنا صورة له . ولكن سيرانو ، وهو ذلك

الرجل الغريب ، المسرف ، المتقلب الاهواء ليمد المرحوم جاك كالو (١) بموضوع لاحدى لوحاته ، هو موضوع ذلك المبارز بالسيف الذى يتخيل أنه المفرد العلم بين المبارزين والبهلول الذى يستطيع أن يثير ضحك الناس وسخريتهم .. المعجب بنفسه الذى يتجمل بقبعة ذات ثلاث ريشات مختلفة الالوان ولباس ينزل من الرقبة الى الخصر ، تتدلى منه ستة أطراف ، وذباب حسامه يرتفع الى أعلى من تحت رداءه من الخلف كأنه ذيل الديك ، أما أنفه فحدث عنه ولا حرج ، ان من يقع بصره على هذه العينة الانفية لا يملك نفسه من أن يصيح : « ان الرجل وايم الله يغالى » ثم اذا هو يتنسم ، ثم يقول : « سوف يزيله » ولكن ميسو برجراك لن يزيله قط .

لوبريه : (وهو يطوح برأسه الى الخلف) نعم يستبقيه ويشطر من تسول له نفسه بالسخرية منه شطرين !
راجينو : (معتزاً مفاخرها) نعم فان سيفه هو يد القدر ضاربة وعلى شفير حسامه المنايا راصدة .

المركز الاول : (وهو يهز كتفيه) ولكنه لن يأتى الليلة .
راجينو : بل سيأتينا ما فى ذلك شك وأنا أراهن بدجاجة ، على نسق راجينو .

المركز الاول : (مستضحكا) فليكن .

(١) جاك كالو (١٥٩٢-١٦٣٥) وفيليب شامبان (١٦٠٢-١٦٧٤) رسامان فرنسيان ذالما الصيت اشتهرا بأعمالهما الفنية الرائعة واصالتهما فى الفن . ترك لنا الاول لوحة وكان الثانى من رواد اكاديمية الرسامين التى أنشئت سنة ١٦٤٨

(همسات فى الصفوف ، همسات الاعجاب وغممة الاستحسان
لظهور الحسناء روكسان فى مقصورتها ، وقد جلست فى الصدر
ومن خلفا الوصيفة المعجوز)

(كريستيان فى تلك اللحظة منشغلا بدفع حساب الشراب
لبائعة المقصف فلم ينتبه الى الحسناء لحظة دخولها) •

المركز الثانى : (فى مرح بالغ) لله درها أيها السادة من
فاتنة مرهوبة الحسن ، رائعة الجمال تستبى القلوب استباء •

المركز الاول : ان من ينظر اليها يخيل له كأن خوخة تضحك
مع توتة !

المركز الثانى : وكلها صباحة ونضارة ندية بدرجة يخشى
معهما المقرب أن تغشى القلب قشعريرة من البرد ••

كريستيان : (يرفع بصره فيلمحها فى مقصورتها فيضطرب
ويمسك بذراع لينبير بقوة وهو يقول) انها هى !

لينبير : (يمسكه من ذراعه) أهى هذه ؟

كريستيان : نبئنى وعجل •• فانى فى وجل

لينبير : (يتناول جرعات من النبيذ) مجدولين روبان
المعروفة بروكسان ، حسناء من ربات الادب المتحرقات •

كريستيان : يا ويلتا ! وأنا العيبى لا أبين •

لينبير : وهى غير متزوجة ، يتيمة الابوين ، وابنة عم سيرانو
الذى كنا اللحظة نتحدث عنه •

(وفى تلك اللحظة يدخل فى مقصورتها أحد النبلاء فى ثوب

رشيق يزین صدره شريط أزرق فيظل واقفا يجاذبها أطراف
(الحديث)

كريستيان : (بدهشة) ومن هذا الذي يكلمها ؟
لينير : (وقد ثمل فجعل يغمز بعينه وهو يجيب ضاحكا) هذا
كونت دى جيش المفتون بها وهو وان كان متزوجا بابة أخت ارمان
دى ريشيليه ، يسمى فى تزويج روكرسان برجل حقير يدعى
الفىكونت دى فلفير عساه يظفر منها ، وهى ذات بعل كهذا ، بما عز
عليه الظفر به وهى عذراء ، ولكنها تأبى الصفقة ، وتستعصم من
المساومة ، غير ان دى جيش ذو نفوذ ، وفى وسعه معاكبتها ، اذ
أين لابنة رجل من عرض الناس ، بلا نسب ولا لقب ، أن تقاوم
رجلا فى مثل نفوذه .. ولقد عرضت لهذه المحاولة الماكرة بالتورية
والاستعارة والكناية فى قصيدة لى من الشعر الفنائى ، وأحسبه الآن
على واجدا ، وقد كان مقطع القصيدة فى الصميم ... ألا تسمع
ماذا قلت ؟

(وتحامل لينهض فترنح ورفع القدح ليهم بالانشاد)
كريستيان : لا ضرورة .. لا ضرورة .. طاب مساؤك ..
لينير : الى أين ؟

كريستيان : الى مسيو دى فلفير
لينير : حذار فانه هو ولا ريب قاتلك (يوجه نظر كريستيان
الى روكرسان بطرف خفى) يالله ! اثبت فى مكانك انها تنظر
إليك !

كريستيان : هذا صحيح

• (ظل كريستيان غارقا فى تأملاته بأعين مفتوحة وراء جماعة
النشالين على تلك الحال ، فاغر الفم مشدوها متطلعا الى المقاصير
ببصره ، فدنوا منه ليسرقوه) •

لينير : (الى صاحبه) أنا ذاهب فان الظمأ قد اشتد بى
ولى صحاب ينتظروننى فى المشارب والحانات (ويمشى مترنحا
الى الباب)

لوبريه : (يعود الى حيث كان راجينو جالسا بعد أن طاف القاعة
كلها فلم يجد صديقه سيرانو، فيقول بصوت الواثق المطمئن) لم
أعثر لسيرانو على أثر •

راجينو : (وهو غير مصدق) ومع ذلك ...
لوبريه : عندى بقية أمل ، فلعله لم يقرأ الاعلان فى الرواية
التفارة : (يملون بطول الانتظار فترتفع الاصوات من كل
جانب) الرواية ! الرواية !

المشهد الثالث

الشخصيات السابقة ما عدا لينير - ثم دى جيف - فلفير -
مونفليرى

(ينزل الكونت دى جيش من مقصورة روكان فيجتاز القاعة
يحيط به جمع كبير من السادات وحملة الالقاب ، ومن بينهم
الكونت دى فلفير)

المركز الاول : (يهمس لصاحب له) ألا ترى دى جيش
كيف يمشى وسط حاشية كبيرة كأنه رب بلاط عظيم •

الماركيز الثانى : (ساخرا) لا يفرنك ما ترى فما هو الا
غسقونى كسائر الغسقونيين •

الاول : ولكنه الغسقونى ذو الحلم والمداورة الذى يصل ••
ويشق طريقه فى الحياة ، والرأى عندى أن لا خير فى تجاهله بل
يحسن بنا أن نحياه •

(يتقدم الاشراف نحو دى جيش)

المركز الثانى : ما أجمل هذه الاشرطة والاشوحة • بأى لون
تصفها يا كونت دى جيش ، أسمية قبة الغرام ، أم دم الغزلان ؟••
دى جيش : أسمية مرض الاسبان !

المركز الاول : لقد صدق المظهر المخبر فلن يلبث أمر اسبانيا
فى فلاندر أن يسوء بفضل شجاعتك

الكونت دى جيش : اننى متجه الى المسرح ، فهلا جئتم

معى ••

(ويمضى الى المسرح فيتبعه الاشراف الشباب مع الحاشية

المحيطة به ، ولكنه يستدير فينادى : هلم يا فلغير

(كريستيان يسمع هذا الاسم فيجفل ، ويخطر له أن يخرج

قفازه من جيبه ليذف به وجهه) الفيكونت •• لاقذفن به فى

وجهه •• فى وجهه •• (ولكنه حين يدس يده فى جيبه ليخرج

القفاز يحس يد النشال فيمسك بها) •• وما هذا ؟

النشال : آه ••

كريستيان : (بينما يظل قابضا على يد النشال) لقد كنت

أبحث عن القفاز •

النشال : (مبتسما متوسلا) ولكنك وجدت يدا (بصوت منخفض) هلا تركتني ، فان عندى سرا اكشفك به .
كريستيان : (وهو لا يزال ممسكا بيده) وما هو هذا السر ؟
النشال : لقد كان معك منذ لحظة الشاعر لينير
كريستيان : نعم . ثم ماذا ؟

النشال : ان حياته فى خطر ، فقد نظم قصيدة هجاء أغضبت عليه جهات عليا ، وقد نظمت مؤامرة لقتله الليلة ، وسيكمن له مائة رجل ، وأنا أحدهم ليقتالوه ..
كريستيان : (مندهشا) مائة رجل لرجل واحد ، ولكن من هذا الذى دبر هذه المؤامرة ؟

النشال : هذا سر لن أبوح به
كريستيان : (يهز كتفيه) أى سر يا هذا ؟
النشال : (متصنعا الوقار) سر المهنة !
كريستيان : وفى أى مكان سيكمنون ؟
النشال : عند بوابة نل ، وفى وقت عودته الى بيته ..
فعليك أن تحذره

كريستيان : (يطلق يد اللص من قبضته) ولكن أين ترائى واجده الساعة ؟

النشال : التمسه فى الحانات وطف عليه المشارب : اذهب الى القنية الذهبية ، الاناناس ، المنطقة والخصر ، المشعلان ، المداخن الثلاث واترك فى كل حان ومشرب خبرا ينبهه الى ما يكاد له ليتقيه !

كريستيان : ليكن ، وهأنذا منطلق .. يا للاوغاد ، أمالة
رجل على رجل بمفرده (يلقي نظرة الى روكسان ، كلها وجد
ولوعة) يا ويح القلب ، كيف أتركها الساعة وأمضي (يحجج
فلغير بنظر شزر ويصرف بأسنانه) وهذا الوغد ، أذهب أناغذه ،
ولكن ما العمل ومن الشهامة أن أنقذ حياة لينير ؟ (ينصرف
مسرعا)

(الكونت دى جيش والاشراف الذين أحاطوا به قد تواروا
خلف الستار ليأخذوا أماكنهم فوق المقاعد المصفوفة على جوانب
المسرح ، وكان الزحام على أشده ، وامتلات المقاعد والشرف
بالمشاهدين وهم فى مضض من طول الانتظار)

أحد النظارة : ألا يبتدىء التمثيل !

(وكان أحد الخبثاء فى أعلى المسرح قد انتزع بخيط وشخص
الشعر المستعار عن رأس أحد رجال الطبقة البورجوازية وكان
هذا جالسا فى بهو المسرح فتلفت مذعورا فأنكشف رأسه
الأصلع للنظارة فتعالت الصيحات من الجمهور فى فرح وسرور
البورجوازي : شعرى !

ثان : ها ها ها ها !

ثالث : انه أصلع .

رابع : مرحى ، الخدم .. ها ها ها

البورجوازي : (يهز قبضة يده) ويحك أيها الشقى المهذار .

النظارة : (صيحات الضحك والمرح) ها .. ها .. ها ..

(ثم يسود السكون)

لوبريه : ما معنى هذا السكون الذى ساد هكذا بقطة ؟ (أحدهم
يهمس له) أصحيح هذا الذى قلت ؟

الهامس : لقد سمعته اللحظة ممن أثق به

(همسات فى الصفوف) : انه هو بلا ريب ! كلا ليس هو ..
انه فى المقصورة الاولى ذات السياج .. الكردينال .. الكردينال !
أحد الخدم : يا للشيطان ، سيفسد حضوره علينا المرح والتسلية
ويلزمنا الادب والسكون ..

(يسمع النظارة الطرقة الاولى على المسرح من خلف الستار
فيخلدون الى الهدوء وتشرب منهم الاعناق) •

صوت مركيز : اطفئوا الشموع !

مركيز آخر : (يطل برأسه بين شقى الستار) الى بكرسى !
(ينقل الكرسي من يد ليد فوق الرؤوس ، فيتناوله المركيز
ويتوارى عن الانظار ، ولكن بعد أن يكون قد بعث قبلات بيديه الى
صاحبات المقصورات)

أحد النظارة : هدوء !

(يتوالى الدق ثلاثا وترتفع الستار ، فاذا السادات والنبلاء قد
جلسوا على جانبيه ، تبدو عليهم مظاهر العظمة ، وكان المنظر يمثل
مرعى نضير تعلوه سماء زرقاء ، وقد أضىء قاع المسرح بأربع
شموع فى أوان بلورية •

(القيثارات تعزف فى رفق)

لوبريه : (بصوت منخفض لراجينو) ماذا ترى الآن ؟ ألا
تظن أن مونفليرى هو الذى سيظهر اللحظة على المسرح ؟
راجينو : (عندما بدا الممثل للابصار) يا لله ، انه هو الذى
سيبدأ .

لوبريه : وها هو سيرانو لم يحضر !
راجينو : نعم . وقد خسرت الرهان
لوبريه : قدر الله ولطف !

(وبدا مونفليرى بدينا ضخما فى ثوب الرعاة قد وضع فوق
رأسه قبعة مكللة بالورد متدلية على احدى أذنيه وهو يمسك
بمزمارة مزين بالاشربة ينفخ فيه فيرسل أنغاما موسيقية)

واستقبله الجمهور بالتصفيق .. مونفليرى .. مونفليرى ..
(ينحني الممثل لهم شاكرا ويبدأ التمثيل فى دور فيدون)
مونفليرى : السعيد من نأى بنفسه عن قصور الملوك وقربة الامراء
وآثر العزلة فى الخلاء ، وارتضى العيش فى الارض الفضاء ، وحين
تهب على الغاب أنفاس الهواء ...

صوت من وسط المسرح : ويحك أيها الشقى ! ألم أخرج
عليك الظهور على المسرح شهرا كاملا ؟
(وهنا يستولى الذهول على الجميع وتدور الانظار لترى من
هذا الصائح المتوقح ، ويسرى الهمس فى كل مكان وتقف الغيد
فى المغاصير لتتبين ما جرى)
أصوات متباينة : عجبا ؟ ما هذا ؟ ما جلية الامر ؟

كويجى : يا عجباً .. انه هو !
 لوبريه : (مرتاعاً) سيرانو !
 سيرانو : يا أمير المهرجين ، اترك المسرح في الحال
 الجمهور : (غاضباً متذمراً) أف ! أف !
 الممثل : (في اضطراب) ولكن ...
 سيرانو : ويحك ألتحداني بمصيان أمرى ؟
 أصوات (من قاعة المسرح) : سكوتا وكفى صياحا .. وأنت
 يا مونفليرى استمر ولا تخف شيئاً
 مونفليرى : « السعيد من نأى بنفسه عن قصور الملوك وقربة
 الامراء ... »
 سيرانو : الوليل لك يا شر الاشقياء .. ألا تريد أن تغرب من
 المسرح الا اذا جثت فاذقتك طعم عصاى ؟
 (وارتفعت عصا في يد ممسكة بها فوق رؤوس المشاهدين)
 مونفليرى : (يهيم بالمضى فى دوره مبتدئاً) : السعيد من ...
 سيرانو : انصرف قلت لك ! (ويهز العصا فى الفضاء)
 الجمهور : (متذمراً) أف !
 مونفليرى : (يمضى فى دوره ولكن صوته يختنق) السعيد من
 نأى بنفسه عن قصور ...
 سيرانو : (ينهض واقفا على كرسى وسط الصالة شابكاً
 ذراعيه شبكة المتواعد مرخياً قبعته فى ناحية ارخاءة الغضب ،
 جافل الشارين من سورة الغيظ وقد استطال أنفه المخيف)

- لقد بدأت أغضب ، فحذار من غضبي وبطشي
(يشتد الهرج والمرج من هذه المباغنة العجيبة)

المشهد الرابع

الشخصيات السابقة - بلروز - جودوليه
مونفليرى (يدور بعينيه الى الاشراف مروعا) النجدة أيها
السادة

المرکيز : (بغير اكتراث) استمر • استمر
سيرانو : (يصيح بالممثل) حذار أيها البدين والا أوسعتك
لظما •

المرکيز : كفى !

سيرانو : (يلتفت الى حيث كان النبلاء يجلسون) واذا لم
يمسك هؤلاء السادة ألسنتهم فسأضطر الى اذاقتهم طعم عصاي
النبلاء : (ينهضون) حسبك يا هذا وأنت يا مونفليرى
سيرانو : اذا لم ينصرف مسرعا صلمت أذنيه وقطعته اربا اربا
صوت من المسرح : ولكن ...

سيرانو : لينصرف !

صوت آخر : ومع ذلك ...

سيرانو : ألم يذهب بعد ، اذن فلاصعد الى المسرح بنفسى
فأفرى هذا الانسان اللجيم الشحيم فريا (يشمر عن ساعديه
ليفعل)

مونفليرى : (يحاول أن يهدىء من سورة غضبه متلطفًا)
انك باهاتنى على هذه الصورة تغضب بنات الشعر •

سيرانو : (فى مثل لهجته) وهل لبنات الشعر بمثلك صلة
وأنت البطين الضخم الفاتر البليد الاحساس ، لا والله لو أن لبنات
الشعر معرفة بك لضربك بنعالهن •

(ترتفع الصيحات من القاعة وتسود الفوضى وتتردد الاصوات)
النظارة : مونفليرى • مونفليرى انشد لنا قصيدة بارو

سيرانو : (الى النظارة) أرجوكم أن تحذروا والا اذا استمر
هرجكم هذا وصياحكم فان سيفى لن يلبث أن يخرج من غمده
(ويتحسس مكان سيفه فيترجع الذين كانوا قد أحاطوا به
من خيفته ، ولكنهم يعاودون الصياح
النظارة : حلمك يا هذا

سيرانو : (يلتفت الى الممثل) هلم انصرف

النظارة : (يقتربون محتجين) أف لهذا ! أف لهذا !

سيرانو : (يلتفت فجأة) هل أراد أحدكم الكلام ؟

صوت من الخلف : (ينشد) السيد سيرانو يستبد بنا ، ولكن
ستمثل رواية كلوريز ، رغم أنف الطاغية !

الجميع : (يتشدون) كلوريز ••• كلوريز

سيرانو : حسبكم أيها الاوغاد ، لو سمعت هذه الانشودة تعاد ،

لا أفينتكم جميعا

أحدهم : لست شمشون !

سيرانو : أعزنى اذن عظمة فكك أيها الرجل لاضرب بها هذه
الوجوه كما فعل شمشون بفك الحمار •

سيدة فى مقصورتها : هذا تهجم فطيع
أحد السادة : هذه فضيحة !

أحدهم : شئ يفيظ !

أحد الخدم : انه لعبت سخيف !

(وعادت الضجة أشد من قبل)

القاعة : هدوا - مونفلىرى •• سيرانو ••

سيرانو : سكوتا !

النظارة : (يسخرون وبعض الخبثاء فيهم يقلدون القطط
وصياح الديكة ومختلف البهائم والانعام) •• هى ها •• يا •• أو ••

سيرانو : آمركم ••

أحد الخدم : (يموء) مياو ••

سيرانو : (يصيح بهم) انى آمركم جميعا بالتزام السكوت
وأتحداكم بجمعكم ، بل انى لدون عندى أسماءكم •• فاهلموا ،
تقدموا ، وليبرز الشجعان فيكم والصناديد ، صنديدا فى اثر صنديد،
وعلى أنا المناداة بالعديد تلو العديد ، والآن من منكم يريد أن يفتح
القائمة وأين الشجاع البادئ بالمهاجمة ••

(يتطلع الى الوجوه ويمشى مستعرضا الصفوف ، وهو لكل واحد
منهم قائل) : انت يا سيد •• أم أنت ؟ أفكلكم لا ؟ ألا من مبارز يتاح

له شرف الموت من كفى لفضل سبق على الآخرين .. أيها السادة
.. من يشق الى الموت فليرفع يده

(يسود السكون)

سيرانو : (صائحا) يالكُم من جبناء رعديد ، خفتم مشهد
سيفى مجردا عن غمده ، اذن ألا من مبارز ؟ أفلا مناجز ..
حسن ما أرى .. فلامض فيما أريد

(يستدير ناحية المسرح حيث كان مونفليرى قد وقف وهو
في أشد حالات الاضطراب)

سيرانو : هلموا انكفئوا من حيث أتيتم نجيا سالمين ، والا
أعملت سيفى فى الرقاب ، (ويضع يده على مقبض حسامه)
مونفليرى : (بخوف) اننى ...

سيرانو : (ينزل من كرسيه ويتوسط حلقة المتفرجين الذين
أحاطوا من حوله) سأصفق بيدي ثلاثا ، وها أنتم قد اجتمع
شملمكم حولى واكمل كالبدر الممتلئ الباهر ولكنكم بعد الثالثة « من
التصفيق » ستخسفون خسوفا وتذهبون أشتاتا

فاستضحك الناس وتماجنوا لهذا التشبيه الذى شبه فرارهم به ،
القاعة : مرحى !

سيرانو : (ولكنه لم يحفل بهم ، وصفق صائحا) واحد !
مونفليرى : (يرتاع ولا يدري ماذا هو صانع)
صوت : (من جانب المقاصير يهيب به) لا تذهب !

وانقسم الناس فريقين فمن قائلين انه سينصرف ومن قائلين انه
سيبصر على البقاء

القاعة : لن ينصرف ! بل سينصرف !

مونفليرى : (وهو يرفع بصره الى الجمهور متلعثما) أظن
أيها السادة

سيرانو : (يصفق صائحا) اثنين !

مونفليرى : أظن أنه من الحكمة فى موقف كهذا ...

سيرانو : (يعاجله بالتصفيق مناديا) ثلاثة !

مونفليرى يفر مثل خطفة البرق كأن الارض انشقت من تحته
فابتلعتة !...

(النظارة يضحكون من فراره على تلك الصورة ويطيلون صغير
الاستهزاء)

المتفرجون : يا جبان .. يا جبان .. ارجع ولا تخف .. !
سيرانو : (يطرب لهذا المشهد وتتفخ أوداجه فيعود الى مقعده
ويجلس شابكا ذراعيه) ليرجع ان استطاع ..

أحد النظارة : نادوا خطيب الفرقة

(يظهر الممثل بليروز ويتقدم وينحنى للجمهور محيا)

الجمهور : الممثل بليروز .. ها هو ذا سيتكلم ؟

بليروز : (بتؤدة مخاطبا الاشراف) سادى النبلاء

الجمهور : نريد جودوليه ! نريد جودوليه

جودويله : (يتكلم من أنفه مشمئزاً) أيها العجول !
الجمهور : مرحى • مرحى • استمر
جودويله : لا مرحى يا سادة ولا أحسنت فإن ممثلكم المؤثر الذى
تحبونه قد شعر بأنه ••

الجمهور : (مقاطعاً) انه جبان
جودويله : بأنه مضطر الى الذهاب
أصوات : فليرجع
أصوات أخرى : لا • لا •••
أصوات : ليرجع ! ليرجع !
شاب من المتفرجين : (يخاطب سيرانو) ولكن أرجو يا سيدى
أن تبين لنا ما سر كراهيتك لمونفيليرى ••

سيرانو : (وهو لا يزال مستويا فى مجلسه) لقد سألتنى يافرخ
الاوز عما يدعونى الى كراهيته ، وجوابا عن سؤالك أقول ان لهذه
الكراهية سببين ، كل منهما يكفى فى ذاته مبررا ، أما الاول فلا أنه
مثل شنيع اللقاء غليظ الصوت ، وهو حين يلقى الابات يتأقل بها
كأنما يمتح دلوا من بئر ، فتذهب روعة الشعر فى انطلاقتها ويتجمد
نسيمه ، وأما الثانى فذلك سر من أسرارى لا أذيعه ولا شأن
لاحد به ••

شيخ : (من خلفه باستياء) ولكن هذا عيب كان أولى بك
الاستحياء منه ، فقد حرمتنا الليلة من مشاهدة رواية « كلوريز »
ولهذا أصر ••

سيرانو: (يدور نحوه مقاطعا) أيها الشيخ المخرف ان شعر
بارو العجوز من سقط المتاع وازى لسرور أن أغنيكم عن سماعه
دون أن يؤنبنى ضميرى على ذلك

السيدات الاديبات المتحذلقات اللاتي ازدانت بهن المقاصير :
كيف تجترىء بهذا القول فى حق شاعرنا « بارو » ؟ هذا كثير !
هذا كثير !

سيرانو : (يحرك مقعده صوب مقاصيرهن متلفعا مداعبا)
يا أملح الغيد ، وأجمل بناء حواء ، تلاقى كما تشاء ، وأرسلن
علينا من باهر ضيائكن ، ووهج سبائكن ، أليس حسبكن أنكن
بالشعر الى خواطرنا موحيات حتى تردن أن تكن له نازعات ؟

الممثل بلروز : لقد أفسدت علينا مورد ليلتنا ، ونحن
مضطرون الى رد ثمن التذاكر للمتفرجين ...

سيرانو : (ملتفتا اليه) يا بلروز هذه هى أول ملاحظة بارعة
وجيهة سمعتها الليلة . فلا ويمين الله ما كان مثلى ليجرد الفن^(١)
من ثيابه (ثم ينهض من مجلسه فيخرج كيسا مليئا بالمال ويطوح به
على خشبة المسرح) هاك التقط الكيس الذى أرمى به ، وحسبك
لا تجادلنى فيما فعلت .

النظار : (يصيحون بدهشة بالغة ويهمهمون)

(١) فى الاصل « ليعدت ثوبا فى ثوب ثيسايس » ، وثيسايس هذا شاعر
افريقى من مدينة ايكاريا عاش فى القرن السادس قبل الميلاد ، ويقال انه مبتكر
المأساة (التراجيدى) وكان يجول فى اتيكا بعربة لتمثيل مسرحياته على مسرح مقام
عليها ، وذلك انه كان ممثلا ومديرا للمسرح .

جوديليه : (يجرى الى الكيس فيلتقطه بفرح متناه ويزنه
فى يده بسرور زائد مخاطبا سيرانو) اذا كان هذا هو الثمن
يا سيدى فتعال كل يوم لتعطيل تمثيل مسرحية كلوريز .

النظارة : (ترتفع صيحات الاحتجاج والهمهمة)

جودوليه : أيستهزأ بنا جملة على هذا النحو ؟

بلروز : يجب اخلاء المسرح

جودوليه : تفضلوا يا حضرات ، لقد أوقفنا الرواية

فريق منهم ينصرفون وسيرانو ينظر نظرة الارتياح ، وتنهض
السيدات فى المقاصير ليرتدين معاطفنهن استعدادا للخروج، ولكنهن
لم يلبثن أن تلتكان ، كما وقف كثيرون من النظارة فى أماكنهم
لسماع حوار قام فى تلك اللحظة بين سيرانو وصديقه لوبريه وعادت
السيدات الى الجلوس

لوبريه : (معاتبا) ان هذا جنون يا صاح

فضولى ثقيل : لقد أسأت صنعا ، واستهدفت للأذى ، ألا تعلم
أن مونفيليرى محسوب على الدوق دى كندال وتحت رعايته ،
أفليس لك عظيم يحميك ؟

سيرانو : كلا . .

الفضولى : يا عجبا . أحقا ليس لك من عظيم يرعاك

سيرانو : (مجيبا) قلت لك كلا مرتين ، فهل لا بد لى أن أعيد ؟
لا أنا بحسيب على أحد ولا أنا صنيعا لمخلوق ولكن حسبى هذا
السيف لى راعيا وحاميا (يقبض بيده على حسامه) .

الفضولى - يجب اذن أن تغادر المدينة غير متردد •
 سيرانو : (متأففا) سرى •
 الفضولى : ان للدوق باعا طويلا •
 سيرانو : ولكنه لن يوازى سيفى طولاً اذا خرج من جرابه
 هكذا • (وراح يريه حسامه) •
 الفضولى : وهل تنوى أن
 سيرانو : نعم أنوى ذلك •
 الفضولى : ولكن ..
 سيرانو : قلت لك انطلق فى وجهك ، والا فخيرنى يا هذا
 ما الذى جعلك تطيل النظر هكذا الى أنفى ..
 الفضولى : (بخوف وتلعثم) أنا ؟
 سيرانو : (يقترب منه) وما الذى يدهشك منه ؟
 الفضولى : (يتراجع منتفضاً من شدة الروع) انك تخطئ •
 يا سيدى ...
 سيرانو : هل تراه متهدلاً متدلياً كالخرطوم ؟
 الفضولى : حاشا يا مولاي • لم يخطر مطلقاً لى •
 سيرانو : أم تحسبه أعوج مقوساً كمنقار البوم ؟
 الفضولى : حاشا • حاشا • والله •
 سيرانو : أم تراه لمحت تؤلولا على أرنبتة ؟
 الفضولى : الى ••
 سيرانو : أم شهدت ذبابة تستنشق الهواء فوق قمته ؟ والا
 فما الذى تراه عجيباً فيه ؟

الفضولى : ويحى !

سيرانو : أهو فلتة من فلتات الطبيعة ؟

الفضولى : لقد تحاشيت يا سيدى أن أنظر اليه حتى النظرة العابرة !

سيرانو : وما الذى منعك أن تتطلع اليه ؟

الفضولى : لقد كنت ..

سيرانو : هل اشمئزت منه ؟

الفضولى : سيدى .. حاشا لله

سيرانو : أم عفت قببح لونه ؟

الفضولى : سيدى !

سيرانو : أم لم يرقك شكله ؟

الفضولى : أستغفر الله . ما عن هذا لخاطرى .

سيرانو : ما بالك اذن قد أبديت علامات التنفض ، وأمارات

التأفف والاستهزاء ؟ أرايته مفرطاً فى حجمه ؟

الفضولى : كلا يا سيدى ، انه صغير ، عفوا ، بل انه لدقيق

مفرط فى دقته

سيرانو : أتجترىء يا هذا على وصفى بما يعاب، واتهامى بما

يبعث السخرية والضحك أصغير أنفى ؟ .. مهلا ! .

الفضولى : يا الهى ! .

سيرانو : ويحك أيها المغفل الاحمق، والفضولى الذى يدخل

فيما لا يعنيه . ألا فاعلم اننى بهذا الانف الكبير لفخور ، أفقد

جهلت يا هذا أن كبر الانف دليل على لطف النفس ورقة الطبع ،
وعنوان الادب والشجاعة والانفة والشمم ، وهذا هو شأنى ، وتلك
هى شيمتى ، هيهات أن تتاح لمثلك ويقع شئ منها لمن هم على
شاكلك أيها المخلوق الحقير ، والصعلوك المهين ، على حين يدل
وجهك الكالح ، وسحتك الغبية ، وصفحتك السميكة التى لن
أبث أن أضعفها الساعة ، على التجرد (يلطمه فيصرخ)
الفضولى : أواه !

سيرانو : أى والله ، على التجرد من الشعور والكرامة
فى ملامح العبقرية ، ومجمل القول من الانف ، تجرد ركلة من
هذا تصيب أسفل ظهره من هذه الصفات (يمسك بكفيه
ويديره اليه ويركله بقدمه فى ظهره ركلة قوية) .
الفضولى : (يتخلص منه) النجدة .. النجدة .. أيها الجنود ،
الى أيها الشرطة .

سيرانو (الى الذين أحاطوا به) أفرايتم ما صنعت بهذا
الفضولى الثقيل ، فليكن هذا نذيرا منى لمعاشر الحمقى والمغفلين
الذين يجدون فى هذا الجزء النأتى من وجهى مجالا للفزل
والسخرية ، ومادة للنكات والمجون ، فانتى لمذيقهم من هذا
أما اذا كان الماخن نبلا ، والمهذار شريفا ، فانتى غير مفارق مكانى
حتى أطعمه من مذاق سيفى ، بدلا من نعلى وخفى .
(كان النبلاء والاشراف فى هذه اللحظة قد نزلوا من المسرح
فسمعوا هذا النذير الذى أطلقه سيرانو فيمن حوله)

دى جيش : (لرفاقه) لقد تمادى هذا الرجل فى غيه وأصبح
ثقيلا علينا .

الكونت دى فلفير : (يهز كتفيه) انه لمغرور مدعى .
دى جيش - ألا من أحد يسكته ؟

المركيز دى فلفير : (غاضبا) أتسأل ألا من أحد ؟ مهلا بعض
هذا التجاهل ؟ فانى مبادره بشىء من سخرىتى وازدراىتى ، ودعابنى
واستهزائى ، اسمع يا هذا (يتقدم الى سيرانو ولم يكن قد فاتته
شئ من كلام المركيز ومراده) سيدى ان أنفك .. ولكن لست
أدرى والله ماذا أنا قائل .. ان أنفك يا صاح مفرط فى حجمه
كثيرا .

سيرانو : (يلتفت اليه بطرف من نظره وبمنتهى البرود
والسخرية) أحقا ؟

المركيز : (يضحك حتى يكاد يستلقى) ماذا تعنى ؟
سيرانو : (هادئا كالصخرة الصماء) أهذا ما عندك ؟
المركيز : ولكن ..

سيرانو : (غاضبا) أيها الشاب الغر ، أراك أوجزت وقصرت
فيما وصفت ، والموصوف مديد مستطيل . لقد كان يصح أن
تقول فى وصفه الشئ الكثير وتعدد ، ويطول بك نفس الكلام
ويمتد ، ولا يعوزك فى أفانين القول وضروبه ، الا التتويج فى لهجته
وأسلوبه ، فأما وقد عجزت ولم تنصف أنفى بل ظلمت ، فاسمع
فنونا من القول فيه : فان أردت لهجة المهاجم المتحدى ، قلت

« لو أن لى أنفا كأنفك يا سيدى لبترتة من ميدان وجهى واستأصلته ،
وان شئت لهجة الصديق قلت : « ان أنفك يا سيدى ينغمس فى
كأس شرابك فخير لك أن تصنع له وعاء خاصا » وان أردت مجرد
الوصف قلت : « ليس هذا بأنف ، انه لصخرة ناتئة من جبل ،
أو قلة قائمة فوق طود ، أو رأس مشرف على بحر • لا والله ، بل
انه فى الحلق أدنى الى شبه جزيرة شبهها » ، أما اذا قصدت العجب
واستغربت ، فانك قائل : « لعمر الله ما أولى بهذا العقاص المستطيل
الاجوف أن يروح للمقص جرابا ، أو يكون للخنجر غمدا ، أو
ما بالك يا سيدى لا تتخذ منه دواة ليكون للمداد مددا » • واذا
أنت أردت الاشادة بالفضل وابرار المحامد ، قلت : « احسبك على
الطير مشفقا وعلى العصافير حائيا ، فجعلت لها من أنفك الطويل
مأوى لها ، تقع عليه لتسكن » • واذا قصدت الى الجفوة ، ورمت
قولا عنيفا ، فما أراك الا قائلا : « اذا دخنت لفائف تبغك فيخرجت
ذوائب الدخان منبعثة من هذه الماسورة التى فى وجهك ، أفلا
يتصايح الجيران : « لقد شب فى المدخنة حريق !! » • وفى مقام
التبهيہ والتحذير ، يصح لك أن تقول : « أخشى عليك يا سيدى أن
ينقلب رأسك فى الهوة الى أسفل وترتفع قدمك ، اذا أنت أطرقت
برأسك وفيه هذا « الثقل » الذى يختل به توازنك • •

وفى مجال التجب والعطف ، جاز لك أن تقول : الا من مظلة
صغيرة نقيهما من فوق أنفك • خشية على لونه الزاهى من شعاع
الشمس أن تنطفئ • ومخافة على أديمه البراق أن تتصل ، وحين

تريد التباهى بالعلم الواسع ، وادعاء المعرفة والاصطلاح تشي .
تقول :

« أكبر الظن أن الحيوان الذي أطلق عليه (ارستوفائيس) (١)
اسم هيبوكامبلفاتوكا ميلوس (٢) ، كان دون شك يحمل تحت جبهته
هذه الكتلة المجتمعة من اللحم فوق هذه الكتلة المجتمعة من
العظم »

وان أحببت مجونا قلت : « ان ألفك يا صات هو احدى
المبتكرات في صناعة المشاجب لتعليق القبعات »
واذا أردت التوكيد فالك قائل : « أيها الانف الجليل ليس
في الرياح ما يستطيع أن يصيبك بوعكة البرد، الا أن تكون رياح
المسترال » (٣) .

وان عمدت الى لغة التمثيل والتهويل ، قلت ان هذا الانف
الضخم اذا دمي فهو البحر الاحمر .

وفي باب الاعجاب والاستحسان تقول : « هو اعلان على دكان
لبيع الروائح العطرية وتقطير الزهر والرياحان » وعلى سبيل
التعنى : « أنت ترهتون (٤) وهذا الأنف بوقه ؟ » . فان آثرت
الوقار قلت : « دعنى يا سيدى أحبيك بوصفك من ذوى

(١) عالم اغريقى عاش فى القرن الثالث قبل الميلاد كان مديرا لمكتبة
الاسكندرية المشهورة ، وله مصنفات كثيرة فى اللغة والنحو .

(٢) حيوان خيالى ضخم .

(٣) ريح شمالية غربية عرفت بشدتها ، تهب على ساحل لرنسا الجنوبى

(٤) من آلهة الاساطير ، موطنه البحر ولعله نبتون ، اشتهر ببوقه الذى اتخذه
من قوقعة لولبية .

الاملاك وهذا الالف دارك » • وفى لغة البساطة أنت قائل :
« فى أية ساعة من النهار ، يمكن الدخول لمشاهدة هذا المتحف
أو دار الآثار ؟ »

فاذا أردت تشبيهات الفلاحين ، تقول : « لا تخدعنى ماهذا
بألف يا بنى ! ان هو الا لفتة عملاقة أو شمامة قميئة » • وفى
لغة رجال الحرب تقول : « صوب فوهته الى الفرسان » •
وفى الاساليب المالية ، لك أن تقول : « لو عملت عليه
» يانصيب « لغاز بالربح الاوفى دون شك • »

وان شئت تحويرا لمرثاة بيرام ، قلت : « هو ذا الالف الذى
يفسد على وجه صاحبه جماله وتناسقه ، كيف احمر خجلا من
شعوره بالجرم فى حقه والخيانة • »

فمثل هذا يا سيدى العزيز وأشباهه كان جائزا لك أن تقوله
لو أنك أوتيت أقل نصيب من ذكاء أو أدنى حظ من أدب
وعلم •

ولكنك أيها المسكين الذى يرئى له لم تصب من الذكاء ذرة ،
ولم تظفر من بحر العلم بقطرة ، وما وعيت من أفانين القراءة

(١) من قصائد اوليد اللئالية قصة بابلية عن شاب اسمه بيرام أحب فتاة
اسمها نيسى • عارض والدهما فى زواجهما فقرر ان يهربا واتفقا على ان يتقابلا
عند مقبرة نينوس • وفى الطريق اليها شاهدت الفتاة اسدا مصورا تلتطخ الدماء
شدنيه فاطلقت ساقيهما للريح وسقطت مهابتها وهى تعدو ، وعثر بيرام وهو فى
طريقه الى مكان التلاقى على العبادة ممزقة وملطخة بالدماء ، فاعمد سيده فى صدره
طلنا منه أن حبيبته قد لقيت حتفها ، ولما حمل اليها انزعزت سيده وانغمسده فى
صدرها •

والكتابة الا أربعة أحرف مركبة ، واذا تهجيتها كانت لك صفة مناسبة ، وهذه الاحرف تجمعها كلمة « حمار » .

وأما عن الذكاء ، فلو أنك أوتيت القدر الضرورى منه ، لما رضىت لنفسك فى معرض مجانتك وعبتك أمام هذا الجمع الكبير من السامعين أن تقف عند نكتة واحدة ، وهى فى ذاتها باردة ، ففسح بذلك لى المجال لقول ما قلت ، وتخدمنى فى سياق كل هذه الاوصاف والتشبيهات التى سقت ، ولئن رأيتنى قد وصفت بها نفسى ، ورضيتها فى معرض الكلام عن شخصيتى ، فانى لا أقبل عشر معشارها من أى انسان ، كائنا من كان .

الفيكونت دى جيش : هلم اذن أيها الفيكونت ! (يتميز غضبا) كل هذا الصلف والكبرياء ! ومن ريفى حقير ليس لديه .. ليس لديه حتى قفاز ، ويسير بدون أشرطة أو أربطة .

سيرانو : ان تيهى انما هو تيه النفس الباطنة . فلست أقنع بمخادعة نفسى كما تفعل البيغاء ، بل انى أكثر اباء وشمما ، منى نزاعا الى الظهور . وليس دأبى أن أمضى فى طريقى ، بأى حال من الاحوال ، قبل أن أمحو الاهانة وأزيل آثارها ، وما أنا لأقعد وغمة بضميرى أو انتقاص بكرامتى أو سبة بجينى . ان ريشة المجد هى صراحتى واستقلال شخصيتى ، ولا أتحدث عن القوام المنسق الجميل ، بل انها نفسى هى التى أقمعها . فأمضى فى حياتى تشرفنى أعمالى لا الاشرطة ، وانى لاشذب نفسى كما يشذب

الفيكونت : (باحتقار) كلام شاعر !
سيرانو : أى والله انى لشاعر ، وبرهانى اننى ونحن متجادلان
مرتجل أمامك أبياتا من الشعر الغنائى •

الفيكونت : من الشعر الغنائى ؟
سيرانو : هل تريد أن أعرفك ما هو هذا « الضرب » منه ؟
الفيكونت : (مرتبكا) ولكن ••

سيرانو - (بلهجة المدرس الذى يلحق تلاميذه درسا يستظهرونه) :
اعلم يا فتى أن الاغنية أو القطعة الغنائية من الشعر هى قصيدة تتألف
من ثلاث مقطعات كل منها تحتوى على ثمانية أبيات •

الفيكونت : (يضرب الارض بقدميه متأففا ضجرا) أف
سيرانو : (مسترسلا فى تلقينه) وهى تنتهى بمقطع أو ختام
يتألف من أربعة أبيات •

الفيكونت : (ضجرا) انك •••

سيرانو - (لم يترك له مجالا للقول) : وانى لمشدك قطعة من
هذا الضرب من الشعر أو توشيحاً على غراره ، ونحن نتجادل بالسيف
وتبارز ثم لا أكاد أبلغ منها المقطع ، حتى أكون قد أنقذت فيك
الطعنة الاولى والاخيرة •

الفيكونت : هيهات !

سيرانو : كيف هيهات ، وانى لمبتدىء من اللحظة فمرتجل
مقدمة الابيات ، وهى عند البداية واجبة :

المبارزة فى فندق بورغونيا لاشبة ، بين دى برجراك وأحد
بالاوغاد •

: وما موضع هذا من القصيدة الغنائية •

سيرانو : هذا هو الرأس منها والعنوان ، فلنتم الآن •
(عند ذلك يستولى على جميع الحاضرين فى الملهى اضطراب
بالغ وحماسة متناهية فيتزاحمون ويتدافعون) •

أحدهم : أفسحوا المكان ، لنرى النزال بينهما ، والطمان
ولتكف الاصوات لنسمع الايات •

(ينظم القوم دائرة ، واختلط الاشراف والنبلاء فيهم
بالعامه والغوغاء وتسلق المجنة والخبثاء أكتاف صحابهم والخطاء
ليشرفوا على سير المبارزة الدائرة)

(تقف الحسان والفيد فى المقاصير متطلعات قلقات ، بينما ينتحى
الكونت بحاشيته الى اليمين ، ويجتمع أنصار سيرانو ومريديه لوبريه
وراجينو وكويجى الى اليسار)

سيرانو : (يغمض عينه برهة) مهلا ولو ثانية ، حتى أختار
لاياتى الرؤى والقافية • (ثم ينشدمطابقا بين كل لفظة من شعره
وبين كل حركة من كره وفره) « انى لاخلع فى فرح قبعتى ،
وأنزع عن كفى عباتى ، لتخلص لى وثبتى وحركتى ، ثم أستل
حسامى المصقول ، فأجول به وأصول ، كائى « سلا دون » خفة
وخطرانا ، ورشاقة ودورانا ، أو « سكاراموش » (١) ، ثم أختلس

(١) سكاراموش : شخصية مسرحية اشتهر بها المسرح الايطالى فى القرنين
السادس عشر والسابع عشر ثم انتقلت فكرتها الى فرنسا وانجلترا : وقد ابتكرت
لادخال نوع من المرح الى التمثيل • وصاحبها يلبس الملابس السوداء ويقرع بالعصا
لجبهته وافتخاره بمآثر ليست فيه •

همسة في أذنك، وهى أنى في النهاية طاعنك، ومع الختام مصيبك،
 (وهنا يبدأ النزال) • كان خيرا لك لو لبثت محايدا وتطامنت ،
 ولقدر نفسك عرفت • فليت شعرى من أى موضع فيك أبعث الموت ؟
 • • أمن خاصرتك ، أم تحت ابظك ، أمن قلبك ، أم من تحت
 وشاحك الازرق الذى يلى الصدر ؟ يا للغناء العذب المشنف ، فى
 قراع السيف ا فانى يا ميرميدون (١) حتما للكرش والخوف مع
 الختام مصيب • •

« ألا من قافية على حرف التاء المربوطة ، أيتها السمكة «الياض»
 المتلوية المتخبطة • ألا من قافية تناسب رعشتك البادية ؟
 كأنك الريشة القلقة فى مهاب الرياح الجارفة ، وى ، هأنذا من ذبابة
 سيفك ألتمس واقيا ومن الطعنة التى أردتها ناجيا ، وأما أنت اذن
 فخذ ، ولا تنس أنى فى المقطع الاخير مصيب • • (وهنا يهبط
 صوته منشدا الختام شاديا) : والآن صل على روحك قبل أن تطير
 الى السماء ، فهأنذا أتقدم اليك الخطوة الباقية ليكون الغناء • • (فاذا
 بالفيكونت يتراجع مدبرا ، ويترنح متقهقرا) •

سيرانو : ألم أنبتك أنى فى المقطع الاخير مصيب ؟
 (يدوى المكان بالتصفيق وترتفع الأصوات بالهتاف وصياح
 الاستحسان ، وتشترك فى التصفيق الفيد والحسان ويشرن على

(١) ميرميدون : اسم يطلق على قبيلة اغريقية قديمة من تساليا استعمرت
 جزيرة ايجينا ، خلدها هوميروس فجعل من رجالها مقاتلين لى جيش اخيل ،
 وتقول الاساطير انها من سلالة النمل بك ليها الاله ريبوس الروح البشرية لتقوم
 بخدمة آخوس .

الشجاع سيرانو الزهر والمناويل والرياحين ، ويطوف به الفوارس
مهنئين ويرقص راجينو صاحب الخان فى الهواء ويقفز من فرط
السرور ويبدو الفرح على وجه لوبريه ولكنه يلبث قلقا فى موضعه
منشغل البال بينما يحمل الفيكونت الجريح أصحابه وينصرفون به
مبتعدين •

الجمهور : يعيش ! يعيش ! يعيش !

أحد الفرسان : عظيم !

امرأة : جميل !

راجينو : مدهش !

ماركيز : نوع من النزال جديد !

(ويعود الجمهور فيرسل هتافا يشق السماء ويحيط بسيرانو)

لوبريه : يبهز الانظار !

صوت امرأة : انه لبطل مغوار

فارس : (وهو يسط له يديه) اسمح لى يا سيدى ، فلعمر الجح

ما فى العالم أبدع مما رأينا ، وأنا فى مثله حكم ترضى حكومتى •

ولقد شهدت براعتك فما ملكت نفسى من ضرب الأرض بقدمى

اعجابا (وينصرف مسرعا) •

سيرانو : (الى كويجى) من يكون هذا السيد الذى انصرف

للحظة ؟

كويجى : هذا دارتانيان • يا عجباً ألم تكن تعرفه ؟

لوبريه : كلمة لى معك (ويمسكه من ذراعه لينصرف به ولكنه
لا يذهب) •

سيرانو : انتظر حتى ينصرف الناس (مخاطبا المشمل بلروز)
أناذن لى فى البقاء ؟

بلروز : (باحترام) بلا شك •

(تسمع جلبة فى الخارج وصيحات متعالية)

جودوليه : ماهذه الجلبة فى الخارج ؟ ان الجمهور يصفق
خلف مؤنفليرى تصفيق الاستهزاء

بلروز : (مخاطبا حراس الباب) : هلموا اخرجوا الناس
وأغلقوا الابواب ، ولكن اتركوا الانوار فانا سنتناول العشاء ولكننا
سنعود بعد ذلك للتمرن والمذاكرة فى أدوارنا الليلة القادمة •

(وينحنى المشلان لسيرانو تحية مؤدبة ، وينصرفان عنه) •

البواب : (لسيرانو) وأنت يا سيدى أذهب لتناول العشاء ؟

سيرانو : كلا

(البواب ينصرف)

لوبريه : ولماذا لا تلتمس العشاء ؟

سيرانو : (بألفة وكبرياء) : لانى •• (ويتمهل حتى يتوارى

البواب) ذلك لانى لا أملك درهما •

لوبريه : (بدهشة وهو يمثل حركة التطويح بكيس النقود)

كيف ؟ وكيس النقود ؟

سيرانو : فكرت كما يفكر الاب • اننا نعيش من يوم ليوم !

لويريه : يا عجباً لك .. ومم أنت منفق الشهر كله ؟

سيرانو : لم أعد أملك شيئاً

لويريه (وهو فى أشد الدهشة) : رمى الكيس حماقة ما بعدها

حماقة !

سيرانو : ولكنه عمل جميل ، وفعلة رائعة • ألا تراها كذلك ؟
(وكانت الفتاة التى تبيع الحلوى والاشربة فى المقصف واقفة من خلفهما وقد سمعت جوارهما فسعلت سعلة ظاهرة فالتفتا نحوها وتقدمت وجلة الى سيرانو)

البائعة : يؤلمنى يا سيدى أن أراك ممسكا عن الطعام ،
وها هو ذا المقصف خذ منه كفوا حاجتك (بحرارة) هيا تناول
منه ما يطيب لك •

سيرانو : (وهو يرفع قبعته اكبارا واحتراما لشعورها) أيتها
الصبية الرفيعة الحانية • لئن كان أبائى وعزة نفسى وحفاظى
وكرامتى ، تنهانى جميعا عن أن أتقبل أى عطاء مهما قل وضؤل من
يديك فإن خوفى من جرح شعورك برفضى ، وإيلا م نفسك بامساكى ،
ليتلبان عندى على الكرامة والاباء ، فلا يسعنى الا القبول (يتقدم
الى المقصف) : فليكن حسبى هذا القدر القليل سأخذ هذه
الاعناب ، وتقدم الفتاة العنقود كله وتعرض عليه شرابا ولكنه
يدفعها

سيرانو : بل شربة من ماء قراح أفضل ثم نصف قطعة من
البقسماط •

(وكانت قد تقدمت اليه بقطعة كاملة ، فرد النصف الآخر اليها)

لوبريه : يا لك من أحق !

الفتاة : ألا تأخذ شيئاً آخر ؟

سيرانو : نعم يدك لأقبلها ..

وينحنى على يد الفتاة يقبلها كما لو كانت يد أميرة عظيمة ،

وتنحنى له بأدب كثير : شكرا لك أيها السيد الكريم وطاب ليلك .

(تنصرف بسرعة)

المشهد الخامس

سيرانو - لوبريه - البواب

سيرانو : (يكلم لوبريه) الآن هات ما عندك فاني مسـتـمع لك

(يقف قبالة البوفيه ويضع البقسماط أمامه) العشاء أولا (ثم يمد يده الى الاعناب فيجعل صفحتها بجانب البقسماط ثم الشراب ، ويلقى قدح الماء حياله) ثم الفاكهة (ويأخذ له مجلسا قبالة عشائه) الآن الى المائدة . يا لله .. لقد كنت فى الواقع جائعا فى مثل سغب الطير الجارحة (يتناول الطعام)

- لقد كنت الآن تقول ؟

لوبريه : ان أولئك المنتفخين الذين يزدهيهم حديث النزال والطعان لن يلبشوا أن يذهبوا بلبك ، ويفسدوا عليك عقلك ،

فاذا لم تصدقنى ، فسل من كان به مسكة من عقل عن عقبي
هذه الجراءة المتناهية .

سيرانو : (وقد انتهى من تناول البقسماط) بقسماط فاخر .
لوبريه : الكردينال

سيرانو : (متهللا) أكان حاضرا الكردينال ؟

لوبريه : نعم ولا بد أنه كان من رأيه ...

سيرانو : انها مبتكرة .

لوبريه : ومع ذلك

سيرانو : انه مؤلف ، وأكبر ظنى أنه يسره أن أمنع تمثيل
رواية لزميل له .

لوبريه : (غاضبا) انك بمثل هذا ونحوه تكثر أعدائك ، وتزيد
خصومك وحاقديك .

سيرانو : (وهو يتناول الاعناب) كم بلغ عددهم الليلة في
اعتقادك ؟

لوبريه : أربعون لا أقل ، من غير أن نعد السيدات .

سيرانو : (مازحا) حسنا . عددهم لى

لوبريه : مونفليرى أولا ثم السيد الذى نهشته ثم دى جيش
والفيكونت والمؤلف بارو والمجمع العلمى ..

سيرانو : كفى ، انك لمسعدى

لوبريه : ولكن الى أية نتيجة ستؤدى بك هذه التصرفات الغريبة

فى النهاية ، هلا شرحت لى غرضك منها ومرادك ؟ خبرنى ماذا
تبغى من ورائها .

سيرانو : ماذا تريد أن أقول لك . لقد وجدتنى فى تيه
متشعب المسالك متناوح الدروب ورأسى أمام منافذ وسبل
كثيرة متفرقة فضلت وتهت فأخذت ...

لوبريه : أيها أخذت ؟

سيرانو : أسهلها . لقد وطنت النفس على أن أصيب الاعجاب
فى كل شىء

لوبريه : (يهز كتفيه) لىكن ذلك ، فما سر كراهيتك
لمونفليرى ، السر الحقيقى ، قل لى !

سيرانو : (ناهضا) هاك باعثا على بغضائه فاسمع : ان هذا
الممثل البطين ، سيلنوس (١) العجوز هذا ، ذو الكرش الضخم لا
يزال يحسب نفسه خطرا على الغيد ، كارثة على ربات الجمال .
من تنظر اليه منهن ، تقع فى حبه ، ومن تنظر اليه تستهم به ، فهو
حين تهدر شفاشفه ، فى تمثيل دوره ، ويسيل لعابه ، ويتساقط
ريقه ، يروح يلعب بحاجبيه ، ويغمز بطرفيه ، نحو مقاصيرهن ،
ويضرب بعينين غليظتين كعيني الضفدع ، ولقد كرهته من تلك
الليلة التى تجرأ فيها فرفع عينيه اليها ، حتى خيل الى أنى رأيت
« حلزونا » قد دب لينث لعابه فوق غلاف زهرة على فروعها
يائعة .

(١) Siléno ، تحكى الاساطير انه ابن هرمز ، ومربى دينسيوس وكان ذا كرش
ضخم ، مولما باحتساء الخمر

لوبريه : (مندهشا) عجا ! أو فيمكن أن تكون ٩٠٠ ؟
سيرانو : (يقاطعه ضاحكا ضحكة مريرة حزينة) في حب ؟
أى والله أنا أحب ؟

لوبريه : وهل يجوز لى أن أعرف من تكون ؟ لانك لم تقل لى
شيئا عن هذا قبل الآن .

سيرانو : أى والله انى محب ، ولكنه الحب اليأس لا أمل
فيه ، حب لا بصيص رجاء يشع عليه ، ولا علاقة فيه لتبادل ، حتى
ولا من جانب فتاة مسيحية فقيرة شوهاء ، اذ لعمر ك أية فتاة
تحبنى وأنا بهذا الالف القبيح المركب فى وجهى ، هذا الالف
المستطيل الذى يسبقنى أينما سرت ، ويتقدمنى باعا كلما مشيت
٠٠ ولكنى مع ذلك أحسست حبا فله ل تدرى من تلك التى
أحببت ؟ لقد أبى القدر العجيب الا أن أحب أجمل نساء
الارض ، فليت شعرى ماذا كانت الحال لو كان الامر بالعكس ؟
لوبريه : يالله أجمل نساء الارض تقول !

سيرانو : نعم ٠٠ أجمل النساء كافة ، وأذكاهن عقلا وأرقهن
حاشية ٠٠ ثم أفتنهن لون شعر ، وذهب جدائل
لوبريه : ومن هى ؟ بربك قل لى !

سيرانو : هى الخطر تمثل انسانا سويا ، والفتنة المبيتة
تجسمت بشرية براءة كلها ونقاء ، مليئة بمفتن وبهاء ، وهى بها
غير آبهة ولا دارية . كأنها وردة حلوة عطرة ، فنج من فخانج

الطبيعة ، بين لفائفها وأوراقها يكمن « كيوبيد » إله الحب فى
خفية ، فمن رآها تبسم رأى الكمال الانسانى مائلا ، وانها لتقطر
ملاحة فتجعل لآئفه الاشياء شأنا ، وتضفى عليه من حسننها حسنا ،
فى كل حركة منها وإشارة نقاء سماوى وطهارة ، فلا والله ما « فينوس »
نفسها على زورقها الصدفى فى البحر ماخرا ، كمثلها وهى على
المحفة سائرة ولا « ديانا » ذاتها وهى تجوب الغابة فى الربيع الزاهر
خاطرة لتعدل جمال تهاديبها وخطراتها مجتازة بك عابرة •

لوبريه : يا للشيطان لقد وضع الآن لى من تعنى •

سيرانو : بل أوضح من النهار •

لوبريه : انها ابنة عمك مجدولين روبان • المشهورة بروكسان

سيرانو : أجل روكسان •

لوبريه : لا بأس من ذلك ولا ضير بل لعل فيه الخير ولكن
لماذا لا تبوح لها بحبك وقد شاهدت الليلة انتصارك وعلو شأنك •

سيرانو : أطل النظر فى وجهى ثم خبرنى بأى أمل أيها الصديق
يوحى الى قلبى هذا الانف النابت فى وجهى • ما أنا بالذى يفرى
نفسه بخداع الآمال ، وينساق مع كواذب الامانى ، ولكنى
لا أكتنك يا صاحبى أن هناك أويقات تمر على أحسن فيها أحيانا
بحنان يسيل على قلبى ونشوة حب تخامرنى اذا أتى أزرق المساء
فأدخل روضة ناضرة عطرة أستنشق بأنفى الكبير المتقوس أرجها
ورياها وأملأ صدرى من نفحات الربيع المبكر • وقد يتاح لى أثناء
ذلك أن أرى فى الشعاع الفضى شبح عاشقين يمسك أحدهما بذراع

الآخر فأتمنى لو صحبتنى كهذا الهمام غادة تمسك بذراعى أنا
أيضا ونمشى معا بخطى صغيرة فى ضوء القمر السامى ، ولا يننى
الحيال يستخفى ويطير بى حتى تصدمنى الحقيقة وتبسد الامانى
والاحلام فجأة حين أرى ظل وجهى مبتسما على حائط الروض:
لوبريه (متأثرا) : واه لك أيها الصديق !

سيرانو : انه فى الحق لأليم أن أشعر أحيانا بوحدة ووحشتى
وأبين النحس المقترن بقبح سحتى •
لوبريه : أبكى ؟

سيرانو : لا يا سيدى ولن ترانى باكيا أبد الدهر ، وهل هناك
أقبح منظرا من دمعة تنحدر على ذلك الانف الطويل ، اننى لن
أترك ما حبيت ذلك الجمال المائل فى الدموع يخالط القبح ويجانسه ،
أعرف يا صاحبى ما الدموع ؟ لا شئ أنبل منها فى الكون وأعلى ،
لا شئ •• ولا أريد أن أريق واحدة منها تكون عرضة للضحك
والسخرية ••

لوبريه : (يهز رأسه) هون عليك ولا تحزن • الحب أحاط
وجود ••

سيرانو : لا • أنظر الى ، هل أنا قيصر فأهيم بكليوباترة ، أو
أنا فينوس فأحب بريس ؟

لوبريه : ان لك يا صديقى شجاعتك ، وعقلك •• أنسيت الفتاة
الصغيرة التى عرضت عليك الساعة الطعام والشراب •• وهل رأيت
كيف أن عينها سكنتا اليك وأعجبتا بك ؟

سيرانو : أى والله ، لقد كان ذلك !
لوبريه : ما بالك اذن تستسلم هكذا لليأس ؟ فلقد والله رأيت
روكسان نفسها شاحبة اللون وهى ترقب المباراة وتتبعها •
سيرانو : أكانت حقاً شاحبة ؟
لوبريه : ان قلبها وخاطرها لفى عجب فتشجع وتحدث إليها
لعلها ...

سيرانو : تسخر من قبضى •• لا • فان هذا هو الشيء
الوحيد فى العالم الذى أخشاه !
(يدخل حارس الملهى)

الحارس : سيدة تسأل عنك يا سيدى
سيرانو : (يلمح وصيفة روكسان قادمة إليه) يا الهى هذه
وصيفتها !

المشهد السادس

سيرانو - لوبريه - الوصيفة

الوصيفة : كلفت يا سيدى بأن أعرف فى أى مكان يصلح لسيدة
معروفة أن تقابل ابن عمها الشجاع الباسل على انفراد بمنأى عن
العيون والرقباء ••

سيرانو : أتريد مقابلتى أنا ؟

الوصيفة : نعم يا سيدى ، انها تريد أن تتحدث اليك فى أمر ما •
سيرانو : فى أمر ما ؟ يا للعجب وماذا عسى أن يكون ؟

الوصيفة : فى شئون خاصة يا سيدى •

سيرانو : يا آلهى •

الوصيفة : غدا حين يتورد وجه النهار ، ويصطبغ محيا الصباح

بارجوان الشق ، ستذهب للصلاة فى كنيسة سان روك •

سيرانو : يا الهى ؟

الوصيفة : ففى أى مكان بعد الصلاة تستطيع سيدتى أن تخلو

بك •• عجل بالجواب ؟

سيرانو : دعينى أفكر ! فى مطعم •• راجينو •• الجلوانى ••

الوصيفة : وأين يكون ؟

سيرانو : فى شارع (ينسى من فرط اضطرابه مكان الحان) ،

فى شارع سان أونوريه ••

الوصيفة : حسنا يا سيدى • فلتكن فى انتظارنا هناك فى السابعة

من الصباح •

سيرانو : بلا أدنى شك •

المشهد السابع

سيرانو - لوبريه - المثلون والمثلات

كويجى - بريساي - لينير - البواب - الموسيقيون

سيرانو (مضطرب الفؤاد مرتبيا على صدر صاحبه) : يا الله ••

أموعد منها ؟ ••

لوبريه : لا تحزن اذن ولا تبتس بعد الآن •

سيرانو : لتحترق الدنيا ، وليفن العالم فما أحفل اليوم به ...
اذ حسبى انها قد عرفت ان سيرانو فى هذا العالم يحيا .
لابريه : والآن لعلك تهذا ؟

سيرانو : الآن ... ولكنى الآن فى جنة ، أنا عاصفة تهدر
وسماء تصعق .. ألا من جيش كامل أنازله .. فان لى الآن عشرة
قلوب تخفق فى صدرى وان لى عشرين ذراعا .. ولا يكفينى الاقزام
لاقدها بسيفى .. ألا من عمالقة ؟

(تبدو أشباح الممثلين فى هذه اللحظة على المسرح وأصواتهم
الخافتة تترامى فى الردهة وقد بدأوا يتمرنون على القاء أدوارهم فى
الرواية القادمة)

(أحدهم وقد سمع صوت سيرانو) : ما هذه الاصوات ونحن
تمرن على الرواية ؟

سيرانو : (الى الممثلين الواقفين فوق المسرح وديعا ضاحكا)
لا بأس .. سنذهب فى الحال (ولكنه عند الباب يرى كويجى
وبريساى وبعض الضباط والجنود وقد حملوا رجلا من فرط السكر
لم تعد ساقاه تقويان على حمله)

كويجى : لقد أحضروا اليك رجلا أخذ فيه الشراب ..
سيرانو : (وقد عرفه) يا عجبا .. هذا لينبير ، فماذا ؟
كويجى - انه يبحث عنك ..

بريساى : ولا يجرؤ على الذهاب الى بيته .
سيرانو : ما الذى يمنعه من ذلك ؟

لينير : لقد جاءنى هذا الكتاب ينبئنى بأن مائة رجل سيكمنون
لى عند بوابة «نل» ليقتلونى ، وما أحسب الا أنهم قد استؤجروا
شفاء لموجدة • ورغبة فى انتقام ، ولعلك لم تنس أنت تلك القصيدة
الهجائية التى قلتها • ولا بد لى من المرور بذلك الموضع فى طريقى
الليلة الى بيتى ولست على هذا جريئا • فهلا أذنت لى فى المبيت الليلة
تحت سقف بيتك •

سيرانو : أتقول مائة رجل ؟ يمين الرحمن انك الليلة ستنام
فى بيتك ••

لينير : ولكن •• كيف يا صاح وأنا ••

سيرانو : (فى غنف وصنوت قاصف ، مشيرا الى المصباح
المضاء الذى يحمله بواب المسرح ، وكان هذا هاجه الفضول
فتلكا ليسمع الحديث) : خذ المصباح منه •

لينير : (مدعنا لا يقول شيئا)

سيرانو : هيا بنا •• وأقسم لك اننى سأهينك لك مرقدك بنفسى
فى هذه الليلة (الى الضباط والجنود) اتبعونا ولكن عن بعد ••
لتكونوا على ما سيجرى شهودا •

كويجى - ولكن مائة رجل •••••

سيرانو : لو كانوا دون ذلك لما رضيت قتالا ••

(وكان المثلون والممثلات فى ثياب التمثيل قد نزلوا فى تلك
الحفلة من المسرح ووقفوا يصنفون الى الحديث)
لوبريه : وعلام تورط نفسك فى أمر كهذا ؟

سيرانو : يا عجباً لو بريه الذى يعلم ، هو الذى يؤنب ويلوم •
لو بريه : ولكن أذلك السكير الحقير ؟ • •

سيرانو (مقاطعاً وهو يأخذ لينير تحت جناحه ويربت على كتفه
ملاطفاً) : أعلم أن هذا السكير الذى يملأ كل ليلة جوفه خمرا ،
بل هذا الدن أو الراقود • • فعل ذات يوم فعلة جميلة ، وذلك أنه
بينما كان يهم بالخروج من الكنيسة بعد الصلاة اذ رأى حبيته وهى
تشرب من الماء المقدس فما كان منه وهو الذى يعاقر الخمر ويعاف
الماء القراح الا أن أسرع نحو جرن الماء المقدس فشرب ذلك الماء
الى آخر قطرة •

(احدى المثلثات فى زى وصيفة) : حقا انه لعمل جميل

سيرانو : ألم أقل الحق أيتها الوصيفة ؟

الوصيفة (للآخرين) : ولكن لماذا يتألب مائة على شاعر مسكين
كهذا وأى ذنب جناه ؟

(ولكن أحدا لم يجيبها عن سؤالها) • •

سيرانو : هلموا بنا • •

(الى الضباط) : وأنتم أيها السادة حين تروننى أحمل على

القوم لا يتقدم أحد منكم نحوى لمعونة ولا تحاولوا مددا • •

(ممثلة أخرى تقفز من فوق المسرح) : لكم الله • • خذونى معكم

لا شاهد وأرى •

سيرانو (لها ضاحكا) : هيا اذن معنا •

(ممثل يقفز من مكانه فى البهو ويلتفت الى زميل له : وانت ألا تذهب معنا لتشهد كيف يخضب الدم الثرى)

سيرانو : تعالوا جميعا •• وهلموا بجمعكم •• ليكمل المهرجان بكم ، ويقترن من هذه الرواية التى ستمثل •• الجد فيها بالمهزلة ، والوقار بالسخرية ••

(النساء جميعا يتراقصن من الفرح ويصفقن وترتفع الأصوات)
سيرانو : لتبدأ فرقة الموسيقى عزف دور المسير •

(يتألف موكب بديع ينضم ضاربو الكمان اليه وينتزعون الشموع التى تضىء جوانب المسرح ليتخذوا منها مشاعل فى الطريق وأنواره •

سيرانو : (يتقدم الضباط والجنود ، تتلوهم النساء أترابا ، فى أرديتهم وثياب تمثيلهم أسرابا ، وعلى عشرين خطوة من ورائهن)
سأمشى أنا بمفردى ، تحت هذه الريشة التى زان المجد بها قبعتى ، فخورا معتزا بشجاعتي وكرامتي، ولكن حذار أن يتقدم أحدا لمعوتنى •• والآن هلموا • واحد • اثنين • ثلاثة • يا حارس ! افتح الأبواب •

(وهنا تلوح باريس للعيان فى سر الليل الرهيب ، وهى تمتد وتتباعد ، تحت ضياء القمر)

سيرانو : ها هى ذى باريس قد لفها الليل بسواد ردهائه ، وها هو ذا القمر يسيل لجين ضيائه على منحدر السقوف الزرقاء • فما أنسبه لمعركة الليل زينة • وما أجمله لصورتها اطارا • بل ها هو ذا نهر

السين كالمرأة الساحرة يرعش ويضطرب تحت وشاح من البخار
وماهى الا لحظة حتى تشاهدوا ما أنتم مشاهدوه ...

الجميع : الى باب نل .. الى باب نل ..

سيرانو : (على عتبة الباب صارخا) : نعم الى باب نل ، الى
المثلة التى كانت منذ لحظة تسأل عن سر تألب مائة رجل على رجل ،
ألم تسألى يا فتاة ما الذى جمع مائة رجل على واحد بمفرده ؟ (يستل
سيفه) السر يا حسناء أنهم عرفوا ان ذلك الرجل صاحبى ، ولعنة الله
على من يخذل صاحبه ..

(ينطلق منصرفا ، يجرى لينير فى أثره مترنحا متعثرا ، يتبعه
الجميع من الضباط والجنود والممثلين والممثلات بينما راحت الموسيقى
ندق أعذب النغمات والليل رهيب والمشاغل ترسل ظلالا مترافقة)

سـیزانو دی برجر اک

الفصل الثانی

الفصل الثاني

المنظر (مطعم الشعراء)

كان راجينو « الحلواني » و « الكبابجي » يطل
على شارعين . شارع سان اندريه وشارع لابرسك
أي الشجرة الجافة .

المنضدة الرخامية المستطيلة التي تصف فوقها
الصحاف والاكواب عند القيم فوقها رف من صلب علقت
بالخطاف من أنواع الطير مختلفة بين أول وبسط
ودبكة . وهناك أوان من الخزف تحمل بالقات من
الزهر وأصص من عباد الشمس وغيره من الأزهار .
ثم مائدة لطيفة وبار مشبوبة من فوقها سفاليد
وأوعية للشواء والطهي بأنواعه . وعن اليمين سلم
للليل الدرجات يؤدي إلى غرفة ذات مائدة لمن يريد
الغلو إلى طعام وشراب ، وقد الفرع عن السلم
دهليز خشبي يفضي إلى غرف أخرى مماثلة . وفي
وسط الحانوت يتدفق طوق كبير من حديد له بكرة
لرفعه وخفضه وقد استدارت من حوله لحوم السميد .
وكانت (الأفران) تبدو من تحت السلم من لهبها
الحمر ، ونيرانها المتقدة ، وقد برقت عندها الآلية
النحاسية من صقلتها ولمعانها ، واجتمعت أكوام من
المأكول والأطعمة في أشكال هندسية مربعات ومخاريط
كالأهرام .

وكان النهار قد طلع وبدأت الحركة في المطعم
لأعداد معدات اليوم ومطالبيه . وصبيان الطهاة في
شغل رالحين عادة . والطباخون السمان البطان ومن
يلونهم من الخدم والغلمان في الطهي وضجوا فلانسهم
البيضاء فوق رؤوسهم مزداة بريش كثير من ريش
الديكة والدجاج . وهم يحملون فوق ألواح معدنية
أو خيزرانية أكداسا مكدة من اللطائر والكسك

وصنوف العلوى .

وفي نواحي الحانوت وأرجاله مناضد صفت
حولها الكراسي ووضع عليها ما لد وطاب من
صنوف المأكول وصحاف الطعام .

المشهد الاول

يشاهد راجينو ، عند رفع الستار ، جالسا
الى منضدة صغيرة قائمة في ركن من العائوت ، عليه
الدفاتر والاوراق .. وهو منهك في الكتابة . سابع
المخيلة رافع بصره الى السماء ، يعد على اصابعه
بين لحظة واخرى .

طاه : (يحمل وعاء ممثلا بالحلوى) حلوى بالفاكهة - « نوجا »

طاه ثان : (يحمل طبقا) حلوى « كستر »

طاه ثالث : (يحمل ديكا محمرا فوق ريشه) طاووس !

طاه رابع : (يحمل صينية عليها فطائر الحلوى) : فطائر رقاق !

طاه خامس : (يحمل قدرا) مرق لحم بقرى .

(راجينو ينقطع عن الكتابة ويرفع عن الدفاتر رأسه)

راجينو : (لنفسه) ها هو الفجر قد بدأت تتألق فضته على

الآنية النحاسية ، ولا تزال يا راجينو مضطرا الى خلق وحى

الشاعرية للذى يطير في صدرك . ولن تلبث أن تحين ساعة الغناء

والحان القيثار .. الآن سأعد « المواعد » والافران .. (ثم

ينهض من مجلسه ويوجه كلاما لاحد الطهاة) : هذا المرق سميك

يا هذا ألا خففته ا

الطاهى : الى أى قدر أخففه ؟

راجينو : اسكب عليه الماء حتى يرتفع الى ثلاثة أقدام

(يتعد عنه)

الطاهى : كذا !

الطاهى الاول : الى « بالتورته » !

الطاهى الثانى : لقمة القاضى !

راجينو : (يقف أمام موقد قريب منه) يا بنات الشعر عودى
الى خدورك لئلا تلتهب الاعين الساحرة من أجيج النيران الشائرة
(طاه يقربه ويعرض عليه خبزا) : لقد أخطأت وأساءت
التقسيم . ألا تعلم أن المقطع ينبغى أن يكون بين المصراعين
لوزن الشطرين ؟ (الى آخر يعرض عليه فطيرة كبيرة لم تستكمل
نضجها) هذا قصر بلا سقف ، فأضف له سقفا (والى طاه ثالث
من ناشئة الطهاة ، وكان يشوى دجاجا على السفود) وأنت
يا بنى ، أراك لا ينضج لك شواء . انك تنظم الدجاجة الصغيرة
مع الديك الكبير فى سفود واحد ، وكان يجب أن تنظم كالشاعر
« ما لرب » البيوت الطويلة متناوبة مع البيوت القصيرة ، وأن تدير
على النار مجموعات متراصة من الشواء .

(يتقدم طاه ناشئ آخر من صناعة الحلوى يحمل وعاء
مغطى) : لقد تذكرت أيها « المعلم » ذوقك وما تحب ويروك
فاصطنعت هذا الصنف لك فلعله سيسرك (يكشف الغلام عندئذ
عن فطيرة مطهوة فى شكل قيثارة) ..

راجينو (متهلل الوجه) : قيثارة ؟

الطاهى الناشئ : نعم .. وهى من الدقيق والزبد والبيض
والسكر ..

راجينو : (متأثرا) وفواكه مجففة مسكرة ا
الطاهى الناشئ : ألا ترى الى أوتاره كيف صنعتها من
السكر ؟

راجينو : (ينفحه ببعض الدراهم) خذ هذا لتشرب كأسا
فى صحتى ..

(يرى زوجته ليز قادمة) : اذهب ولا تبطىء واخف القطعة
التي أعطيتك (ويتجه صوب ليز امرأته فيريها الفيثار وبه حرج)
أليست رائعة ؟

ليزا : (متأففة ضجرة) انها لسخافة وعبث (تضع على
المنضدة رزما من أوراق ولقائف لتصنع منها أكياسا صفارا
لصنع الحلوى)

راجينو : ما هذا ؟ أكياسا أرى ؟ شكرا لك (يدنو من
الأوراق ليتأملها) يا الهى اكتبى المبجلة وقصائد أصحابى ،
سولت لك النفس تمزيقها على هذه الصورة وتشويهها ،
لتصنعى منها أكياسا للفظائر ها أنت تعيدى تمثيل القصة
القديمة .. قصة أورفيوس وكاهنات باخوس (١) .

(١) تقول الاساطير ان أورفيوس كان يعرف على فيثارة فترقد الوجود
الكاسرة عند قدميه كالحيوان وتتراقص الأشجار والطيور . وكانت كاهنات باخوس
اله الخمر يتخلدن موسيقاه ماثارا للمريدة والمجون

ليزا : (بجفوة) ألسـت حرة على الأقل فى الانتفاع بهذا الشئ
الوحيد الذى يتركه كتابك الاردياء أصحاب الاشعار المبتورة ،
ثمنا لما طعموا وشربوا ؟

راجينو : أيتها النملة .. لا تسبى الجنادب المقدسة -
معاشر الشعراء الصادحين بأعذب الشعر وأحلاه نفما ..

ليزا : لم تكن قبل معرفتك بهذه الطغمة من الصحاب والاصدقاء
تدعونى نملة وتشبهنى بكاهنات باخوس .

راجينو : أهكذا بالشعر تصنعين !

ليزا : لا شئ خلاف ذلك .

راجينو : وما تصنعين اذن بالنثر يا سيدتى ؟

المشهد الثانى

(يدخل غلامان صغيران يقفزان قفزا)

راجينو : ماذا تطلبان أيها الصغيران ؟

أهدما : ثلاث فطائر

راجينو : (بعد أن يعطيهما) انظرا كيف هى طازجة ساخنة

الغلام الثانى : هلا تفضلت يا سيدى فلففتها لنا .

راجينو : (وهو حائر متألم يقول لنفسه) يا للأسف !

سأفارق قصيدة من قصائد أصحابى (الى الغلامين) أو لا بد
من لفها ؟

(يتناول كيسا من الورق ويهم بأن يضع فيه الفطائر لولا
أن أخذت عينيه من الكيس هذا الشرط : « ولما فارق عولص
حسنا بنيلوب » ... ليس هذا !) وتناول كيسا آخر وكاد
يضع الحلوى في جوفه لولا أن قرأ على ظاهره) : « فيبيس
الشقراء » ... لا ، لا ، لا ، ليس هذا !

ليزا : (وقد عيل صبرها) ما هذا التلكؤ ؟

راجينو : ها هو ، ها هو ، ها هو

(يتناول كيسا ثالثا بيد راعشة مستسلمة ويلقى عليه نظرة ..
ثم يقول) : « أغنية المناجاة - الى فيليس » . فلتكن هذه وان كان
فراقى لها محزنا قاسيا .

ليزا : الحمد لله على أنك انتهيت من تخير الاكياس أخيرا ،
(تهز كتفها) : يا لك من متردد جبان (١) (تصعد مقعدا
وتصف الصحف وتنسق الآنية) .

راجينو : (يراها متولية عنه فيغفلها فينادى الغلامين وكالاquad.
بلغا الباب) : هلا رددتما لى « مناجاة فيليس » وأخذتما ست
فطائر بدلا من ثلاث ؟

فما أن يسمع الصبيان هذه المساومة الراححة حتى يدفعوا بالكيس
اليه ويتناولوا الفطائر الست وينصرفا مسرعين .

(١) في الاصل « يا نيقوديموس » وكان من كبار اليهود الذين جاءوا الى
المسيح ليتعلموا منه ، ولكن لباراته له كانت تتم في المساء خوفا من اليهود .

راجينو : (ينشر الورقة ويثلو مافيا من الشعر) فيليس !
يا أسفاه على هذا الاسم البديع الفاتن ، الحلو الرنين .. فيليس
لقد تلوث بزبد الفطيرة .

المشهد الثالث

راجينو - ليز - سيرانو - الفارس

(يدخل سيرانو مسرعا)

سيرانو : كم الساعة الآن ؟

راجينو : (وقد رأى سيرانو يدخل الحانوت مسرعا ، يتحنى
انحناءة بالغة) : أحسبها السادسة .

سيرانو : (بلهجة حماسية وانفعال وقلق) لم يبق اذن على
الموعد غير ساعة واحدة (يذرع الحانوت ذهابا وجيئة ، ويمشي
راجينو فى اثره)

راجينو : مرحى ! لقد رأيت ...

سيرانو : ماذا ؟

راجينو : معركتكم ..

سيرانو : أية معركة ؟

راجينو : المعركة الرائعة التى جرت فى فندق بورغونيا

سيرانو : (بازدرأه) آه .. المبارزة !

راجينو : أجل .. المبارزة فى الشعر

ليزا : هو هكذا أبدا ، لا يتكلم فى شيء سواه .

سيرانو : ما فى ذلك من بأس !
راجينو : (يجرح نفسه بسفود أمسك به) وفى المقطع الاخير
أصيب ا وفى المقطع الاخير أصيب ا حقا ان هذا لبديع ا
سيرانو : (بقلق وصبر نافذ) كم الساعة الآن يا راجينو ؟
راجينو (وكان قد وقف يلوح بسفوده كأنه السيف فى كفه
مقلدا سيرانو حين كان يجالذ المركز ويصوب الطعنات اليه
فأمسك بصره الى الساعة المعلقة فوق الجدار) : الدقيقة الخامسة
بعد السادسة ، ولكن دعنى أتمثل بختام الابيات المرتجلة حيث تقول
« فى المقطع الاخير أصيب » .. لى الله ما أشوقنى الى نظم موشح
غنائى .

سيرانو : بازاء المنضدة الرخامية المستطيلة ويسلم على ليزا وهو
شارد الفكر فترى يده جريحة .
ليزا : ما الذى أصاب يدك ؟

سيرانو : لا شىء ، جرح خفيف .
راجينو : هل جرى لك حادث سوء أو تعرضت لخطر ؟
سيرانو : لا شىء مطلقا

ليزا : (تهدده باصبعها) لست تقول حقا !
سيرانو : وهل رأيت أنفى يرعش وأنا أتكلم ؟ ان مثل هذه
الحركة تدل على افك عظيم (يغير لهجته) اننى أنتظر هنا بعض
الناس ، فاذا جاءوا فاتركونا وحدنا ولا تزعجوننا لشىء ما حتى
ولو قامت القيامة وأزفت الآزفة !

راجينو : ولكن هذا مستحيل فان أصحابى الشعراء قادمون •
ليزا : (بتهمك لاذع) لكى يتناولوا وجبتهم الأولى •
سيرانو : (للحلوانى متلطفا) أرجو أن تتنحى بهم ناحية حين
ترى اشارة منى .. خبرنى كم الساعة الآن ؟

راجينو : السادسة وعشر دقائق •
سيرانو : (يفتقد مجلس راجينو ازاء منضدته وهو فى حال
من القلق ظاهرة • يتناول ورقة من فوقها) على بقلم •
راجينو : (يدفع اليه بالقلم الذى كان قد وضعه خلف احدى
أذنيه) هاكه فانه من ريش بجعة •

(يدخل الحانوت فارس من حرس الملك ، له شارب كبير)
الفارس : (بصوت راعد) طاب صباحكم •
ليزا : (تسرع اليه)

سيرانو : (متأملا) من هذا ؟
راجينو : هذا صاحب لزوجتى ، وهو جندى مخيف ومقاتل
جبار كما يزعم هو عن نفسه •

سيرانو : (يتناول القلم فى يده ويشير الى راجينو ليعتد)
سكوتا • (ثم يناجى نفسه) أكتب الكتاب وأطويه .. وأدفع
به اليها وأنطلق هربا • (ولكنه يلقى بالقلم من كفه) يا لى من
جبان .. يخيلى الى اننى أموت أو أصعق قبل أن أجترى على
مفاتحتها بما فى فؤادى أو أنطق أمامها بكلمة واحدة • (الى
راجينو) كم الساعة ؟

راجينو : السادسة والربع •

سيرانو : (يضرب صدره بيده) ألا من كلمة واحدة من
الكلمات التى يخر بها صدرى هذا ! (يتناول القلم مرة ثانية)
والآن لاكتب هذه الرسالة الغرامية التى ألفتها وأعدتها فى
نفسى مائة مرة ومرة... وما على الا أن أضعروحى بجانب القرطاس
لا نسخ صورة مما فيها عليه (وبينما هو مكب على الكتاب لاحت له
من وراء الباب الزجاجى أشباح هزيلة مترددة)

المشهد الرابع

راجينو - ليز - الفارس - سيرانو - الشعراء

ليزا : (الى زوجها مهرة غضبى متبرمة) هاهم أولاء
شعراؤك المهلهلون قد حضروا .

يدخل الشعراء فى ثياب سود ، ترتدى أطراف جواربهم فوق
وجوه أحذيتهم ، لافتقارها الى الحمائل والاربطة ، وهم شعث ،
غبر ، تتلطخ بالاولحال أرديتهم .

أولهم : (الى راجينو محيا) السلام على نسيبى فى الشعر
والفن ..

الثانى : (باليد مصافحا) سلام على نسيبى العزيز

الثالث : (مناديا) تحية لك أيها النسر المحلق وسط طهارة
الحلوى والفطير (يرفع أنفه ليشم الفطائر) : حقا ما أذكى رائحة
عشك !

الرابع : لقد انقلبت « فيبيس » ربة النور حلوانيا ...
الخامس : السلام على « أبوللون » (١) رب الطهارة
البارءون .

(يجتمعون من حوله يماثلونه ويتملقونه ويدورون به)
راجينو : ما أروح النفس اليكم وما آنس خاطر بكم ، كلما
اجتمعتم تهللت لكم الروح تهللا .

الاول : لقد عاقتنا جموع الفوغاء عن البكور اليك فان الزحام
كان شديدا حول « بوابة نل »

الثاني : وقد تجمعهم الناس وأحاطوا بجثث ثمانية من اللصوص
كانت طريحة فوق الافاريز مشخنة الجراح ، كست أديم الارض
خضابا .

سيرانو : (مكبا على الكتاب الذى بين يديه ولكنه اذيسع
صوت هذا الراوى يرفع بصره) ثمانية ا كنت أظنهم سبعة .
(يعاود الكتابة)

راجينو : (لسيرانو) وهل عرفت يا سيدى من يكون بطل
المعركة ؟

سيرانو : (دون أن يرفع اليه نظره أو يحتفل بالجواب)
لست أنا ..

ليزا : (الى الفارس) وأنت هل تعرفه ؟
الفارس : (وهو يقتل شاربيه) ربما ..

(١) اله الشمس عند الاغريق والرومان ، ورب الشعر والموسيقى

سيرانو : (وهو لا يزال منشغلا بكتابه مغمما) « أحبك ..
أحبك .. »

الشاعر الاول : ولقد سمعت بأن رجلا واحدا هو الذى دوح
عصابة بأكملها وبدد شملها ! ..

الثانى : يا له من مشهد عجيب ، الهراوات والأسنة كانت
تغطى الارض ! ..

سيرانو : (لا يزال يكتب) وان عينيك ..

الثالث : (فى حماسة بالغة) وكان الناس يجدون القبعات
والقلانس حتى ساحل نهر السين !

الاول : يا لله لا بد أن يكون ذلك البطل وحشا ضاريا ..

سيرانو : (كدأبه) وان شفتيك ..

الاول : لقد كان صاحب هذه الفعال الجسم بلا ريب ماردا
جبارا يقذف الرعب فى القلوب ..

سيرانو : (مكبا على القرطاس) وحين أراك دائية أتنفض من
الرعب وتسرى الرعدة فى أوصالى ..

الثانى : (وهو يلتهم فطيرة أهوى عليها) ألا تنشدنا ياراجينو
مما نظمت أخيرا ؟

سيرانو : (وقد هم فى تلك اللحظة أن يمهر الكتاب بتوقيعه)
من الذى يهواك (ولكنه أمسك ونهض من مجلسه ودس
الكتاب طى ثوبه) لا ضرورة للتوقيع مادمت سأدفع اليها
الكتاب بنفسى .

راجينو : (للشاعر الثانى) لقد وصفت وصفة من الفطير فى قصيدة خريدة من الشعر الذى اختمر فى صدرى

الثالث : (وقد جلس الى صحيفة حوت قطعة من الحلوى المزيجة بالقشدة) هلم اسمعنا ما قلت فكلنا آذان ..

الرابع : (ينظر الى فطيرة قد تناولها صاحبه) مالى أرى قبعتها منحرفة الى ناحية . ألا يحسن أن نأتيها بأسنانها ننقص من أطرافها لتعتدل ويستقيم غطاء رأسها .. (ويهوى على الفطيرة فيقضم رأسها) .

الاول : انظروا الى هذه الكيكة المحلاة بالجنزيل ، انها لتغمر للشاعر الساغب بعينيها اللوزيتين وحاجبيها المصنوعتين من حشيشة الملائكة فتستبيه بحسنها الفتان (يلتمها التهاما الحوت المفترس) ..

الثانى : أسمعا قصيدتك !

الثالث : (يضرب بأصبعه جوف فطيرة محشوة بالقشدة) يا لله ما بالها ، هكذا تومض ضاحكة حتى ليسيل عسلها على جوانبها وينبعث من جوفها الدسم الشهى للطاعمين .

الثانى : (وقد أنشب أسنانه فى الفطيرة المصنوعة على صورة القيثارة) : بالله ! هذه هى أول مرة فى حياتى تغذينى القيثارة فيها أشهى الانغام مؤنة ..

راجينو : (استعد للانشاد فتتحنج وسعل وأرخى قبعته على جبينه ووقف وقفة شاعر معجب بنفسه) اليكم قصيدتى فى وصفة اللوزينج .

(الشعراء في شغل بالتهام الفطائر والانتقاض على الكعك
والحلوى)

الثاني : (للاول وهو يدفعه بمرقه) أتناول طعام افطارك ؟

الاول : (للثاني) أتناول عشاءك ؟

راجينو : والآن اليكم وصفة كعكة اللوز

أخفق البيض خفيفا ، ولكن مسرعا .. حتى يتكاثف زلاله مع
محه فلا يكون مائعا .. واخلط مع خفضه به عصير ليمون طيبا
رائعا .. وضع على الخليط اللبن والبلوز معا .. ثم أحط خصر
القلب الجميل بالعجين .. وخطط على القمة التقاسم برفق ولين ..
واقطر المزيج بخفة ورشرشة .. وهات القشدة الصريحة المنعشة ..
فاسكب منها سكبا طيبا .. وادخل القوالب في الفرن قالبا قالبا ..
فاذا أخرجتها كانت محمرة الاديوم .. وظفرت من أكلها بمتاع
ونعيم .. وصحت في فرح وحمية .. انها لوزية أى لوزية !
(ترتفع أصوات الشعراء بالهتاف وقد امتلأت بالفطائر
أشداقهم) عظيم ! لذيذ !

شاعر : (يكاد يخنق من الطعام) أحسنت !

(الشعراء ينصرفون الى موضع آخر من الحانوت وهم منتتمخو
الاشداق بالطعام)

سيرانو : (لراجينو وكان يتأمل هذا المشهد الغريب) ألم تر
اليهم كيف يطربهم صوتك فشرهوا على الطعام ؟

راجينو : نعم رأيت ذلك ولكنى تظاهرت بأنى لا أرى حياء

منهم، وخوفا من ايلامهم، وهكذا اكتسب سرورا مضاعفا وأجنى
لذة مزدوجة حين أشدهم أشعاري لأننى أتركهم أحرارا يأكل
منهم من لم يأكل ! وفى الوقت ذاته أحقق شهوتى للشعر وهو
ضعف فى ممتع .

سيرانو : (وهو يربت على كتفه) انك تعجبني ! (ينصرف
الحلوانى لينضم الى رفاقه ، يتبعه سيرانو بناظريه ثم ينادى
زوجة الحلوانى بحدة وكانت تتحدث الى الفارس حديث
الغرام) ما الأمر ياليز ، أهذا الضابط يحاصرك ؟

ليزا : (بغضب) ان نظرة ازدراء واحدة منى تعرف كيف تقهر
أى رجل ان هو اجتراً على عفاى وفضائلى .

سيرانو : (بسخرية) لكنى أرى الأعين القاهرة ضعيفة
مستسلمة ..

ليزا : (تستشيط غضبا) ولكن ...

سيرانو : (بلهجة حادة قاطعة) اننى أحب راجينو وأنت
فلتعلمى يا سيدة ليز اننى لن أسمح بأن يجعل ضحكة من أحد مهما
كان شأنه .

ليزا : ولكن ...

(تحاول ليزا أن تتكلم ولكنه يستبقها رافعا صوته بالندير
والوعيد لكى يبلغ ذلك الجرىء الفاجر الذى يغازلها)

سيرانو : ليتعظ من يسمع !

(يحبى الضابط ويمضى الى الباب القصى ليراقب بعد أن
تطلع الى ساعة الجدار)

ليزا : (الى الضابط وكان هذا قد رد على تحية سيرانو
فحسب) انى لأتعجب منك .. أهذا كل جوابك؟ هل فاتك أنه ؟
الضابط : (مرتبكا) أى والله .. انه أنه ، حقا ان أنه ..
(يتقدم ولكن فى ناحية بعيدة متحاشيا الدنو من سيرانو وهى
تتبعه وتتأثره لتعرف أين هو ملتمس أن يذهب) .

سيرانو : (وهو لدى الباب يشير الى راجينو ليصرف
الشعراء بعيدا) هيا .. (فينتحى الحلوانى بالشعراء الى ناحية
الباب الايمن)

راجينو : تعالوا بنا الى هذه الحجرة فنستمع بخلوة لنا
طيبة .

سيرانو : (وقد عيل صبره) هيا ، هيا ، (يتتعد راجينو بهم أكثر
من ذلك وأناى) .

راجينو : تعالوا معى لمطارحة الشعر

الشاعر الاول : (ولا يزال فمه بالفطير مزدحما) الى أين ؟
الى أين ؟ والفطائر ..

الثانى : نأخذها معنا !

(يهجمون على الاوانى واللاوعية هجمة مضرية ، حتى يتركوها
من الحلوى والاطعمة خالية ، ويذهبون فى صف متتابع رهيب فى
اثر راجينو)

المشهد الخامس

سيرانو وروكسان والوصيفة

سيرانو : (لنفسه) اذا انا لمحت أقل بارقة من الامل دفعت بالكتاب اليها (تدخل روكسان وقد ارخت على محياها نقابا وفي أثرها وصيفتها وهي تتهادى متقدمة نحوه وخيالها يلوح له خلف زجاج الباب فيبادر اليه يفتحه على عجل) ادخلا (للوصيفة) كلمتان معك يا سيدتى •

الوصيفة : بل اربعا يا مولاي •

سيرانو : هل تحبين الطعام الشهى ؟

الوصيفة : آكل حتى يئتابنى منه المرض

سيرانو : (يمد يده الى الاكياس الورقية فوق المنضدة

فيتناول جملة منها) •• بديع ما تقولين •• افرايت الى هاتين

القصيدتين الغنائيتين للشاعر بنسراد ؟

الوصيفة : (بوجه يرثى له) تبا لك ا

سيرانو : سأملأ هذين الكيسين اللذين يحويانها بالكمك

والفطير ••

الوصيفة : (متغيرة الوجه) مرحى ا

سيرانو : وما رأيك فى الحلواء التى يسمونها القطائف ؟

الوصيفة : اذا حشيت بالقشدة كانت آية عجبا •
سيرانو : ها هي ذى ست منها أسقطها لك في قلب قصيدة
للشاعر «سان امانت» وأزيدك عليها في هذا الكيس الحاوي
لايات من شعر شابلان قطعة أخرى اخف وزنا ولكن أوفر
عسلا وسمنا •• والآن هل تحبين الفطير الساخن الخارج
لساعته من اللهب ؟

الوصيفة : من صميم القلب •
سيرانو : (يملا حضنها بالاكياس من مختلف الصنوف
والاشكال مزدحمة) هيا كلى واستمتعي بمذاقها في الشارع •
الوصيفة : (بتردد) ولكن يا سيدى ••
سيرانو : (يصرفها برفق) اياك ان تعودى قبل ان تأتى على
آخر واحدة منها

(يغلق الباب في أثرها ويتقدم الى روكان فيحسر عن رأسه
محيا ويقف على خطوات منها وقفة أدب بالغ واحترام كثير)

المشهد السادس

سيرانو - روكان - الوصيفة « برهة »

سيرانو : اسعد باللحظة التي تنازلت فيها الى التفكير في
وجود رجل مثلى يتنفس في هذه الدنيا ويعيش •• وتفضلك
بالمجىء لتخبرينى •• لتخبرينى ؟

روكسان : (معاجلة وقد حسرت النقاب عن محياها) بل
لأشكرك أولا فان ذلك الكونت الدعى الخليع الذى هزمته ليلة
أمس بسيفك البتار هو الذى كان أحد كبار الاشراف الهائم
بحبى ..

سيرانو : الكونت دى جيش ؟
روكسان : (وهى تخفض الطرف) يريد أن يفرضه على
فرضا ، ويحملنى على الرضى به زوجا .
سيرانو : (بلهجة مرة لذاعة) يا عجباً زوجاً لمثلك .. زوجاً
مزيفاً .. (منحنيا بالتحية) ما أهناى يا سيدتى الكريمة أن أعلم
الساعة أنى كنت أقاتله فى سبيل عينيك الساحرتين ، ولم أكن
أقاتله من أجل أنقى القبيح .

روكسان : وثانيا أردت ... ولكن قبل أن أبوح بما جئت
ألترف لك به ، وأد أن أجد فيك مرة أخرى الصديق الاخ الذى
كنته فى أيام الطفولة البريئة ، أيام كنا نرتع ونستبق فى الغاب
على ضفاف البحيرة ..

سيرانو : نعم وكنت تأتين الى برجراك كل صيف ..
روكسان : افاذاكر أنت القصب كيف كنت تقطع من خشبه
مضارب وسيوفا ؟

سيرانو : نعم انى له لذاكر . فهل تذكرين كيف كنت
تتخذين من «شواشى» الذرة جدائل لعرائسك ؟
روكسان : تلك أيام ملاعب ولهو .
سيرانو : وعليك حامض لم يتم نضجه .

روكسان : ولقد كنت في تلك الايام تفعلين كل ما أريد .

سيرانو : وكانت روكسان في ثوبها القصير تدعى مادلين .

روكسان : أكنت جميلة في تلك الايام ؟

سيرانو : بهجة خاطر كنت ومسرة العين .

روكسان : كم من احيان كنت تأتي من التسلق دامي اليدين ،

وكنت أنا اذ أراك هكذا ، أمثل دور الام فأقسو عليك وأؤربك

(تتناول يده في كفها) ولكن ما هذا الخدش الذي أرى ؟ (وقد

استولت عليها الدهشة وهي ترى خدشا آخر) يا الهى وهذا

خدش آخر !

(ويهم سيرانو بسحب يده من امساكتها)

روكسان : كلا . دعنى أرى . حتى بعد أن كبرت سنا !

وآين حدث لك هذا ؟

سيرانو : أصابنى وأنا ألعب وألهو عند بوابة نل .

روكسان : (تجلس الى مائدة وتغمس طرف منديلها في قدح

من الماء) هات يدك !

سيرانو : (يجلس بجانبها) يالها من أمومة حدة حانية !

روكسان : خبرنى وانا امسح الجرح وأزيل الدم عنه . كم

اجتمع من المقاتلين عليك ؟

سيرانو : مائة أو نحوهم .

روكسان : نبئنى بالتفصيل ما جرى .

سيرانو : اتركى هذا الموضوع وحدثينى أنت عن الذى لم

تجرؤى على اعلانه .

روكسان : (وهى لا تزال ممسكة بيده) الآن استطيع ان
أتكلم فان ذكريات تلك الأيام العطرة قد شجعتنى . الآن استطيع
أن أبيعك سرا يتردد فى صدرى فاستمع لى : اننى أحب ..
سيرانو : آه ! (ينتفض من الرعب ولا يملك منع زفرة انبعثت
من أعماق جوانحه)

روكسان : ولكن الذى أحبه لا يدري بما فى نفسى له ..
سيرانو : آه ! (يشتد اضطرابه ويرسل زفرة أحر من الاولى)
روكسان : مهلا انه الى الآن لا علم له .. ولكنه لن يلبث
أن يكون به عليما ..

سيرانو : آه ! (يزفر زفراته وهو لا يملك النفس من فرط
الدهشة والذهول)

روكسان : هو شاب مسكين يهابنى اجلالا وقد احبنى من
بعيد ولكنه لا يجزؤ ان يعلن عن حبه .
سيرانو : آه ..

روكسان : دع يدك فى يدى .. ما بالها حارة كأنها من الحمى
فى مثل اللهب مستعرة . ولكنى رأيت اعترافاته ترتعد على
شفثيه

سيرانو : آه

روكسان : (تضمد جرح يده بمنديلها) وأعجب ما تتصور أنه
بالمصادفة يا ابن العم يعمل فى فرقتك ..
سيرانو : آه

روكسان : (ضاحكة) وهو فى الضباط الأحداث عندهم
وفتيانكم الناشئين ..

سيرانو : آه

روكسان : وعلى جبينه يبدو طابع الذكاء الغارق والألمعية
الباهرة ، وهو فخور أبى قوى شجاع جميل ..

سيرانو : (وقد دارت الأرض به فنهض من مجلسه بجانبها)

جميل !

روكسان : ماذا بك حتى تلوح هكذا شاحبا مضطربا ؟

سيرانو : لا شيء بى .. انه (وأراها الجرح الذى فى كفه

مبتسما) انه هذا الخدش لا شيء سواه ..

روكسان : لقد أحبيته . وفى هذا القول حسبى ، ولكن يجب

أن تعلم انى ما رأيته من قبل هذا الا فى الملهى ..

سيرانو : (مدهوشا) كيف هذا .. الم تتخاطبا ؟

روكسان : اذا لم تتخاطب الالسنه تتخاطبت العيون .

سيرانو : ومن أين عرفت اذن انه كما تصفين ؟..

روكسان : من أحاديث الناس تحت أشجار الزيزفون فى

منتزه رويال .. ومما يدور على الافواه فهمت ثم قدرت ..

سيرانو : أهو من صغار الضباط قلت ؟

روكسان : فى فرقة الحرس .

سيرانو : وما اسمه ؟

روكسان : البارون كريستيان دى نوفيت .

سيرانو : كيف ذلك ، وليس لدينا أحد بهذا الاسم ؟

روكسان : اليوم فقط يلتحق بفرقتكم تحت امرة الكابتن
كاريون دى كاستل جالو .

سيرانو : ما اسرع رفيف القلب وطيرانه . ولكن يا بنيتى
المسكينة . . (يسمع صوت الوصيصة وهى تفتح الباب)

الوصيصة : لقد أكلت الفطير كله يا ميسيو برجراك .

سيرانو : اقرئى الأشعار المطبوعة التى على الأكياس اذن
(تنصرف) ولكنك يا فتاتى المسكينة الصغيرة التى تحب
الكلام الرشيق واللفظ البارع والحديث الموفق والذكاء البارق ،
ماذا تكون الحال اذا ظهر أن هذا الذى أحبيته ليس الا فتى غيبا
بليد الخاطر غيبا محصورا ؟

روكسان : لا يمكن ان يكون كذلك وله شعره الجميل
الذهبي أشبه بشعر أبطال القصص فى الروايات (١) .

سيرانو : وما يدريك أن يكون جميل الشعر ذهبيه ، وهو فى
الوقت نفسه ألكن اللسان عيبه ؟

روكسان : كلا . أكبر ظنى وخاطرى . بل حديث نفسى
ومشاعرى ، ان لسانه عذب . وكلامه جميل .

سيرانو : افكل الكلام فى تقديره جميل . مادام مختبئا
تحت الشارب الجميل . فلنفرض انه مأفون أحقق . فماذا
تفعلن ؟

(١) فى الاصل "من أبطال مسرحيات ديرفب "D'urfé"

روكسان : (وهى تضرب الأرض بقدميها) أقتل نفسى من
الحزن الدفين ••

سيرانو : (بعد لحظة) افواعدتنى اللقاء لكى تخبرينى بهذا
وتبئينى ؟ لست أرى يا سيدتى أى جدوى من ذلك وأى نفع
ترتجى •

روكسان : لقد أحس قلبى بكمد قاتل حين علمت أمس أنكم
جميعا فى فرقتكم غساقنة !

سيرانو : ومن دأبنا ان نتحرش بكل فتى متشن مياس لم تثبت
له لحية ولا عذار • ممن تدخله الوساطة والشفاعة واحتساب
المحتسبين فى وسطنا نحن الغساقنة الخالصين ، حفظ الله موطنهم
وصانه ، أفحدثوك بهذا أيضا ؟

روكسان : ولك ان تتصور مبلغ الرعب الذى تملكنى من
خيفة عليه •

سيرانو : (يغمغم بين اسنانه) ولك العذر •

روكسان : ولكنى حين شاهدتك الليلة البارحة شجاعا قهارا ،
وباسلا مغوارا ، رابط الجأش ثابت الجنان حيال أولئك النبلاء
الفاسدين الفجار ، قلت لنفسى لو أن هذا الشجاع الذى
يخاطبونه جميعا ويتهيئونه تكرم وتعطف فقط بان ••

سيرانو : أدافع عن بارونك الصغير • ليكون ذلك ، فانى له
لفاعل •

روكسان : أحقا ستدافع عنه ؟ لطالما كنت لك الصديقة
الوفية الحنون .

سيرانو : نعم . نعم .

روكسان : وسوف تكون صديقا له وحاميا . أليس كذلك ؟

سيرانو : سوف أكون صديقه .

روكسان : أتعذرنى انه لن يدخل فى مبارزة قط ؟

سيرانو : أقسم لك .

روكسان : كم أودك ؟ والآن أحسب قد حان أن أنصرف .

(ترمى النقاب على وجهها وتتهيا للذهاب ولكنها لا تلبث

أن تقف) ولكنك لم تخبرنى عن معركة الليلة الماضية . يا لله .

لابد انها كانت معركة رهيبة تجلت فيها بطولتك رائعة تأخذ

الأبصار . أرجو اليك أن توصيه بأن يكتب لى .

(تمشى خطوات ثم تبعث اليه بقبلة فى الهواء من اطراف

أناملها) - لله ما أعظم محبتى لك !

سيرانو : نعم . نعم .

روكسان : أمانة رجل ألب عليك ؟ وداعا الآن .. لقد

أصبحنا صديقين حميمين ، اليس كذلك ؟

سيرانو : هو كذلك . هو كذلك .

روكسان : (وهى منصرفة) دعه يكتب لى .. وستقص على

مسمعى قصة المائة رجل فى يوم من الايام . يا عجب ! .. مائة رجل ..

يا لك من شجاع !

سيرانو : (ينحنى لها مودعا) لقد كانت المعركة التى تلتها
بينى وبين نفسى أشد وأقسى ، وكان موقفى منها أروع وأسمى .
(يقف فى مكانه مطرقا الى الأرض - راجينو يفتح الباب
للجناح الايمن من الحانوت ويطل برأسه من فتحة الباب)

المشهد السابع

سيرانو • راجينو • الشعراء • كاربون دى كاستل جالو •
الضباط • الجمهور وأخيرا دى جيش

راجينو : هل نستطيع الآن دخولا ؟

سيرانو : (وهو فى موضعه لا يريه) نعم فقد انتهى الأمر
(راجينو يومئ الى الشعراء أن يدخلوا فيأتون مهرولين •
يدخل فى تلك اللحظة من الباب الخلفى ، كاربون دى كاستل
جالو فى ثياب الضباط وشارات (الكبتن) فلم يكدر يلمح سيرانو
حتى تبدو الدهشة المتناهية عليه ••)
كاربون دى كاستل جالو : من أرى !

سيرانو : (يرفع بصره من طول اطراقته) يا عجباً ، الكبتن
كاربون دى كاستل جالو ؟

كاربون : (متهللاً) أنت هنا يا بطلنا الغضنفر ؟ لقد
سمعنا قصة ما جرى ، وقد خلفت فى الموضع ثلاثين أو أكثر
من ضباطنا !

سيرانو : ولكن (يحاول أن ينزوى عنه ويذهب منصرفا ولكن
كاربون جعل يحاول أخذه معه) :

كاربون : هيا بنا اليهم فلن يستريحوا حتى يروك
سيرانو : كلا !

كربون : وهم الساعة جلوس في الحانة المقابلة ، حانة كروادى
تراهوار يكرعون الكتوس •

سيرانو : انى

كربون : (يمشى الى الباب وينادى بصوت قاصف ، مخاطبا
ضباط فرقته في الجانب الآخر من الطريق)

اله لا يريد أن يأتى ، ان البطل اليوم لمتجهم منقبض
صوت : (في الخارج) ها ! سانديو

(جلبة في الشارع ، ومواقع الأحذية الضخمة وصليل
السيوف وهى جميعا تقترب)

كاربون : (الى صديقه وهو يفرك يديه) انهم قادمون الى
هنا مسرعون •

(يدخل الضباط يتصايحون وقد اختلطت الاصوات وازدحم
بهم الحانون) ميلديو - كابدديو - مورديو - بوكابدديو
(تراجع راجينو على مشهدهم مذعورا مجفلا)

راجينو : أيها السادة ، أنتم جميعا من غسقونيا ؟

الضباط : نعم كلنا • • كلنا

(يحيطون بسيرانو متصايحين مصافحين بالاكف ، بين
معتنق له وهاز يده ومقبل خديه)

الضابط الاول : مرحى ا

سيرانو : سيدى البارون

الضابط الثانى : عشت ا

سيرانو : سيدى البارون

الضابط الثالث : دعنى أعانك

سيرانو : سيدى البارون

جمع من الضباط : لنعاقه

سيرانو : (حائر وسطهم لا يدرى من يجيب) سيدى البارون

عفوا عفوا سيدى البارون

راجينو : أكلكم بارونات أيها السادة ؟

الضباط : أى نعم كلنا بلا استثناء

راجينو : وهل حقاً هم كذلك ؟

أحدهم : وكيف لا .. وانك لتستطيع أن تقيم برجا عاليا من

تيجان باروناتنا وحدها

لوبريه : (يدخل فيمشى رأسا الى سيرانو) : ان الجمهور

المتحمس يبحث عنك وقد جاءت مظاهرة كبيرة يقودها أولئك الذين

كانوا معك ليلة أمس .

سيرانو : (باضطراب شديد) يا لله وهل أنبأتهم بمكانى ؟

لوبريه : (وهو يقلب كفيه) نعم قد فعلت

(وفى سرعة البرق دخل رجل من الطبقة المتوسطة تتبعه جماعة

كبيرة من الناس)

الرجل : ان أهل حى ماريه فى باريس قادمون جميعا الى هنا
لتحية البطل الصنديد •

(فى الخارج تموج الشوارع بالجماهير وتبدو مركبات
ومحفات تقل الاشراف والسادات)

لوبريه : (فى أذن سيرانو وهو يتنسم) : وروكسان ؟
سيرانو : (بعجلة) صه ، لا كلام الآن

الجمهور : (يهتف فى الخارج) سيرانو •• نريد سيرانو !
ويندفع الناس ويتزاحمون بالمناكب ويهجم الذين فى الطليعة
فيقتحمون الباب ويرسلون تصفيقا مدويا يصم الآذان)
راجينو : (وهو فوق مقعد من المقاعد) لقد اشتد الزحف
على دكانى وتكاثفت طلائع الهجوم على بضاعتى وحطمت كل
كل شئ ، ولكن كل هذا رائع بديع

الجمهور : (حول سيرانو يصيحون) ليحيى صديق الشعب
•• ليحيى صديق الشعب !

سيرانو : يا سبحان الله ، لم أكن أجد لى بالامس صديقا واحدا ،
فأصبحت اليوم لى كل هؤلاء الاصدقاء •

لوبريه : لا عجب ، فهكذا هو النجاح ، وكذا يكون
المجد

مركيز شاب : (يتقدم الى سيرانو) لو انك أيها الصديق
العزیز عرفت ••

سيرانو : (مقاطعا) صديق ؟ عزيز ؟ يا للعجب ، ومتى كنت أنا
وأنت نقف للحراسة معا ؟

شريف آخر : أحب يا سيدى أن أعرفك ببعض الغيد الحسان
يرغبن في رؤيتك وهن الساعة في مركبتى الواقعة بالباب تنتظر
سيرانو : (برود) ومن يعرفنى أولا يا سيدى بك ؟
لوبريه : (مبهوتا) ماذا حدث يا عزيزى وما الذى يفضبك ؟
سيرانو - صه •

أحد الادباء : (يحمل دواة وقلما) ألا أستطيع يا سيدى أن
أظفر ببعض التفاصيل عن ••
سيرانو : (بحفوة) كلا ••

لابريه : (يعمزه بمرفقه معاتبا) كيف هذا ؟ انه تيوفراست
رينودو المعروف ، مخترع الصحيفة السيارة
سيرانو - ومن يعنيه أن يقرأ ورقة كهذه ؟

لوبريه : ولكن هذه الصحيفة من التى يحشدون فيها
الانباء والطرائف من كل نوع ، ويقولون انها فكرة ناجحة
ستصادف بلا شك رواجا واقبالا •

الشاعر : (يتقدم نحو سيرانو) سيدى ••
سيرانو - وهل أديب آخر هذا الذى أرى ؟
الشاعر - الا تأذن لى أيها البطل العجيب فى نظم خماسيات
من الشعر باسمك ؟

أحدهم : (يتقدم نحوه أيضا) سيدى
سيرانو : كفى كفى !
(تظهر حركة أخرى فى الصفوف وبينهم الكونت دى

جيش في حاشية من الضباط ومن بينهم كويجى
وبريساي والضباط الذين صحبوا سيرانو في ختام
الفصل الاول)

كويجى : (الى سيرانو معلنا قدوم القائد) مسيو دى
جيش !

(فيتهامس الناس باسمه وتتسع الحلقة وتفرج الصفوف
ويتنحى المتزاحمون لافساح الطريق)

وقد جاء من قبل الماريشال دى جاسيون (دى جيش) : (يحيى
سيرانو) ليعبر لك عن اعجابه بما أبدت أمس من جسام الفعال
وعظائم الامور في ذلك الحادث الرائع الذى سرى لبأه في
البلاد .

(أصوات بالهتاف) : مرحى

سيرانو : (وهو ينحنى أمام الكونت) لا بدع فان الماريشال
حكم في فنون البسالة

دى جيش - ولم يكن ليصدق ما سمع من أمرك وترامى اليه
لو لم يقسم هذان السيدان أمامه أنهما شهدا المعركة

كويجى - بعينى رأسيها !

لوبريه : (لصديقه سيرانو وقد رآه ذاهلا شارد الخاطر
مشئت اللب) ولكن ما بالك ؟

سيرانو - صه

لوبريه : يبدو أنك تتألم

سيرانو : (ينتفض ثم ينتصب واقفا) أمثلى يضطرب أو
يتألم أمام هؤلاء السوقة !
(يستوى بقامته ويشرب بعنقه ويقتل شاربه ويبرز بصدرة)
مهلا فستري !

دى جيش : (بعد لحظة كان كويجى خلالها قد دنا منه فأسره
كلما غير مسموع) لقد بدأ اسمك فى ميادين الشجاعة ينبه ،
وذكرك فى ساحات المجادلة يشتهر • أتخدم مع أولئك الفساقنة
الحمقى ؟

سيرانو : أى نعم شباب الضباط !
أحد الضباط : (بصوت مرعب) معنا !

دى جيش : (وهو يرى الفسقونيين وقوفا وراء سيرانو)
أف هؤلاء الذين تبدو على وجوههم أمارات الزهو والتعظيم
والعجرفة هم المشهورون بأنهم ••

كاربون دى كاستل جالو : (مناديا) سيرانو !

سيرانو : سيدى الكابتن ؟

القائد : أنا وجميع ضباط فرقتي مجتمعون اللحظة هنا ،
فأرجو اليك أن تتكرم بتقديمهم الى مولاي الكونت •

سيرانو : (يتقدم خطوتين حتى يمثل بين يدى دى جيش)
سيدى الكونت دى جيش ، اسمح لى أن أقدم (وأشار بيده
الى صفوف رفقاءه) :

انهم شباب غسقونيا البواسل
 تحت امرة كابتن كاربون دى كاستل جالو
 قتلة ، كذبة ، ولا حرج لكنهم اشرف من اللصوص نسبا
 تستنمر دماؤهم فى اوردهم وتصطرم الحمية فى حناياهم
 انهم شباب غسقونيا البواسل
 اعينهم كالمصقور وسيقاتهم كالمقاتل
 لهم شوارب السنابير وانياب الذئاب تمزق كل وغد
 يغطى الريش قلالسهم العتيقة ليستز ما بها من خروق
 لكن لهم عيون الصفور وسيقان اللقالق
 شوارب السنابير وانياب الذئاب
 شعارهم المفضل الضرب والطعان
 بقر البطون وتحطيم الجماجم
 بلدة المجد ارواحهم سكرى ونفوسهم اليه عطاش
 اينما قام صدام ، كانوا فيه على موعد
 لان شعارهم المفضل الضرب والطعان
 ها هم شباب غسقونيا البواسل
 عجائز الازواج اكلت نفوسهم الغيرة
 ومن اكلته الغيرة - ابتها اللانثات - جعلوه دبويا
 فاللغى يا ابواق واصدحى يا طيور
 ها هم شباب غسقونيا البواسل

الكونت دى جيش : (وهو جالس جلسة العظمة فى مقعد
 رهيب قدمه اليه راجينو صاحب الحانوت) انه لمن دواعى الترف
 اليوم أن يكون للنبلاء شعراء يتبعونهم • اترضى أن تكون شاعرى ؟
 سيرانو : (بأنفة واباء) كلا يا سيدى لست أرضى أن أكون
 لمخلوق فى هذا العالم تبعا
 دى جيش : لقد سر عمى ريشيليو من عبقريتك ليلة أمس ،
 فلست أبخل أن أقول عنك كلمة تزكية طيبة امامه
 لوبريه : يا الهى ، ان هذا لنبا عظيم
 دى جيش : وقد بلغنى أنك وضعت رواية شعرية فى خمسة
 فصول أو نحوها ، فهل أبلغت حقا ؟

لوبريه (في أذن صاحبه) : انه يقصد روايتك « اجريينا »
لسوف تراها ممثلة في النهاية

دى جيش : لو أنك أخذتها اليه ..

سيرانو : (وقد بدأ يتأثر ويفعل فى نفسه الاغراء والترغيب) فى
الحق انى ..

دى جيش : فهو نقادة حاذق وأديب بارع وقد يصحح لك بيتا
أو بيتين فيها .

سيرانو : (وقد عاوده اباؤه فتجهم) هذا مستحيل وان دمت
ليجمد فى مسراه حين أتصور أن قلما يعمل فيما أكتب ، أو يدا
تمحو فيه وتثبت حتى ولا نقطة واحدة أو ترقىما

دى جيش : ولكنه اذا استطاب بيتا أو راقه من الشعر شئ
لم يرضن عليه بثمان عظيم يا صديقى العزيز .

سيرانو : ما أحسبه يدفع فيه ثمننا أعظم ولا أغلى مما أدفعه
أنا فيه فأننى حين ألطم بيتا يروقنى أدفع نفسى له ثمننا وأتغنى
أنا ذاتى به .

دى جيش : انك لتكبر وبنفسك فخور

سيرانو : أحقا ؟ ألم تدرك ذلك الا الآن ؟

(يدخل فى تلك اللحظة ضابط من العساكرة يحمل على

سنان سيفه خيطا قد ربط فيه عدة قبعات قديمة ممزقة

كثيرة الثقوب والخروق)

الضابط : أنظر أيها العزيز ماذا وجدنا في هذا الصباح على الطريق ؟ لقد قنصنا هذا القنص البديع من الريش ، بل هذه القبعات القديمة ، قبعات الهاريين
كاربون دى كاستل جالو قائد الفرقة : انها والله لأسلاب المعركة (يضح الجميع ضاحكين) اها اها اها
كويجى : ان من دبر ذلك الكمين يجب عليه والله أن يسخط اليوم .

بريساي : وهل عرف الفاعل ؟
الكونت دى جيش : (بغضب) هو أنا
(فينقطع الضحك ويسود السكون)
الكونت دى جيش : لقد أردت عقاب شاعر عرييد وتأديب نظام أفاق ، فزهت سيفى عن فعلة قدرة وربأت بحسامى عن عمل صغير ، فمهدت الى أولئك السوقة أن يتولوه عنى وينفذوه ،
(وخيم صمت طويل)

الضابط الذى حمل الأسلاب : ماذا نصنع بهذه القبعات وهى ملأى بالشحم والدهن ؟ أنطبخ بها قدرا ؟
سيرانو : (يتناول السيف الذى ينتظم القبعات ثم يلقيها تماما عند قدمى الكونت دى جيش ويؤدى التحية العسكرية) : أرجو يا سيدى أن تتكرم بردها الى أصحابك (يخرج دى جيش غاضبا)

دى جيش : (ينهض ويقول فى لهجة مقتضبة) الى بمحضتى وبالحمالين فى الحال . (يتوجه الى سيرانو فى صرامة) أما أنت

أيها السيد ..

(يسمع صوت صائح في الطريق) حمالو السيد الكونت

دى جيش

دى جيش : (بعد ان ملك زمام أمره ، يقول وعلى شفته ابتسامة) أقرأت دون كيخوته ؟

سيرانو : نعم قرأته • وانى باسم هذا المجنون الذى هبط علينا من عل ، لأميطن اللثام عن ..

دى جيش : نصيحتى اليك اذن ان تتروى ..

أحد الحمالين : (يظهر الى الخلف) المحفة بالباب !

دى جيش : وتذكر الفصل الخاص بالمطاحن الهوائية !

سيرانو : (بالحناءة) الفصل الثالث عشر •

دى جيش : ذلك لانه عندما يهاجمها الانسان ، فما يحدث

عادة ...

سيرانو : الى أن أستنبط من ذلك أننى قد هاجمت أناسا يدورون

مع كل ريح ؟

دى جيش : ذلك الذراع المكسو بالخيش من أذرعها الطويلة

يلقى الانسان فى الوحل !

سيرانو : او يرفعه الى السماكين !

(يخرج دى جيش • يرى وهو يدلف الى محفته • ينصرف

السادة مهممين • يصاحبهم لوبريه ثاينة الى الباب • ينفذ

الجمع • يظل الضباط جالسين الى الموائد ، الى يمينها ويسارها حيث

يقدم اليها الطعام والشراب)

المشهد الثامن

سيرانو - لوبريه - الضباط (جالسين الى الموائد على اليمين وعلى اليسار يقدم لهم الطعام والشراب)

سيرانو : (ينحنى في استهزاء الى من ينصرفون دون ان يجرؤوا على استئذانه بالانصراف) سادتي .. سادتي .. سادتي لوبريه : (يعود الى النزول ، في حالة شديدة من الابتئاس ، رافعا يديه الى السماء) ليت شعري ، ما كان أجمل ملابسهم ! سيرانو : واه ، أنت ؟ كنت أنتظر منك أن تتوجع وتتذمر لوبريه : وأخيرا ، أنت متفق معي في أن اقتصاص الفرص العابرة دوما يصبح ضربا من المغالاة ..

سيرانو : أجل هذا صحيح . فاني اشتط فعلا . لوبريه : (في نشوة النصر) أرايت ، انك تعترف بذلك . سيرانو : ولكن اعتقادي انه من الخير ان اشتط كما افعل الآن ، في سبيل المبدأ وكذلك لا أقدم عظة لمن يتعظ . لوبريه : ألا تخليت بربك ، لحظة واحدة ، عن نزوعك الى الفروسية والى الجاه والمجد .

سيرانو : ترى ما عسى المرء أن يفعل ؟ هل يسعى الى عظيم من العظماء ، ويتخذ نصيرا ، ويحاول كما يفعل اللبلاب الخفي عندما يلتف حول جذع شجرة يجعل

منه دعامته ويمتص لحاءه - فيبلغ العلا بالمكر والخديعة لا بقوة
ساعديه ؟ لا شكرا لك .

هل تريدنى أن أقدم القصائد كما يفعل البعض الى أصحاب
الجاه وأنظمها في مدحهم ؟ هل أخلع على نفسى ثوب المهرج بغية
أمل حقير فى ان يرى شفتى وزير تنفرجان له ولو مرة واحدة
عن ابتسامة لا تنذر بشر مستطير ؟ لا شكرا لك .

هل آكل ضفدعا برياً كل يوم ؟ أزهف على بطنى ذلاً
واستكانة حتى تتجرد ثيابى ، ويتسخ جلدى سريعاً عند ركبتى ؟
أودى اعمالاً تكسب ظهري مرونة من كثرة الخشوع والانحناء ؟
لا شكرا لك . أأربت على العنزة بيد وأروى الكرب باليد
الآخري ؟ أقدم هدايا من نبات السنا لآخذ بدلاً منه هدايا من
الرواند ، وألا أكف عن التلويح ببخرتى بين يدي واحد من
أصحاب اللحى ؟ لا شكرا لك .

أأرتنى فى حضن بعد حضن ، وأصبح رجلاً عظيماً صغيراً ،
فى دائرة عظيمة ضيقة ؟ أدفع سفينتى بالقصائد الغزلية بدلاً من
المجاديف ، وأملأ أشرعتى بأهات عجائز النساء ؟ لا شكرا لك .
أأسمى لدى سرسى ، ذلك الناشر الحاذق ، وأعطيه مالا
لينشر قصائدى ؟ لا شكرا لك .

أأسمى لنيل الشهرة بنظم قصيدة غزلية واحدة بدلاً من أن
أنظم قصائد غيرها ؟ لا شكرا لك .

أأترانى أقصر جهدى على كشف مواهب الناشئين دون
سواهم ؟ أخشى ما قد يحلو للصحف الخاملة ان تقوله عنى ثم لا

أفتأ أحدث نفسي قائلا : ليت اسمي يظهر في صحيفة «باريس ميركرى» الصغرى ؟ لا شكرا لك .

هل أحتمى وأخاف وأزوى وأوثر القيام بزورة على الاضطلاع بنظم قصيدة ، وأن أجنح الى تدييج العرائض والمتمسكات ؟ لا شكرا لك ؟ لا شكرا لك ! لا شكر لك .

ولكنى أوثر أن اغتنى وأحلم وأضحك وألهو وأعيش منفردا حرا ، وأن تكون لى عينان يقطتان وصوت مجلجل وأن ألبس قبعتى حين أشاء وكيف أشاء ، وأن يكون لى الخيار حسب هواى فى أن أدخل فى مبارزة أو أنشد أنشودة ! وأن أعمل دون أن أحسب حسابا للجاه والمجد ، وأن أقوم بالرحلة الى القمر ، الرحلة التى تشدها جميع النفوس ! وألا يديج يراعى شيئا لا يصدر عن عميق وجدانى ، بيد أنى فى اتضاع أقول لنفسى : يا صاح لتتقنع بالأزاهير والفواكه ، أجل لترض بأوراق الشجر فحسب ، مادمت تجمعها من حديقتك أنت . ثم اذا اتفق أن أحرزت بعض النصر ، فلن أكون ملزما أن أعطى أى قسط منه لقيصر ، بل أن أحتفظ به كله لنفسى . ومجمل القول ، أنى لا أنأى بنفسى عن أن أكون اللباب الطفيل ، حتى وان عجزت عن أن أكون شجرة البلوط أو الزيزفون وأوثر أن أرتفع معتمدا على نفسى ، وان لم أبلغ علوا شاهقا .

لوبريه : وحدك ؟ ليكن ذلك لك ، ولكن لا يجب أن يقف شخص واحد فى وجه الجميع ! كيف بربك أصبت بهذا الجنون

الذى يملكك والذى يجعلك تخلق على الدوام أعداء لك فى كل مكان ؟

سيرانو : أصبت به عندما رأيتك تتودد الى الناس .
وتبتسم لهذه الجماعات من الأصدقاء عينها بابتسامة لا تنفرج لها
شفثان ! لا أريد أن أحمل عبء رد التحايا فى الطريق ، وانى
لا أصبح فى نشوة : هل من عدو جديد ؟

لوبريه : هذا انحراف عقلى !

سيرانو : انى لا أجادلك فى ذلك . فهذه احدى نقائصى .
ان سرورى فى أن اغضب الآخرين . وانى أحب أن يكرهنى
الناس . أيها الصديق الحميم ، لو تعلم كم هو حسن بالمرء أن
يسير والعيون الحاقدة ترسل عليه شواظا من الحقد ، وكم يكون
ارتياحه لتلك البقع التى تنتشر على صدره وان كان فيها شفاء
لحقد الحاقدين والجبناء .. أما أنت فان الصداقات التى لم
تكتمل والتى تحيط بها نفسك أشبه بتلك «الياقات» الايطالية
الواسعة ، السهلة ، المسترخية ، ذات الفتحة التى تظهر منها
الرقبة وكأنها رقبة امرأة . انها ياقات توفر الراحة ولكنها ذات
مظهر غير لائق ، لأن أطرافها التى لا تشد الى أعلى شدا لائقا ، كثيرا
ما تنحرف ذات اليمين وذات اليسار .. اما عنى فان الكراهية
تزيد كل يوم صلابة ياقتى التى تقيم رأسى وتنصبها فى وضعها
الصحيح . ان كل عدو جديد هو طية أخرى من طيات هذه
الياقة ، وان كانت هذه الطية تولد ضغطا جديدا الا انها تضيف

شعاعا آخر • فإن الكراهية التي تشبه الياقة الاسبانية من جميع
الاجه هي رباط ووثاق ولكنها هالة من النور ايضا !
لوبريه : (بعد برهة ، يتأبط ذراع سيرانو) الى لأعلنها على
أسماع الجميع بأنك متشامخ حاقدا ، أما غنى فلنقل لى فى همس
ان الأمر لا يعدو أنها لا تحبك !

سيرانو : (فى حدة) صه !

(كريستيان يدخل ويختلط مع الضباط فيتجاهلونه فيتوجه فى
النهاية الى منضدة صغيرة يجلس اليها منفردا حيث تقوم ليز على
خدمته) •

المشهد التاسع

سيرانو - لوبريه - الضباط - كريستيان دى نيفيت

ضابط : (جالس الى مائدة ممسكا بكأس من الشراب ينادى)
سيرانو (يلتفت سيرانو نحوه) سيرانو • علينا بالقصة •

سيرانو : بعد حين

(ويتشى الى صديقه لوبريه فيعتمد على ذراعه • يروحان
ويغدوان وهمافى حديث وهمس مخافت)

الضابط : (وهو ينهض من مجلسه ويتقدم الى سيرانو)

— علينا بالقصة ، قصة معركة الليلة الفائتة ، فلعلها تكون
درسا حسنا وعظة (يقف قبالة المائدة التي كان كريستيان جالسا
اليها) : لهذا التلميذ الحدث المتهيب

كريستيان (رافعا رأسه) : تلميذ ؟ من هو ذاك الذى تعنى ؟

آخر : هو هذا الفتى الشمالى الهزيل

كريستيان : هزيل ؟

الضابط الاول : (متذمرا) اسمع منى فى أذنك يا مسيو

دى نيفيت ، ان هناك شيئا لا يستطيع أحد منا التحدث عنه

كما لا يستطيع أحد التحدث عن الجبل فى بيت المشنوق !

كريستيان : وما هذا الذى عنيت ؟

ضابط آخر : (بصوت مرعب) انظر الى (يضع اصبعه ثلاث

مرات فوق أنفه) أفهمتى ؟

كريستيان : آه .. انه ذلك ال ..

آخر : صه ولا تنبس بهذه الكلمة والا كنت من الهالكين

(يشير الى سيرانو وكان فى شغل بالحديث مع صديقه لوبريه)

ويتقدم ثالث من كريستيان فيقتعد المنضدة القائمة قبالة

وينحنى اليه ويهمس له :

آخر : اسمع لقد أهلك رجلين أخنفيين فى غصبة له ، لا

لسبب سوى أنهما كانا أخنفيين .

ضابط آخر : (يزحف من تحت المائدة وكان قد تسلل تحتها

خلصة) واذا أردت ألا تموت قبل الأوان ، فتعاشى يا بنى ذكر

هذا الغضروف الميت

آخر : (وهو يربت على ظهره صائحا به) بل ان كلمة أو

إشارة أو حركة بمندليك قد تجعل منه كفك

(يسود السكون وينظر الجميع وهم مشبكوا الأذرع

فوق الصدور الى كريستيان وكان قد تقدم الى كاربون
دى كاستل قائد الفرقة ، غير ان هذا جعل يتحدث الى
أحد الضباط متظاهرا بأنه لم ير كريستيان قادما نحوه)
كريستيان : يا سيدى الكابتن !

الكابتن (وقد استدار نحوه وجعل يثأره بنظرة من رأسه
الى أخمص قدمه) : ماذا تقول ؟

كريستيان : ماذا يصنع المرء اذا رأى جنوبيين يكثرون من
الزهو والادعاء ، ويسرفون فى العطرسة والخيلاء ؟

كاربون : يقدم لهم الدليل على أن الفتى قد يكون شماليا ،
ومع ذلك شجاعا أبيا

كريستيان : شكرا لك

الضابط الاول : (الى سيرانو) علينا الآن بالقصة

الجميع : القصة . القصة

سيرانو : اذن فلتسمعوا

(وفى الحال يزدحم جميعهم من حوله ويقربون المقاعد

حياله ويتحفزون للاصغاء ، ويقفز كريستيان فوق مقعد

ويظل قائما يترقب)

سيرانو : لقد ذهبت وحدى للقاء تلك العصابة ومشيت اليها

بمفردى ، وكان القمر مفترشا أديم السماء ، كأنه من الساعة

الكبيرة الوجه والميناء ، واذا بذلك الصانع الماهر الذى اصطنع

الساعة والأنجُم الدقاق ، قد أرسل بحكمته وعجيب مشيئته ،

غماما كأنه قطعة من قطن فوق الظرف الذى يمسك بتلك الساعة

الفضية • فما لبث القمر أن احتجب وذهب متواريا ، وساد الكون
ظلام ، فلم يعد المرء يرى شيئا أبعد من ..
كريستيان : أبعد من أنفه

(يذهل القوم وينهضون من مجالسهم بطاء وينظرون الى
سيرانو نظرات الرعب اذ وقف مبهوتا لحظة مشدوها لا
يستأنف حديثا ولا يعاود كلاما)
سيرانو : من هذا المتكلم ؟

أحدهم : (همسا) انه زميل التحق بالفرقة اليوم فقط ا
سيرانو : (وهو يخطو خطوة نحو كريستيان) اليوم فقط
كاربون دى كاستل : (بصوت خافت) نعم ، وهو يدعى
البارون دى نيفييت ا

(لا يكاد سيرانو يسمع هذا الاسم حتى يشحب لونه
ويحمر) هذا ؟ حسنا ا (ثم يتمالك نفسه وينزوى ويهم بأن
ينقض على الفتى ليصرعه لولا أن احتجز غضبه) انه ... (يتمالك
نفسه)

سيرانو : الى أى حد من القصة كنت قد بلغت ؟ (ويطلق
زنجرة ولعنة مكبوتة) يا لعنة ا وكان الظلام شديد الحلكة
(وما كاد يبدأ على هذا النحو حتى علت الوجوه دهشة
بالغة فقد كان القوم يتوقعون منه شيئا آخر ويرتقبون
أن يروه فاتكا بالفتى لساعته وظلوا يرمقونه بأبصارهم
عاجبين •

سيرانو : ولكنى سرت قدما وأنا أحدث نفسى قائلا : «أترانى

من أجل مسألة تافهة أو حكاية قبيحة أتحدى رجلا عظيما أو
كبيرا إذا خطر أو من يدري أميرا في وسعه بلا شك أن يهشم ..
كريستيان : أنفى ..

(فما أن يسمع الجميع هذه الكلمة الجريئة من الشاب
الدخيل الجديد عليهم حتى يستووا على سوقهم مبهورين
قد تملكهم الدهشة المتناهية بينما يظل كريستيان
متأرجحا على كرسيه لا يأبه بشيء !)

سيرانو : أن يهشم أسناني ، ومجمل القول ، اننى بطيشى
وتهورى انما رحت أدخل ..
كريستيان : .. أنفى

سيرانو : اصبعى بين الشجرة ولحائها ، بل ما يدرينى اذا
كان ذلك العظيم شديد البأس قوى المحال مديد السلطان
فليقيني ...

كريستيان : فوق أنفى

(يضطرب سيرانو ويتصبب العرق من جبينه ويمسحه
عنه بمنديله)

سيرانو : على أصابعى ، غير اننى ناديت نفسى فى نجواى
قائلا : « تقدم يا ابن غسقونيا وافعل ما يمليه الواجب عليك
تقدم يا سيرانو ! » قلت هذا وتقدمت ، ولكنى ما لبثت أن
رأيت فى الحلقة شبعا ينقر ...

كريستيان : أنفى ..

سيرانو : فتحاشيته ، ولكنى وجدت نفسى فجأة ...

كريستيان : أنفا لألف ا

سيرانو : (ولم يستطع تجلدا فانقض عليه صائحا) لعنة
السماء والأرض

فاشرأبت الأعناق وتوالت الشباب ليروا ماذا سيحدث
ولكن سيرانو ما كاد يصبح على قيد خطوة واحدة من كريستيان
حتى تماسك وانشى يستأنف)

سيرانو : وحيال مائة مخلوق من الرجال والصـعاليك
والسكارى تنبعث منهم ..

كريستيان : (مقاطعا) بل من أنوفهم

سيرانو : (يبتسم بوجه شاحب) تنبعث منهم روائح البصل
والثوم ، رحت أكر وأفر خافضا رأسى من خبث ريحهم •

كريستيان : والأنف ضارب فى الهواء

سيرانو: فما زلت أكر عليهم حتى كتبت أنفاس اثنين ونفذت
بالسيف فى صدر ثالث ، وتصدى لى أحدهم ولطمنى «باف» ا
فرددت عليه ..

كريستيان : ثم عطست ا

(سيرانو وقد انفجر غيظه المحتدم فى صدره فزقق زعقة
مدوية راعدة)

سيرانو : يا للصاعقة ا انصرفوا جميعا ولا يمكث منكم
أحد

(يتدافعون جميعا الى الابواب)

أحدهم : ها هو ذا النمر قد استيقظ

سيرانو : اخرجوا جميعا ودعوني وحدي معه
 ضابط : لن تلبثوا أن تشهدوه مفريا كاللحم المفروم
 راجينو : مفروما ؟
 ضابط ثالث : حشو فطيرة من فطائر ك
 راجينو : يخيل الى أنى شجبت وانكملت كهذه المنشفة
 كاربون : (الى ضباطه) هلموا بنا ننصرف
 ضابط منهم : لن يترك صاحبنا منه ولا قطعة نثيرة من
 لحمه ا
 ضابط آخر : انى لأموت فزعا من تصور ما سوف يحدث
 الآن هنا .
 ضابط آخر : انه لشيء رهيب ما سيحدث الساعة هنا ا
 ضابط ثالث : (يعلق الباب) شيء فظيع ا
 (ينصرف الجميع من أبواب متفرقة بينما يقف سيرانو
 وكريستيان وجها لوجه يرمق كل منهما الآخر شزرا)

المشهد العاشر

سيرانو وكريستيان

سيرانو : الآن تعال عاتقنى
 كريستيان : سيدى ١٢
 سيرانو : انك لشجاع جسور

كريستيان : ولكن يا سيدى ، ما ...

سيرانو : هيا عاقتنى فانتى أخوها

كريستيان : ومن هى تلك التى تعنى ؟

سيرانو : أعنيها هى ؟

كريستيان : عجبا ! ومن هى ؟

سيرانو : روكسان

كريستيان : (وهو يعدو نحوه) يا لله ، أخوها أنت ؟

سيرانو : أخوها أو ابن عمها ، كلاهما على حد سواء

كريستيان : هل بأتاك ؟

سيرانو : بكل شيء

كريستيان : وهل هى تجبنى ؟

سيرانو : يجوز

كريستيان : (وهو يتناول يديه فى كفه) ما أسعدنى يا سيدى

اليوم بلقائك !

سيرانو : قد يسمى هذا شعورا فجائيا

كريستيان : استميحك يا سيدى مغفرة وأسأل صفحا

سيرانو : (يطيل النظر اليه وهو ملق يده على كتفه ، ويفغم

لنفسه) الوغد جميل حقا ، جميل !

كريستيان : (فى استحياء) أواه يا سيدى ، لو أنك عرفت مبلغ

اعجابى بك ؟

سيرانو : وما شأن تلك الانوف التى جعلت تذكرها لى ؟

كريستيان : أسحبها جميعا !

سيرانو : روكرسان تنتظر منك هذا المساء كتابا

كريستيان : يا ويحى

سيرانو : ما الخبر ؟

كريستيان : لو فتحت شفتى بالكلام لكان فى ذلك الخسران

المبين

سيرانو : ولم هذا ؟

كريستيان : وأسفاه ! اننى أبله منزو شديد الحياء

سيرانو : ليس الأبله من يدرك أنه الأبله ، ولم تك كذلك

حين تحدثتنى !

كريستيان : لا يعز على المرء أن يطلق صوته بصيحة الحرب

قبل الهجمة وما أنكر أن لى بالجندية قليلا من المعرفة ولكننى

أمام النساء أجدنى المرتج عليه العيبى الحصور • ان أعينهن ••

يا لى من أعينهن ، انهن ليلحن لى من بعد عاطفة حانية

سيرانو : وهل قلوبهن أقل حنانا اذا دلوت منهن ووقفت

بقربهن ؟

كريستيان : كلا ، فانى من أولئك ، وأنا أعرف ذلك ، من

أولئك الذين تنعقد ألسنتهم حين يتحدثون عن الحب !

سيرانو : ليت شعرى ! لو أن الطبيعة عنت بخلقتنى

وأحسن تصويرى لكنت سيد العاشقين مكاشفة واعلانا •

كريستيان : (بتحسر) أواه ليت لى من ملكة الكلام حظا ،
يؤهلنى للتعبير عن الاشياء تعبيراً جميلاً •

سيرانو : ويا ليتنى كنت جندياً عادياً ولكن مليحاً صحيح المحيا •

كريستيان : ولكن روكسان أديبة متحذقة ولاشك فى أنى
سأخيب آمالها فتتضح الحقيقة لها ••

سيرانو : (ينظر الى وجهه المليح ، ومعارفه المستوية وطلعته
الباهرة) لو أن لى مثل هذا المحيا مترجماً يعبر عن روحى ،
ومتحدثاً يشهد بما فى نفسى

كريستيان : (متوجعاً) ألا بلاغة تباع ؟ ألا بيان يشتري ؟

سيرانو : (فجأة) فى وسعى أن أعطيك فصاحتى وفى وسعك
أنت أن تعبرنى حسنك ومفاتنك ، بل لو تمازجنا واختلطنا ،
لكان من مزاجنا وخليطنا بطل من أبطال القصص الغرامية •

كريستيان : ماذا تقول ؟

سيرانو : هل تحسبك مستطيعاً أن تردد فى كل يوم ما أعلم
لسانك ترداده وألفنك له إعادة وتكرارا ؟

كريستيان : أقترح على ذلك ؟

سيرانو : ان روكسان لن تصدم فى حبها ، فهل تريد أن
نشارك معا فى غزو قلبها ؟ أنت بحسنك فاتنا ، وأنا بالكلام

الملقن ساحرا ؟ هل ترضى أن أخرج ما في صدري فأضعه في
صدرك وحيا طبعا ؟

كرستيان : ولكن ..

سيرانو : سألتك هل أنت بهذه القسمة راض ؟

كرستيان : كلامك يخيفني

سيرانو : أما وأنت بنفسك تخاف أن تبترد عاطفتها من
نحوك في صدرها ، فهل ترضى في سبيل اضرام نار المحبة في
قلبها أن أشارك بكلامي مع شفتيك وهما تقبلانها ؟

كرستيان : ما بال عينيك تتقدان ؟

سيرانو : أراض أنت ؟

كرستيان : عجا ! وهل يسرك رضائي كل هذا السرور ؟

سيرانو : (يستخفه الطرب) بل أجد فيه بعض التسليية ،
فان ذلك كما لا يخفى عليك يساعد الشاعرية ويلهم المعاني
العاطفية ، فدعني أكمل نقصك ولتكمل أنت نقصي ، أنت تمشي
فائزا منتصرا وأنا أسير في أثرك ظللا تابعا وشبحا مستترا ولأكن
أنا لك الخاطر والخيال ، ولتكن أنت لى الصباحة والجمال

كرستيان : والكتاب الذي نبأتنى أنها ترتقبه ، فاني لن
أستطيع أن أكتب منه حرفا واحدا .

سيرانو : (يخرج من صدريته خطابا مكتوبا) انظر ها هو
ذا الكتاب الذى تريده

كرستيان : كيف فعلت ذلك ؟

سيرانو : خذه فهو لك ، ولم يبق الا أن يكتب عنوانه

كرستيان : ولكنى ..

سيرانو : لا تخف وبادر الى ارساله اليها ، فهو الكتاب
المناسب الذى سوف يسرها ويلهب الحب فى صدرها

كرستيان : وهل عندك منه ؟

سيرانو : نحن الشعراء جيوبنا من رسائل الغرام ملأى حافلة
نخيلها تخيلا ، ونصور للعشيقات أسماء تشكل بها أحلامنا ،
بنات أشعارنا وعذارى خواطرنا ، ومصنوعات أخيلتنا . هاك
الكتاب ، خذه ، تتحول العواطف الزائفة فيه الى حقائق لديك
وقد أطلقت الزفرات والاناث فى فضائه اطلاقا بغير حساب
وسترى كل هذه الطيور الهائمة فى أوكارها تقع وتشعر بأنى
كنت فيه فصيحاً بقدر ما كنت فيه بعيداً عن الاخلاص ، خذ
الكتاب وتوكل

كرستيان : ألا يحسن التحوير فيها والتبديل ؟ وما دمت لم
تكتبها الى شخص معين ، فهل ستكون مناسبة لروكسان ؟

سيرانو : ستناسبها كما يناسب القفاز اليد .

كريستيان : ولكن ...
 سيرانو : (لنفسه) ما أعجب براءة الحب ، وسذاجة الهوى ،
 وما أقرب سرعة تصديق المحبين ، لست أحسب روكسان اذ تقرأ
 الكتاب الا معتقدة أن كل كلمة فيه قد كتبت لها .
 كريستيان : أى صديقى ! (يرتمى على ذراعيه ويعاقله مليا)

المشهد الحادى عشر

سيرانو - كريستيان - الغسقونيون - الفارس - ليز
 (يشتد قلق الجمع المنتظر بنجوة منهما ويكاد صبرهم
 ينفد فى ارتقاب ما عسى أن يقع بينهما ، فيدنو ضابط
 محاذرا يفتح الباب قليلا

الضابط : لا شئ . . . سكون رهيب . لا جرأة لى على الرؤية
 (يطل برأسه ليرى) عجباً ! ماذا أرى ؟
 (يندفع الضباط والجميع فى اثره متزاحمين وهم فى أشد
 الذهول ليروا كريستيان وسيرانو متعاقبين ا) : عجباً !
 عجباً !

أحدهم : لقد تجاوز هذا حدود التصور والامكان (رعب)
 (وكان بين القدوم الضابط الذى يدعى البطولة ويتعجب
 الى زوجة الحلوانى ، ويزعم انه الشجاع الذى لا يشق
 له غبار ، والفتى الفارس المغوار ، فاستهواه هذا المشهد

الى السخرية • وطن أن ما قيل عن سيرانو وجسام
فعاله لم يكن سوى خيال ورواية تروى)

الفارس : يا للعجب

القائد كاربون دى كاستل جالو : (مداعبا) لقد استحال
شيطاننا قديسا وديعا اذا ضربه أحد على منخره الأيمن أدار له
منخره الأيسر !

الضابط المدعى : (مناديا لويژ) لقد أصبحنا اليوم فى حل من
الكلام على أنفه فتعالى اسمعى اللحظة ما أنا قائله له (يتصنع
استنشاق الهواء) أوه ! أوه ! ما هذا الشذى الكريه ؟

(ويتقدم نحو سيرانو وينظر الى أنفه) لا شك عندى يا
سيدى فى أنك قد عطست والا فما هذه الريح التى انتشرت فى
كل ناحية ؟

سيرانو : (يضربه على أم ناصيته) يا لها من رأس صنمة !
(الجميع يفرقون فى الضحك ويلوح السرور فى الوجوه اذ
رأوا سيرانو شجاعهم المعهود قد عاد الى نفسه كما كان •
يقفزون ويتشقلبون فى الهواء)

سیرانو دی برجراک

الفصل الثالث

الفصل الثالث

المشهد - في دار روكسان

دار روكسان في حي (ماربه) بباريس ، ذات
بستان تكسو جداره الأغصان الناضرة غطاء من سندس
بهيج وطلع نضيد .

شرفة ونافذة فوق الباب ، ومتكا قد وضع عن
كسب منه - ومن السهل أن يصل الانسان الى الشرفة
اذا هو تسلق المتكا او من الاحجار النائرة في الجدار .
وقبالة دار روكسان دار تشابهها في طراز بنائها
وشكل عمارتها ، ولا تختلف عنها الا في أن لباب
الدار المناوحة مطرقة او حلقة ملقطة بقماش كانها ابهام
جريح مضمودة .

مصراعا الشرفة في دار روكسان ملتحان ، والمساء
موشك أن يؤذن ، وقد توارت الشمس بالحجاب في
يوم قريب من العهد الذي جرت فيه الحوادث
الماضية .

عند رفع الستار تشاهد الوصيفة جالسة على
هذا المتكا وراجينو واقفا الى جانبها يروي لها قصته
وقد ارتدى شيئا يشبه الفوطة وراح يجلف دموعه .

المشهد الاول

راجينو - الوصيفة - روكسان - سيرانو - غلامان
راجينو : واحسرتي لقد فرت مع ذلك الضابط وحطمت
تجارتى من ورائها ، حتى لقد رحت أوتر الموت على الحياة ،
وكدت أشق نفسي ، ولكن بينما هممت أن أفعل ، وقد أخذت

أنفاسى تنقطع ، ونبضى يخفت ، وقلبى تهبط ضرباته ، اذ دخل
على مسيو دى برجراك فبادر الى الجبل فقطعه ، ثم ذهب فزكائى
عند ابنة عمه فأدخلتنى فى خدمتها كما تعلمين !

الوصيفة : ولكنك لم تشرح لى كيف تحطمت تجارتك لهذا
السبب وكيف تركت متجرك ؟

راجينو : كانت ليز تحب رجال الحرب وكنت أحب الشعراء
وكان اله الحرب يأكل الفطائر التى يتركها اله الشعر والفن ، ولا
يغيب عنك أن الحال ما لبثت أن تدهورت .

الوصيفة : (تنهض من مجلسها وترفع بصرها الى الشرفة
وتنادى) : روكسان ، هل تأهبت للذهاب ؟ ان القوم ينتظروننا
(تبدو الحسناء عند النافذة)

روكسان : لم يبق سوى أن أشتغل بردائى ، وأنزل حالا
الوصيفة : (الى راجينو) انهم ينتظروننا فى هذه الدار
المواجهة فهى دار السيدة كلومير ، وستلقى فيها الليلة محاضرة عن
العاطفة الرقيقة

راجينو : عن العاطفة الرقيقة ؟

الوصيفة : (باستحياء) نعم فى الحب !

(تعود الى مناداة سيدتها)

الوصيفة : اذا لم تنزلى يا سيدتى مبادرة فأتنا المحاضرة !

روكسان : ها أنذى قادمة ، ها أنذى قادمة

(أنغام أوتار تنبعث من موضع غير بعيد وصوت سيرانو

متغنيا)

سيرانو : لا لا لا لا لا لا

الوصيفة : ما أسمع !؟ أترأهم يعزفون قطعة لنا ؟
(يظهر سيرانو بعد لحظة وفي أثره غلامان يعزفان على
قيثارتين)

سيرانو : (لاحدهما) لقد نبهتكم مرارا الى أن هذه الطبقة
ليست هى التى أريد أيها الاحمق
الغلام : ومن أين لك يا سيدى أن تميز بين طبقات
الالحان ؟

سيرانو : ويحك ! ان كل من أخذ عن الاستاذ العظيم
« دى جاساندى » لابد بالموسيقى العليم الخبير
الغلام : (يعزف ويفنى) لا لا لا

سيرانو : (ينتزع القيثارة من الغلام ويتم الجملة الموسيقية)
أستطيع أن أتمها لا لا لا لا لا لا لا لا
(تشاهد روكسان فى الشرفة) من أرى ؟ أهذا أنت ؟
سيرانو : (يفنى وهو على القيثارة عازف) هانا جئت أحبى
نرجسك الغض وأقدم احترامى الى وردك !
روكسان : (تنزل من الشرفة) هأنذى نازلة
الوصيفة : (وهى تشير الى الغلامين) وما شأن هذين اللاعبين
اللذين ينفشان السحر فى المعازف ؟

سيرانو : كسبتهما اليوم من « داسوسى » مراهنه ، فقد كنا
نتحدث فى مشكلة نحوية فاحتدمت المناقشة اللغوية واصطخبت
بيننا الحجج والاعتراضات الجدلية . أنا أقول الصحيح هو كذا ،

وهو يقول : لا بل الصحيح هو كذا وبينما نحن في حوار ومناظرة ونقاش محتدم وجدليات مستمرة ، اذ جاء هذان الغلامان اللذان اعتاد أن يتخذهما لنفسه حرسا كلما ذهب أو خرج من داره ، وهما بالعزف والتوقيع عليهما وللموسيقى بضروبها حاذقان ، فقال صديقي العالم التحرير والفقيه الكبير : أراهنك على يوم كامل من الموسيقى تسمعه اذا كنت أنت المصيب وكان منى الخطأ . وانفلت الى مظلته يغوص فيها ، والى مراجعه يبحث وينقب خلالها ، حتى وجد ما كنا فيه مختلفين ، فظهر أنى أنا المحق ، وأنه هو المبطل ، فكان لى الغلامان يغنيان لى ويعزفان الى أن تستقل «فبييس(١)» مركبتها مع الصبح اذا تنفس ، وقد جئت بهما يطيعان أمرى ، ويشنفان برنين المثاني والمثالث سمعى ، وقد بدا الأمر لى أولا بديعا مسليا ، ولكنى بدأت أمله وأوشكت أن أضيق به (يستدير نحو الغلامين العازفين) وأنتما يا هذان ، اذهبا الى مونتفيرى وغنياه لحنا راقصا !

(وكان الممثل يسكن فى تلك الناحية فيتقدم أحد العازفين يريد بابه)

سيرانو (الى الوصيفة) : الليلة أتيت كعادتى لاسأل روكسان ... (الى الغلامين) أطبلا العزف وأكثرنا من التوقيع ، وافسدا النغم ، وانشزا ما استطعتما نشوزا حتى تزعجناه وتكدرا عليه عمله . (مخاطبا الوصيفة) لقد جئت كدأبى كل

(١) يعنى الشمس

ليلة لأسأل روكرسان اذا كان حبيب النفس لا يزال كعهدها به
لا عيب فيه ؟

روكرسان : (وهى خارجة من البيت) لله كم هو مليح ، وكم
هو ذكى المعى ، وكم أنا أحبه !

سيرانو : أكرستيان الذكى الأملعى حقا ؟

روكرسان : بل أحسبه أذكى حتى منك أنت وأفتن المعية
يا ابن عمى !

سيرانو : ما أحب هذا الى خاطرى ، فليكن كما تصفين !
روكرسان : أحسبني لست واجدة فى هذا العالم كله انسانا
قد برع مثل براعته ، فى حلاوة عبارته ، وعذوبة كلامه ، وملاحة
تأديته للمعانى التى تجيش فى صدره ، وقد تأتى عليه أحيان
يلوح عليه فيها أن ذهنه منه شارد ، وشاعريته غائبة ، والمعانى
عليه مستعصية ، ثم اذا هو فجأة قد عاد المتحدث الساحر

سيرانو : (متظاهرا بأنه غير مصدق ما قالت) انك تبالغين !
روكرسان : بل أنت الذى تبالغ وتجاوز كل حد ، ولكن
لا بدع فأنتم كذلك معاشر الرجال تتصورون أنه مادام الفتى
مليحا جميل الوجه ، فلا عقل له ولا فطنة !

سيرانو : وهل يعرف كيف يصف القلب وصف خبير ؟
روكرسان : انه لا يصف ، بل يحلل ويفيض فى دراسة
الموضوع !

سيرانو : ويكتب

روكرسان : بل أكثر من ذلك ، ألا تسمع اليه وهو يقول :

« كلما أخذت من قلبي زاد قلبي ونما » (متفاخرة) فما رأيك في هذا ؟

سيرانو (بزمة من شفثيه) : أهذا كل ما عنده ؟
روكسان : بل استمع لما بعده : « واعلمي أن الانسان لا غنى له عن القلب لكى يتألم فاذا احتفظت بقلبي لديك فابعثي قلبك الى بديلا »

سيرانو : انى لا أفهم مراده فهو تارة يدعى أن عنده من القلب أكثر مما يطلب ، وأخرى يشكو أن صباغة القلب لا تكفيه
روكسان : (باستياء) أنت لا يعجبك المعجب ، انها الغيرة
سيرانو (مضطربا) : ماذا تعنين ؟

روكسان : غيرة الشاعر منك والشاعرية ، فاصنع الآن الى هذه الآية فى الرقة : « ان قلبي لديك له صرخة واحدة هي صرخة الحب ، ولو أن القبلا تترسل بالمداد بريدا لكنت تقرئين ، يا سيدتى ، كتابى بشفتيك ! »

سيرانو : (يبتسم ابتسامة الرضى بالرغم عنه) ها ! ها !
هذه الابيات ... (بازدراء) تافهة

روكسان : اذن فاسمع مزيدا ..

سيرانو : يا عجباً ، أفحفظت كل رسائله اليك عن ظهر قلب ؟

روكسان : كلها

سيرانو : حقا ان هذا بلا ريب تقدير عظيم !

روكسان : انه شاعر فحل

سيرانو : (بتواضع) عجا ا شاعر فحل ؟
 روکسان : انه وأيم الحق كذلك
 سيرانو : (محييا) ليكن ما تقولين • انه شاعر فحل
 (تاتى الوصيفة مسرعة)
 الوصيفة : الكونت دى جيش (الى سيرانو وهى تدفعه
 الى البيت) أدخل فلعله من الخير ألا يراك مخافة أن يعرف
 السر أو طريقه ا
 روکسان : أظن ذلك هو عين الحكمة ، فانه يحبنى وهو ذو
 سلطان ، فاذا عرف خافية أمرى ذهب كل أملى ، وفجعت فؤ ،
 حبى ، ولرمى قلبى بضربة منه قاضية
 سيرانو : (وهو يدنو من البيت) ليكن ما تشائين
 (يدخل دى جيش)

المشهد الثانى

روکسان : (محيية دى جيش) لقد كنت موشكة أن
 أخرج
 دى جيش : جئت للوداع
 روکسان : أمسافر أنت ؟
 دى جيش : الى الحرب
 روکسان : يا لله ا
 دى جيش : ونحن مسافرون الليلة

روكسان : كذا ؟

دى جيش : لقد صدرت لى الاوامر بالذهاب لان اراس محاصرة

روكسان : اراس محاصرة ؟

دى جيش : يبدو لى أن نبأ سفرى قد نزل منك على

قلب كالصخرة الصماء

روكسان : (بأدب) أوه ...

دى جيش : أما أنا فمحزون وفى القلب غم ، رباه ، هل

سيتاح لى بعد اليوم أن أراك ؟ لست أدرى ! فهل علمت أنتى

قد أعطيت مقاليد القيادة ؟

روكسان : (بغير اكتراث) مرحى

دى جيش : قيادة فرقة الحرس

روكسان : فرقة الحرس ؟

دى جيش : وهى الفرقة التى يعمل فيها ابن عمك المتبجح

المتعجرف أخو الخيلاء ، وانى لواجد هناك وسيلة للانتقام منه

روكسان : (من فرط الروع تخنق ، وكأنما لم تصدق ما

سمعت) : كيف ذلك ؟ أيسافر الحرس الى اراس ؟

دى جيش : (ضاحكا) ولم لا ؟ أليست فرقتى

روكسان : (وقد تهاوت جالسة على المقعد لنفسها) كريستيان

دى جيش : ماذا بك ؟

روكسان : (بتأثر) اننى فى غم شديد ويأس بالغ من أمر هذا

السفر ، عندما تتعلق النفس بشخص ثم تعلم انه الى الحرب
الغداة مرتحل !

دى جيش : (مندهشا ومنسحرا) لاول مرة أسمع منك
هذا الكلام الحلو ولكن فى يوم سفرى

روكسان : (وقد غيرت من لهجتها وراحت تحرك مروحتها)
أحقا تنتوى من ابن عمى ثارا ؟

دى جيش : (مبتسما) أريد أن أعرف أولا هل أنت عليه
أو معه ؟

روكسان : بل عليه !

دى جيش : أترينه أحيانا ؟

روكسان : لا أراه الا قليلا

دى جيش : انه اليوم يلزم ضابطا فى الجرس ضابطا اسمه
نو .. فيلان .. فيليه ..

روكسان : هل هو طويل ؟

دى جيش : ولكنه غبى !

روكسان : من ينظر اليه يحسبه كذلك (متدللة متلطفة)
ولكن ما الذى فى خاطرك أعددته للثار من سيرانو ؟ أحسبك
قد فكرت فى أن تلقى به فى أكثف القتال وأحر نار المعركة ، ذلك
أحب شىء الى نفسه ، انه انتقام يائس ، ولكنى أعرف وجهها
آخر ، أشد جرحا لكبريائه وأفجعه !

دى جيش : وما هو ذاك ؟

روكسان : لو انك خلفته فى باريس مكتوف الايدى ، طوال

الحرب هو ورفقائه الذين لا يفارقهم ، لكنت تلك الطريقة الوحيدة لاغطة رجل مثله . فان أردت عقابه ، احرمه من ركوب الاخطار .

دى جيش : يا للمرأة من دهائها ومكرها . من ذا يتصور فكرة كهذه أو يتخيل للثأر شيئا كهذا الذى أسمعه ؟
روكسان : ألا فاعمل يا سيدى على أن تدعه للهم والنكد يا كلان قلبه ، واتركه للفراغ يذله ويخضعه ويحرمه من مضارب السيف ومقارعه .

دى جيش : (وهو يقترب منها) : أتحيينى يا روكسان اذن . . . ولو قليلا ؟ (روكسان تبتسم له لتخذه)
دى جيش : أود لو يكون هذا الذى رأيته الليلة منك ، من مشاركتى فيما أعمل من حقد ، دليلا على الحب ، يا روكسان !
روكسان : انه لدليل . .

دى جيش (يبسط بين يديه كتبا) : هذه أوامر السفر وسترسل حالا الى كل فرقة وكتيبة ما خلا (يحتجز منها كتابا) ما خلا هذا فانه خاص بفرقة شبان الحرس ، وانى به لمحتفظ . . حقا ان سيرانو سوف يتميز من الغيظ ، اذ يعلم انه لن يشهد للحرب ميدانا ولن يلتبس فى ساحاتها من تيجان النصر اكيلا ، يا عجباً ! ماكنت أحسبك من بين النساء تعرفين مكر . . أو تكيدن للناس كيذا . .
روكسان : انما أفعل ذلك قليلا . .

دى جيش : (وقد دنا منها) لقد أضعت لبنى . اسمعى . الليلة موعد سفرى ، ولكننى لا أستطيع الفرار حين أحس انك تجزعين

لفراقى • اسمعى • يوجد بالقرب من هنا ، فى شارع أورليان ، دير
أسسه الأب اثناسيوس ، ولا يأذن الآباء لغير رجال الدين بدخوله
ولكننى كفيل بأولئك فلهم أردان يجدون متسعا لاختفائى فيها •
انهم رهبان فى خدمة ريشليو ، ومن يك من العم فى وجل يخشى
ابن الأخ • وسيعتقد الجميع اننى فى طريقى الى أراس • • وسأتى
إليك متكررا فدعنى ، أيتها الفاتنة اللعوب ، أؤخر رحلتى يوما •
روكسان : (بقوة) ولكن سمعتك ومجدك ، اذا علم الناس ،
ماذا يكون مصيرهما ؟ • •

دى جيش : أف لهما • •

روكسان : ولكن • • الحصار ، أراس • •

دى جيش : ليكن ما يكون • فأذنى لى فى البقاء !

روكسان : (برقة) كلا • • فان واجبى أن أثنيك عن ذلك

دى جيش : يا لها من كلمة !

روكسان : أراحل ! (لنفسها) كرستيان يبقى «بصوت عال»

أريد أن تكون بطلا يا أنطونيو !

دى جيش : (يستخف به الفرح) انى اذن لمسافر (وانحنى على

يدها يقبلها) أفأنت راضية ؟

روكسان : نعم أيها الصديق • •

الوصيفة : (تنحنى له باحترام ساخر) نعم أيها الصديق

(ينصرف دى جيش)

روكسان : (الى الوصيفة) اياك أن تذكرى كلمة واحدة

مما جرى .. فان سيرانو لو علم بأننى حرمته محضر المـعـارك
المنتظرة ، لما صفتح آخر الدهر عنـي

المشهد الثالث

روكسان - الوصيفة - سيرانو

روكسان : (تتجه بوجهها نحو البيت منادية) يا ابن العم • هلم
الينا مبادرا (يأتى سيرانو مسرعا) • اتنا ذاهبتان الى دار كلومير
هذه (تشير الى الباب المقابل) لنستمع الى الكاندر والى ليزيمون
الوصيفة : (تضع اصبعها على اذنها) أجل ولكن أصبغى
ينبئنى بأننا سنتأخر ولن نصل فى الوقت المناسب لسماعهم •
سيرانو : (لروكسان) لا تدعى الفرصة تفوتك لسماع هذه
القردة المدربة (وقد وصلوا الى منزل كلومير)
الوصيفة : انظر : لقد لفوا مطرقة الباب بالقماش (توجه
الكلام الى المطرقة) لقد كـمـمـوك حتى لا يفسد رنينك على القوم
سماع المحاضرات الرائعة • واهـا لك من مشاكسة متوحشة !
(ترفع المطرقة بحذر وتطرق على الباب بتؤدة)
روكسان : (وقد رأت الباب يفتح) اقرب يا سيرانو ، واذا جاء
كريستيان ، كما اتوقع ، فلينتظرنى حتى أعود
سيرانو : كلمة قبل أن تدخل • فى أى موضوع أنت راغبة فى
أن يتحدث كريستيان الليلة ؟
روكسان (مترددة) : ولكن .. لست أدرى ..

سيرانو (ملحا) : نبشنى فليس فى النبأ من بأس
 روكرسان : أفتكتم عنه الذى أنا منبئتكم به ؟
 سيرانو : سوف لا يعلم حرفا منه •
 روكرسان : انى منتوية ألا ألقى عليه الليلة سؤالا ولا أطلب
 اليه شرحا ولا تفسيرا ولكنى قائلة له اطلق لخيالك عنانه • ارتجل •
 سيرانو : (مبتسما) كن عظيما !
 سيرانو : (مبتسما) حسنا
 روكرسان : صه ! ••
 سيرانو : صه ! ••
 روكرسان : اكنم البسر ولا تنبس بكلمة • (تنصرف عنه
 مواءة وتغلق الباب)
 سيرانو : (والباب يقفل) شكرا
 (يفتح الباب ثانية وتطل روكرسان)
 روكرسان : قد يعد ما سيقوله !
 سيرانو : كلا ! يا للشيطان ، كلا !
 روكرسان وسيرانو معا : صه (ثم يغلق الباب)

المشهد الرابع

سيرانو — كريستيان

(يدخل كريستيان فى الموعد موافيا) •
 سيرانو : (ينادى كريستيان) لقد علمت ما يفيدنا •• هيه •

قريحتك فالفرصة مواتية لننال فخرا ، فهيا بنا ولا تضع الوقت
سدى ، ولا تكن كما أرى غاضبا متجهما ، تعال بنا نذهب الى
بيتك ، لكى ألقنك وأعلمك مما أوتيت علما ..

كريستيان : كلا

سيرانو : ماذا تقول ؟

كريستيان : كلا انى أنتظر روكسان ها هنا .

سيرانو : هل جنت يا فتى .. تعال معى لتتعلم ..

كريستيان : قلت لك كلا .. فقد ملكت هذه الكتب المستعارة

وبرمت بهذا الغزل المحفوظ والتشبيب الموحى به .. والتمثيل
المردد المعاد والاتفاض الدائم والرعدة المستمرة .. لقد كان هذا
حسنا فى البداية .. أما الآن فانى أحس انها تجبنى فلم أعد خائفا
ولا بى فى الحب من وجل ، وسأكلمها بنفسى ، وأتحدث اليها
حديث شعورى واحساسى .

سيرانو : عجبا !

كريستيان : لست أنكر اننى أفدت من دروسك ، وانتفعت
بتلقينك وتدريبك .. ولكن من علمك اننى لست على الكلام قديرا ،
فانى على كل حال لست ضعيفا غبيا ، ولا أخرس عيبا ، وستتعلم
اننى الليلة الشارح المبين ، والمعلن المتكلم .. يا عجبا .. أعجز عن
عناقها وضماها الى ! .. (يلوح روكسان خارجة من الدار المجاورة)
هاهى ذى قادمة ، لا تتركنى يا سيرانو !

سيرانو : تكلم يا صديقى وأرنا مبلغ براعتك (ينصرف ويذهب
ليختبئ خلف جدار الحديقة)

المشهد الخامس

كريستيان - روكسان - بعض السيدات والسادة - الوصيفة
(تخرج روكسان من دار مدام كلومير في سرب من
صاحباتها وأترابها • فتودعهن لدى الباب)
روكسان : الى اللقاء يا برثنويد ، ويالكاندر الى اللقاء يا
جرميونى

(تخطر متهادية وفي اثرها وصيفتها)
روكسان : (ما زالت تودع صديقاتها) الى اللقاء يا اريمدونت
(ينحنين لروكسان ويتبادلن عبارات الوداع ثم ينصرفن
في متشعب الطرق)

الوصيفة : (ضجرة مضحكة) لقد فانتنا المحاضرة عن
«الاحساسات الرقيقة» من تلكؤك يا سيدتى فحرمنا من متعة
طيبة (تدخل البيت نافرة وفي هذه اللحظة تلمح روكسان صاحبها
كريستيان فتدلف نحوه) •

روكسان : أهذا أنت •• لقد دنا الامساء ، ونأى الصبح ،
وطاب النسيم ، لا نفس صاعد ولا حس ، فلنجلس سويا ، ولنتكلم
فانى أصغى اليك (سكون)

كريستيان (يجلس بجوارها على مقعد مسدود • سكون) :
اننى أحبك ••

روكسان (تغمض عينيها) : هات حديثك عن الحب

كريستيان : اننى ...

روكسان : فصل وبين !

كريستيان : اننى أحبك كثيرا ..

روكسان : بلا شك .. ثم ماذا ؟ ..

كريستيان : ثم اننى لارى فى جيبك لى منتهى سعادتى • قولى

انك تحبيننى

روكسان : انك تقدم القشور ، وكنت أنا اطمع فى اللباب •

ألا حدثتني قليلا كيف تحبنى ؟

كريستيان : كيف ؟ حبا جما ..

روكسان : هلم .. هلم .. أحلل هذه العقد المتشابكة وأبسن

عن شعورك ..

كريستيان : (الذى اقترب منها وأخذ يلتهم بعينيه جيدها

الأيض) : جيدك ! ليتنى أستطيع له تقبيلًا ! ..

روكسان : كريستيان ! ..

كريستيان : اننى أحبك !

روكسان : (تهم بالنهوض) أما لهذا الحديث المعاد من نهاية ؟

كريستيان : (وهو يمسكها بقوة) كلا • كلا • اننى لا أحبك

روكسان (عادت الى مقعدها) : هذا حسن .. فماذا بعد ؟

كريستيان : بل أعبدك

روكسان (تنهض وتبتعد) : آه !

كريستيان : أجل ، لقد صيرنى الحب أحق !

روکسان (بجفوة) : هذا لا يروقنى كما لا يروقنى أن تكون
 قبيح الوجه كئيبا ..
 كريستيان : اننى ..
 روکسان : هلا ذهبت واستجمعت شتات فصاحتك الشاردة !
 كريستيان : ويحى ..
 روکسان : انك تجبنى ، لقد عرفت ذلك ، الوداع (تسير
 صوب البيت)
 كريستيان : مهلا ! أريد أن أقول لك ..
 روکسان (وهى تغلق فى وجهه الباب) : انك تعبدنى .. نعم
 لقد عرفت ذلك . كلا .. كلا . ارحل من هنا .

المشهد السادس

كريسيان — سيرانو — الغلامان

سيرانو (وقد تسلل منذ هنيهة دون أن يراه أحد) : انك كنت
 موفقا ..
 كريستيان : أغتنى !
 سيرانو : وما أصنع لك ؟
 كريستيان : الرحمة بى أيها الصديق . اذا لم أستعد فى الحال
 رضاها قتلت نفسى
 سيرانو : وكيف بالله عليك أستطيع أن أعطيك درسا ونحن
 تحت شرفتها ..

كريستيان : ها هي ذى حجرتها

سيرانو: (وقد أحس رثاء لهذا الشاب المستهام العاجز المتحير وأجفل اذ رأى الضياء فى حجرتها ، ولكن الظلام كان داجنا والليل حلكة) : لايزال ثم أمل فى اصلاح ماأفسدته وان كنت لاتستحق منى العطف الذى أوليتكه وأظهرته ، فاسمع ما أنا مشير به ، سأختبئ أنا تحت الشرفة ، وألقنك الكلام لفظا لفظا ، بل حرفا حرفا ..

كريستيان : ولكن ..

سيرانو : صه .. (يدخل الغلامان يناديا نه)

الغلامان : هلم

سيرانو : صه (يشير اليهما ان يخفضا صوتهما)

الغلام الاول (هامسا) : لقد ذهبنا فعزفنا عند دار مونفيليرى ..

سيرانو : اذهبنا فاكمنا غير بعيد عنها ، أحدكما فى شارع والثانى

فى شارع آخر ، واذا دخل علينا أحد فنبهانا بعزفكما

الغلام الثانى : وأى نغم نعزف ، نغم السيد جاسندى ؟

سيرانو : ليسكن النغم مرحا اذا كان القادم امرأة وحزينسا اذا

كان رجلا

(يختمنى الغلامان فيتجه كل منهما صوب ركن من الشارع)

(سيرانو ينادى كريستيان)

كريستيان (مناديا) روكسان !

سيرانو : انتظر (يتناول من الأرض بعض الحصى فيحصب

الشرفة بحصوات دقاق منها)

المشهد السابع

روكسان - كريستيان - سيرانو (لازلنا نراه في أول المشهد
مختبئا تحت الشرفة)

روكسان : (في الشرفة) سمعت هاتفا باسمي مناديا ..

كريستيان : أنا ..

روكسان : ومن تكون ؟

كريستيان : كريستيان ..

روكسان (باحترار) : أهو أنت ؟

كريستيان : أريد أن أكلمك

سيرانو : أحسنت .. امض هكذا برفق متوانيا

روكسان : لست لك بسامعة فانك لا تحسن كلاما .. اذهب

عنى

كريستيان : رحمة

روكسان : كلا ، انك لم تعد تحبنى

كريستيان : (وقد بدا سيرانو يلقنه وهو في مكمته) يا رب

السماء ، أنقولين اننى لم أعد أحبك ، بينما في كل يوم أرى الحب

في جوانحي متلظيا ..

روكسان : (وقد همت بأن توصل الشرفة) عجباً ! هذا أحسن قليلاً ، فهات ما عندك سبحة طويلاً

كريستيان : (ما زال يلقي الكلام) لقد نما الحب في صدري الخفاق بعد أن حل به كيوبد القاسى واتخذ مهاداً له

روكسان : (تخرج الى الشرفة وقد هزها هذا الكلام الطريف اللذيذ فى سمعها) هذا أحسن نوعاً ولكنك تبدو كأنك تشكو كيوبد وتحسبه قاسياً . فكان حرياً بك أن تخفق الوليد وهو فى المهد صبياً ..

كريستيان : وا أسفاه ، لقد حاولت ولكن سدى ، فان هذا الوليد قد انقلب هرقل وارث جباراً عتياً ..

روكسان : وهذا أحسن !

كريستيان : وما لبث أن خفق الحيتين التوأمتين .. الكبر .. والشك .. (١) وكأنه يعبث فحسب

روكسان : (متكئة على الشرفة) : أسلوب جيد . ولكن ما بالك هكذا متلعثماً قليلاً ومضطرباً ، فهل فى العقل خالج وخبال سرى منه الى ملكة الخيال ؟

(سيرانو يجذب كريستيان الى ما تحت الشرفة ويتسلل الى مكانه وهو يهمس له فى أذنه) ..

سيرانو : أفسح لى مكانك ، فان الموقف قد توعر

(١) الإشارة هنا الى هرقل الجبار الذى تقول الاساطير الاغريقية انه قتل الحية ذات الرؤوس التسعة

روكسان : مالى أجد الليلة كلماتك حيرى مترددة ؟
سيرانو : (يقلد صوت كريستيان) لان الليل قد أوغل ، فهى
فى الظلام تتلمس طريقها الى أذنك ..

روكسان : ولكن لماذا لا تلاقى كلمتى هذا الحائل فى طريقها
إليك ؟

سيرانو : لا عجب ، اذا هى اهتمت الى فلم تتردد ولم تضطرب
لأن قلبى يتلقفها • بل ما أكبر قلبى وما أدق أذنك ، وما أسرع
مهبط الكلمات اذا هى من الاعالى نزلت وما أبطأها اذا هى
صعدت !

روكسان : أخال كلماتك الاخيرة قد ألفت الصعود ، لانها قد
انتظمت فلم أعد أحس خلالها تلغثا ولا ترددا •

سيرانو : مع المراتة والتكرار تقل مشقة مثل هذه الرياضة !
روكسان : فى الحق يخيل لى اننى أتكلم من أفق عال
سيرانو : عال حقا ولو سقطت منه على قلبى كلمة قاسية ،
لاؤردته حوض النية ..

روكسان : اذن فلانزل إليك •

سيرانو : كلا ..

روكسان : (تشير الى المتكأ القائم تحت الشرفة) اصعد فوق
هذا المتكأ ، وقف مليا ..

سيرانو : كلا

روكسان : وكيف تعصى ، أف تكون على الحب أيبا ؟

سيرانو : (وقد استأثرت به شيئا فشيئا) بل انتظري هنيهة
جارية .. فان هذا الموقف بديع . والفرصة نادرة قلما تكون مثلها
مواتية ، الفرصة التى يتحدث قلبانا فيها بين مختلف لا يرى ،
وآخر ليس مرئيا .

روكسان : ولماذا الخفية ؟

سيرانو : انه لبديع ظاهر اللذة فليس السر فيه عصيا ، لانك
وأنا على هذه الصورة بين نصف مخبئ ، ونصف منكشف ، انما
ترين أطواء ثوبى سودا كأنها الاكفان البالية . ولاننى أرى من
ثوبك الناصع الاضواء البهية ، أنا الشبح وأنت الضياء ، أنا
السواد وأنت البهاء ، فهل تتصورين مقدار هذه اللحظات فى
نفسى لو أتنى كنت البليغ الفصيح ولم أكن عيبا ؟

روكسان : ولكنك بليغ ، دعوت اليك البيان فجاء مليا

سيرانو : ولكن حديث نفسى لم ينبعث من قبل من نبعة القلب
جاريا ، كما ترينه فى هذه الليلة متدفقا ضافيا ..

روكسان : ولماذا ؟

سيرانو : لأن لا بد لكلماتى أن ترقى اليك الآن فى مشقة

روكسان : ماذا تقول ؟

سيرانو : ان لعينيك شعاعا يجعل القلوب واجفة والابصار
زائفة راجفة ولكن الليلة يبدو لى أنى أحدثك للمرة الاولى

روكسان : هذا صحيح فان صوتك يبدو غريبا مختلفا ..

سيرانو : لاننى فى هذا الظلام الرفيق الحانى قد اجتزأت على
أن أكون نفسى ولو مرة واحدة . (يتلثم ويهاجمه شعوره القديم

وحبه الدين) • رباه لست أدري ماذا أقول ، فاصفحى الصفح
الجميل ، فإن هذه اللذة الجديدة التى لا عهد لى بها ما أعذبها على
النفس وما أحلاها !

روكسان : كيف تقول جديدة ؟

سيرانو : نعم جديدة لان الاخلاص فى القول أصبح الساعة
رائدى اليك وكان خوفي من سخرية الناس لا يفتأ يقبض القلب
روكسان : وعلام السخرية ؟

سيرانو : لتلك الدوافع •• ولطالما انزوى القلب حياء وراء
الفصاحة والبيان وكم من مرة أهم فيها باجتناب نجمة علوية ،
فأثنى من خشية المهزأة لاجتنى زهرة دنية •
روكسان : وما للزهرة انها حلوة ندية •

سيرانو : ولكنها جذيرة منا بالازدراء هذا المساء •

روكسان : بالله ! ما سمعتك تقول قولاً مثل هذا قبل الآن !

سيرانو : وماذا علينا لو تركنا السهام والمشاعل والجعاب
ولذنا بعيداً بأشياء أبرد ظلاً وأحنى •• وماذا علينا بدلاً من
أن نرتشف ماء ليس به طعم فى قدح صغير رقيق من الذهب لو
تركنا النفس تشفى غليلها وتعب فى بحبوحة النهر الزاخر •
روكسان : وما قولك فى البلاغة ؟!

سيرانو : اذا كنت قد استعنتها على مشاغلتك فى البداية ، فالיום
حاشا أن أتخذها مستعاراً ، لان ذلك سبة بل اهانة ، لهذا الليل
النفاخ ، والعبق الفواح والطبيعة البليغة فى ذاتها لا حاجة بها الى
البلاغة وأدواتها ولا الى الكلمات المنمقة المصقولة التى تزdan بها

كتب العاطفة ورسالاتها • أنظري الى كواكبها وتعلمي الى مسابحها
فى الفلك ومذاهبها •• ان النظر الى الطبيعة ينزع من نفوسنا كل
بهرج وزيف • وان أخشى ما أخشاه أن كيميائنا المستعذبة من
صناعة وبيان قد يتلاشى فيها محض الشعور وخالصة • وقد لا
تلبث النفس بهذه الحيل والخدع الفارغة أن تضمحل وتذوى ،
فيكون كسبنا لهذه الاشياء المصنوعة الزاهية ، هو فى الواقع خسارتنا
لكل شيء •

روكسان : قل لى أيضا ما البلاغة ؟

سيرانو : البلاغة فى الحب جريمة ، والالتجاء الى كلامها
الرقيق وتعبيرها المنق ، بغض الى النفس الصادقة كربه ، لانها
أدنى فى حلبة الحب الصادق الصريح ، الى ملاكمة أو مجادلة أو
معركة سلاحها الالفاظ •• أو مباراة كلامية أداتها الكنية والمجاز ،
ودقة الاستعارة ، فعلام الفزع الى البلاغة اذا كانت اللحظة المحتومة
لا بد آتية فى النهاية ، والا فياويح الذين لا يعرفون تلك اللحظة
السماوية ، اللحظة التى يمضى فيها الحب الزاخر فى قلوبنا مطهرا
سائر نواحيننا ، وتصبح كل كلمة مختارة أو تشبيه أو استعارة ،
تافهة لا قيمة لها ولا اعتبار •

روكسان : وافرض ان هذه اللحظة التى وصفتها قد جاءت فعلا
وتجلت فماذا لعمرك أنت قائل فيها وأى الكلمات أنت على التعبير
عنها مستعين ؟

سيرانو : كل كلام يومئذ يقال جميل ، وكل ما يرد على الخاطر

صالح ، حسبى أن ألتقى الكلمات من خاطرى لحظة تواردها فانثرها
بغير نظام ، واقدف بها في غير تنسيق ، نثرى الازهار ، لا أصطنعها
باقات مرتبة الورود بجانب الرياحين •• يومئذ يغنى قولى انى أحبك
انى مستهام بك ، لم أعد احتمل انى أختنق ، هذا كثير ! اسمك فى
قلبى يخفق خفق الجرس ولهذا كان قلبى فى خفقان دائم متصل ،
اذ الجرس لا ينى عن الخفقان ، مدويا باسمك فى رنين حلو

اذكر يوما من أيام السنة الماضية ، هو الثانى عشر من شهر
مايو ، يوم خرجت من دارك فى الصباح ، وقد صففتى شعرك
تصفيفة جديدة ، فاتخذت بريق شعرك لبراسا لى ، وكنت كمن
يتطلع الى قرص الشمس القرمزى ، فلا تقع عينه الا على بقع
ذهبية تموج فى ناظريه

روكسان : هذا هو لعمرك الحب •

سيرانو : أجل • ان هذا الذى يملأ حسى رهيبا غيورا متلفيا
باكيا ، هو الحب • لان الحب أبدا حزين ، حتى وسط أفراحه ،
مبتس حتى فى لحظات مباهجه وانشراحه •

أى والله انه الحب ، وان كان العجيب فيه أنه لا ينطوى على
حب ذات ، أو حب لنفسه ، فانا من أجل حبك أرتضى أن أقتل
بسرور ما أجد منه فى صدرى واحساسى ، حتى وان ظلمت بسره
تجهلين ، بل ستلبش الدهر كله عنه لا تدرين شيئا ولا تعرفين ،
حسبى وأنا فى وحدتى ومنأى ، وعزلتى وجواى ، أن أسمع
أحيانا صدى ورنينا ، لذلك الرغد الذى اشتريته لك كريما

لا ضنينا • كل لحظة منك توقف فى نفسى فضيلة ، وكل نظرة منى
اليك تهيبى شجاعة جديدة مجهولة • وشهامة لم تكن من قبل عندى
وبسالة • أفتراك أيتها العزيزة بدأت تفهمين • • لقد توانيت فهما •
وتباطأت وجدانا • ألا تعلمين اننى فى اللحظات التى ترقى فيها
آمالى أبعد ما تكون صعدة ورقيا ، أحس اننى قد أوتيت تعويضا
مواسيا ، لم أكن من قبل لمثله مؤملا ولا راجيا • فاليوم لم يبق لى
الا أن أموت فما أهنا المنية! لقد كان لكلماتى فيك وقع السحر،
وهأنذا أراك تضطربين بين الاغصان الزرقاء فى ظلمة الليل • •
انك ترتعدين كورقة ناضرة بين أوراق الشجر • • ولقد أحسست
بالرعشة الحلوة وهى تنزل من يديك على فروع الياسمين المتدلية
من الشرفة (يقبل بجنون طرف فرع منهدل)

روكسان : اى والحب • • اننى لواجفة • • والعبرات من عيني
واكفة ، انى لك ، فقد شربت من أدبك وسكرت من حبك !

سيرانو : فليات اذن الموت • فانا ، أنا حقا باعت هذه النشوة • •

روكسان : فما هو ؟

كريستيان (من تحت الشرفة) : قبلة (تراجع روكسان) • •

فدعيني أسأل شيئا واحدا • •

روكسان : ماذا

سيرانو : واهالك

روكسان : انت تسأل ؟

سيرانو : نعم •• أنا •• (لكريستيان) ايها الأحمق انك

متسرع

كريستيان : ألا ترى أنها قلقة فيجب أن أغتصم الفرصة ؟

سيرانو (لروكسان) : لقد عجل لساني بما لم يساير وجداني
محاذرا ، وقد أدركت اللحظة انى كنت جسورا ، يا للخجلة ،

باغيا

روكسان : (تعتريها خيبة أمل) : أو تصر على هذا فحسب ؟

سيرانو : ليس ثمة اصرار • نعم • نعم • ان حياءك ليردك
عنها ولذا فالقبلة التي سألتها لك ان ترجعي فيها

كريستيان (الى سيرانو وهو يجذبه من ثوبه) : لماذا ؟

سيرانو : صه يا كريستيان

روكسان : (من فوق حافة الشرفة) ماذا تقول بصوت خافت؟

سيرانو : لقد جاوزت القصد فكنت أحدث نفسي وألومها وكنت

أقول : اسكت يا كريستيان ! (يبدأ العازفان في العزف) لحظة !
ها هي مواقع اقدام منا دائية

(تغلق روكسان الشرفة ويلبث سيرانو يرهف السمع للانغام

أحد العازفين يعزف نغما مرحا والآخر يعزف نغما حزينا)

ياعجبيا ! مابالها ابتدأت حزينة، ثم عادت لاهية، ثم انقلبت باكية؟

ليس القادم اذن رجلا ولا امرأة • فمن يكون اذن اذا لم يكن راهبا

تقبا •• ؟

المشهد الثامن

سيرانو — كريستيان — القسيس

(يظهر قسيس حاملا مصباحا ، وهو يبحث بين البيوت واقفا لكل باب مناديا) •

سيرانو : (للقسيس) ما حاجتك أيها القسيس تحذو حذو ديوجينيس بمصباحك ؟

القسيس : ولكنى أفتش عن المرأة وإن كان النهار قد راح ،

كريستيان : انه يقف في طريقنا

القسيس : أريد دار مدام مادلين روبان ؟

كريستيان : وماذا يريد ؟

سيرانو : (يأخذ بيده ويشير الى شارع بعيد صاعد وهو يقول)
خذ هذا الطريق واستقم فيه الى نهايته •

القسيس : بارك الله فيك يا بنى • • سادعو الله لك ليجزيك خيرا (يخرج)

سيرانو : ولتبعك تمنياتى الصادقة

(يعود سيرانو الى كريستيان) •

المشهد التاسع

سيرانو - كريستيان

كريستيان (متأوها متحرقا) : ألا تحصل لى على تلك القبلة
ناشدتك الله !

سيرانو : كلا ..

كريستيان : ان عاجلا وان آجلا ..

سيرانو : هذا حق .. ان اللحظة لا بد آتية ، اللحظة التى
ستخامر كما فيها نشوة الجنون وسكرة الهوى فلا يلبث أن يلتقى
الشعر بالشعر وأن يميل الشارب الاشقر على شفاه من الورد ..
(لنفسه) لكم تمنيت أن تكون بسبب ...
(تفتح الشرفة فيتسلل كريستيان تحتها مخبئا)

المشهد العاشر

سيرانو - كريستيان - روكسان

روكسان : ألا تزال واقفا يا كريستيان الى الآن .. لقد كنا
نتحدث عن ماذا ؟

سيرانو : عن القبلة ما حدها سحرا والتذاذا ، وما عجبى منك

الا أن شفتيك لست أدري ما الذى يمسكهما ، فان كانت اللفظة
ملهبة محرقة فى معناها ، فماذا عسى أن تكون هى بذاتها ، وماذا
هى بالشفيتين صانعة من حرها ونارها •

أواه يا مالكتى •• لاتدعيها ترعب حياءك •• أوتخجل تواضعك ،
أفلم تتركى منذ لحظة البعث جانبا ، واستدرجك فى غير فزع
الابتسام الى التأوه والالين ، ومن الالين تقدمت الى الدمع السخين ،
فهللا تدرجت فى رفق خطوة أخرى من الدمعة الى القبله ، وليس
بينهما الا رعدة لحظة وخفقة قلب أخرى ، وفى الجوانح من
وسوستها رنين ؟

روكسان : صه •• صه ••

سيرانو (فى حماسة اللحظة وحرارتها) : ما القبله ، وما أدراك
ما القبله ، ان هى الا فى ميثاق الحب الامضاء والتوقيع ، والمهد
المختوم ، والوعد المطبوع ، اعتراف من القلب يسأل التوكيد ، ونقطة
النون ، فى لفظة « الفتون » وسر لا يهمس به فى الاذنين •• وانما
يوسوس به فى الفم والشفيتين ، رفرقة جناح ، تحمل الارواح ، الى
لذة بلا نهاية ونشوة أبدية ، وخليط مركب من عصير أزهار
برية ، نفاحة الارج زكية ، وتفريج عن القلب وتنفيس ، حين
يطغى الفيضان على الحافتين ، فينسب الى الشفتين •

روكسان : حسبك •• حسبك ••

سيرانو : القبله يا سيدتى كانت قديما عنوان تكريم • وشارة
رضوان ، ان ملكة فرنسا منحتها يوما لعظيم اكتسب حظوتها •

روكسان : ثم ماذا ؟

سيرانو : لقد كان ذلك العظيم هو اللورد باكنهام ، وكان يتالم
فى صمت كما أئالم .. وكان يعبد ملكته كما أعبدك أنت يا ملكتى ،
وكان حزيناً كحزنى .. وكان وفياً .

روكسان : وأنت جميل كباكنهام !

سيرانو : (لنفسه متحسراً) هذا صحيح . انى جميل . لقد
نسيته ذلك

روكسان : اصعد اذن لتقطتف هذه الزهرة التى لا مثيل لها
سيرانو : (الحنى وأمسك بكريستيان يدفعه الى الشرفة)
اصعد

روكسان : أو أنفاس القلب تفريجا وتنفيسا ؟

سيرانو : (يشد صاحبه ويهمس له) .. هيا اصعد

روكسان : أو هى طنين النحل .. ؟

كريستيان : (مترددا) ولكن يخيلى الى الآن انها قبلة خطيرة

روكسان : أو هى اللحظة الابدية والنشوة السرمدية .

سيرانو : (يدفع كريستيان) اصعد ايها الحيوان

كريستيان : (يتسلق المتكأ والاعصان حتى يبلغ المكان

ويحتوى روكسان فى الاحضان . ثم ينحنى على شفيتها فيقتطف

ما شاء الحب أن يقتطف) أو اه ياروكسان

سيرانو (مناجيا) : أيها الالم المضى الذى يرفرف كالطائر

فى الصدر منى والحنيا . وهذه هى القبلة . وليمة الحب ومأدبته ،

منى قرية دانية • ولكنى منها الطريد المنبؤ فى ناحية ، كأتى
الشجاذ الطريح فى الظلام (١) • يرتقب من الموائد فتاتا أو فضلات
من طعام تساقط عليه ، سارية اليه هاوية •

أى روكرسان • أحسن أن قلبى الآن لديك ، لآنك تقبلين على
تلك الشفاء المتوهمة ، الكلمات التى قلتها الساعة !

(يسمع عزف الغلامين على قيثارتيهما بلحنيهما المتباينين ••
نعم حزين ، ثم نعم مرح : انه الكاهن ، فيجرى متظاهرا بأنه
قادم اللحظة من مكان بعيد ويقول بصوت واضح النبرات)
هولا !

روكرسان : (تطل لتري) ما الذى جرى ؟

سيرانو : هذا أنا •• كنت مارا من هنا ولكن هل رأيت
كريستيان ؟

كريستيان : (مندهشا) عجبا ، سيرانو

روكرسان : أسعدت صباحا يا ابن العم

سيرانو : أسعدت صباحا يا ابنة العم

روكرسان : اننى عما قليل موافية (تختفى داخل الدار)

(يعود الكاهن حامل المصباح يتلمس الطريق)

كريستيان : (يلمح الكاهن) انت ثائية (يسير الكاهن خلف

روكرسان)

(١) إشارة الى قصة اليعازر المسكين الذى كان يشتهى اللغات الساقط من
مائدة الغنى (لوقا : ١٦ : ١٩)

المشهد الحادى عشر

سيرانو - كريستيان - روكان - الكاهن - راجينو

القسيس : ماجدولين روبان ا انى متأكد أنها تسكن هذه
الدار

سيرانو : أقلت «رولان» ؟

القسيس : لا • بل روبان - باء الف نون ا

روكان : (تظهر على عتبة الدار يتبعها راجينو وهو يحمل
مصباحا ، ثم كريستيان) وما هذا

القسيس : انه خطاب

كريستيان : ماذا ؟

القسيس : انه كتاب لا يليق بحمله غير كاهن او قسيس ••

لانه من أمير عظيم ••

روكان (باضطراب) : ما أحسب الكتاب الا من دى جيش •

كريستيان : أويجرؤ على هذا

روكان : انه لن يضايقنى بعد اليوم • حسبى انى أحبك

(تفض الكتاب فيقدم راجينو فى تلك اللحظة فيدنى منها

مصباحا وتقرأ هى على ضوءه)

• سيدتى ••

الطبول تدق • وفرقتى تتأهب للرحيل • وأنا وحدى المتخلف

وان ظن الجميع أننى قد استبقت ، لقد راودتنى الجرأة على عصيان نصحك ، والتمرد على أمرك ، وأنا الساعة مختبئ وراء جدران الدين رابض ، متحينا الفرصة المواتية تبسم لى وتومض لكى أتزود بوداع الليلة وأسعد . وقد حملت كتابى هذا راهبا أبله لا يدرى ماذا حمل فى اليد . لقد ابتسمت لى شفقتك العذبتان . فلا طاقة لى على الرحيل دون أن أراها مرة أخرى قبل البين .. » .

روكسان : أحسبك يا أبى لم تعلم ما فى هذا الكتاب فاسمع اذن (تقرأ بصوت عال)
« سيدتى ..

» أمر الكردينال مطاع وكلمته قانون . وان كنت بالامر لاترحبين ، أو فيه لاترغبين ، وتنفيذا لامره ، وتحقيقا لمشيئته . بعثت اليك بهذا الكتاب . على يد رجل تقى ورع ذكى حازم أريب ، لكى تتلقى منه فى الحال فى بيتك بركة الزواج سرا بكريستيان . وان كنا نعلم انك للزواج به كارهة .. ولكن فلتصبرى ولتستسلمى يعوضك الله عن صبرك خيرا كثيرا والسلام »
(الكاهن وقد اشتد اغباطه)

انه لسيد عظيم . بارك الله فيه . وما شككت فى حسن رسالته وشريف غايته .

روكسان : (همسا الى كريستيان) ألا ترى انى احسن قراءة الكتب ؟

(يدير القسيس المصباح ناحية سيرانو)

القيسيس : فانت الزوج اذن يا سيدى ؟
سيرانو : يحس بالارض تميد به ، ولكنه لا يجيب .
كريستيان : (مبادرا) بل انا هو
القيسيس : وهو يرفع المصباح ليراه . ولكنه يتبين خياله
وجها مليحا (ولكن)

روكسان : (مقاطعة) يا عجا .. ان للكتاب حاشية نسيته :
« تبرعى الى الدير بمائة وعشرين بستولا »

القيسيس : (بفرح) نعم السيد العظيم والمولى الكريم .
(لروكسان) وما تقولين . الا تسلمين امرك لله وتذعنين ؟
روكسان : (بعد لحظة كأنها تستخير ضميرها وتناجي خاطرها)
ثم لا تلبث أن تتخذ سمات المكره المستشهد منه) .
روكسان : اسلم (تلفت الى راجينو بان يتقدم بالمصباح
يهدى الى الطريق . يدخلون البيت الا سيرانو الذى يتخلف)
(لسيرانو) ابق يا ابن العم بموضعك هذا لترد عنا غائلة
دى جيش وتكون له بمرصدا فاذا جاء فاحم الباب فى وجهه
ولا تبجه دخولا . فهمت ؟

سيرانو : فهمت (الى الكاهن قبل ان يتوارى عنه) كم
يستغرق عقد القران منك ؟

الكاهن : حوالى ربع الساعة .

سيرانو : (يدفعهم داخل الدار) ادخلوا فانى هنا ماكث وليفعل
الله ما يشاء .

روكسان : (لكريستيان) هلم ! (يدخلون)

المشهد الثاني عشر

سيرانو وحده

سيرانو : كيف السبيل ليت شعري الى احتجاز دى جيش
ربع ساعة •

(يعتلى المتكأ ويتسلق الجدار فى اتجاه الشرفة) : والآن
لأتسلقه •• لدى خطتى (يبلغ سمعه عزف القيثارة ، وهى تعزف
تعزف لحنا محزنا) ان رجلا فى الطريق ا (ويسرع الى قبعته
فيرخيها على عينيه ويخلع سيفه ويتزمل بردائه • يصبح اللحن
تشاؤميا) لن أخطئ هذه المرة ا (يطل مختبرا الارتفاع من
الشرفة الى الارض) ليست المسافة بعيدة على كل حال •
(يتمشى فى الشرفة ويمد يده الى فرع مديد فى دوحة من
الجدار قريبة فيتعلق به ويمسكه بكلتا يديه • على الأُهة ليسقط
من فوقه) سأرج هذا الافق رجا خفيفا •

المشهد الثالث عشر

سيرانو — دى جيش

« يظهر شبح دى جيش وهو ملثم يتلمس الطريق فى الظلام »
دى جيش : يا عجبا لهذا الكاهن اللعين ا ما الذى يمكن أن
يريده ؟

سيرانو : (لنفسه) ويحي ان هو عرف صوتى (يترك يدا متعلقة بالشجرة وباليد الاخرى يتظاهر بأنه يدير مفتاحا خفيا فى الباب) كريك ا كراك ا (بخشوع) سيرانو ا عد الى قديم غسقونيتك ا

دى جيش : (ينظر الى الدار) نعم ، هذه هى الدار . . . مالى لا أتبين الأشياء جيدا ان هذا القناع ليضايقنى .

(يقف دى جيش بالباب ويهم بأن يدخل البيت . يترك سيرانو جسده فى تلك اللحظة يهوى من مكانه . فيسقط بين الباب وقدمى الكونت . يتعمد أن يحدث سقوطه صوتا يوحى بأنه سقط من مكان عال جدا . ويظل راقدا على الارض بلا حراك وكأنه قد غشى عليه) .

دى جيش : (يتراجع) يا الله ما هذا ؟ (يرفع عينيه الى أعلى فلا يرى الا السماء ، لان الغصن الذى كان متعلقا به عاد الى مكانه بعد انحنائه) من أين سقط هذا الرجل اذن ؟
سيرانو : (وهو يتحامل ويجلس ويتحدث بالفسقونية)
من القمر انحدرت . . .

دى جيش : من اين قلت ؟

سيرانو : (وكأنه يحلم) كم الساعة الآن ؟

دى جيش : هل فقد الرجل عقله ؟

سيرانو : أى البلاد هذا البلد . وأى الايام هذا من . . .
الاسبوع . وأية ساعة هذه وأى فصل من فصول السنة
دى جيش : ولكنى

سيرانو : الى في ذهول

دى جيش : سيدى ا

سيرانو : من القمر سقطت كما تسقط القنبلة

دى جيش : (وقد عيل صبره) أهذا ا سيدى ا

سيرانو : (بصوت مدو وقد هب واقفا) لقد هويت منه ا

دى جيش (متراجعا) حسنا ا حسنا ا لقد هويت منه ..

لعله مخبول ..

سيرانو : (متجها نحوه) قلت لك اننى من القمر انحدرت،

وأنا في ذلك لا أتكلم مجازا ولا أستخدم استعارة

دى جيش : ولكن ..

سيرانو : لم يكن لى الخيار وأنا أهوى في أن أعرف مكان

استغرقت ، منذ كنت في تلك الكرة الصفراء وأقمت ؟ لست

أدرى •

دى جيش : (غير عابىء) لقد أقمت هناك ، فدعنى أمضى

وشأنى •

سيرانو : (يمنعه عن المسير) نبئنى الحق ، أين أنا • ولا

تخف عنى في أى قطر كنت وبين أى قوم مثل النيزك سقطت •

دى جيش : عجبا ا

سيرانو : لم يكن لى الخيار وأنا أهوى ان اعرف مكان

سقوطى ، فهل ثقل جسمى طرح بى الى القمر أو الى الارض ؟

دى جيش : ولكن الصت لى يا سيدى

سيرانو : (يصرخ صرخة مدوية يتراجع لها الكونت) يا الهى
ان وجوه اهل هذا البلد سود
دى جيش : (يتلمس وجهه بيديه) وكيف كان ذلك ؟
سيرانو : (خائفا) فى بلاد الجزائر أنا ؟ ولعلك انت من اهل
البلاد ؟

دى جيش : (أدرك أنه يلبس قناعا) واها لهذا القناع !
سيرانو : (متصنعا اعتداه الى الحقيقة) فأنا فى البندقية
اذن ، أو لعلى فى جنوا ؟
دى جيش : (محاولا المرور) دعنى أمر فان غادة تنتظر •
سيرانو : (وكأنه قد اهتدى الى الحقيقة) أنا فى باريس
اذن يا رجل ؟

دى جيش : (يبتسم بالرغم منه) يا للوغد ! انه مسل •
سيرانو : عجبا ! أتضحك ؟

دى جيش : نعم ، ولكنى أريد أن أمضى لسبيلى
سيرانو : (مشرق الوجه) لقد هبطت باريس ، مع الزوبعة
الاخيرة (يلقي الكلام على عواهنه نافضا الغبار عن ردائه منحنيا
فى أدب) معذرة ، انه السفر • ان الاثير يغطى بعض جسمى
وغبار الكواكب يملأ عيني حتى مهمازى تكسوهما بعض
الشعرات من النجوم) ثم يلتقط شعرة من كمه) يا عجبا هذه
شعرة فى صدريتى ما أحسبها الا من ذب نجم مذنب • (ينفخها
فى الفضاء كأنها يردها اليه) •

دى جيش : (وقد ضاق ذرعا) سيدى ! (ولكن سيرانو

يسارع الى الانحناء ليمسك بسناقه كأنما يريد أن يريه شيئا)
سيرانو : يا الله ما هذا الذى وجدته مغروزا فى ساقى ؟ هذه
سن من أسنان الدب الاكبر حين كنت أمر بقرب « السماك
الرامح » انحرفت ، فرارا من حربته المثلثة الاسنة ، فسقطت
على « الميزان » واستويت جالسا على احدى كفتيه وأحسب أن
مؤشره قد قيد وزنى عليه ، هناك فى السماء (يحاول دى جيش
الانصراف فيمسك سيرانو بزر من أزرار صدرته) وانى لاقسم
لك ياسيدى أنك لو ضغطت أنفى بين اصبعيك لنفث لبنا حلييا .
دى جيش : تقول لبنا حلييا ؟

سيرانو : نعم من أثر خوضى وسبحى فى نهر المجرة
« الطريق اللبنى »

دى جيش : بل ببرورك على الجحيم !
سيرانو : كلا ! بل هبطت من السماء (يضم ذراعيه على
صدره) وهل تصدق يا سيدى بالله عليك أننى فى منحدرى من
السماء رأيت « الشعرى اليمانية » تضع على رأسها « طاقية »
(يسر اليه كلاما) وقد نجوت من عضات الدب الاصفر لانه
لا يزال حدثا لا يعرف عضا . (يضحك) ومررت بكوكب
« القيثارة » فقطعت من أوتارها وترا (متفاخرا) وفى نيتى أن
أضع فى رحلتى هذه كتابا أو سفرا ، وقد حملت بين طيات
قبائى الشائط نجيمات دقاقا ، ركبت فى سبيلها الاخطار ،
وأحسبها تصلح لكى تكون « سطور نجوم » بين أجزاء الكتاب
الذى أعترزم طبعه .

دى جيش : أو لم تنته بعد ؟ لقد تحملت الكثير وأريد ..

سيرانو : انى أعرف ما تريد ..

دى جيش : سيدى !

سيرانو : أحسبك الآن تتشوق لمعرفة شىء منى عن القمر
ومم يتركب، وهل يعيش الناس على سطح هذه القرعة الكروى؟

دى جيش : (ضاحكا) كلا . كلا . انى أريد ..

سيرانو : لقد فطنت . انك تريد أن تعرف كيف صعدت
السماء ، ألا فاعلم يا سيدى أنى قد اهديت الى طريقة عجيبة
من حسر تفكيرى ، وصميم مبتكرى

دى جيش : (مبتسما) انه لمجنون

سيرانو : (باحتقار) فلم ألتجئ الى الرخ الثقيل كما
فعل رجيوموتانس ولا الى اليمامة الوجلة التى استخدمها
أركيتاس .

دى جيش : هذا والله مجنون ، لكنه مجنون مثقف

سيرانو : كلا لن أكون مقلدا شيئا سبقنى اليه القدماء

(وفلت منه ، وكاد ينجح فى بلوغ باب دار روكسان ،

لولا أن سيرانو جرى فى أثره مستعدا لاستخدام العنف والقوة
لمنعه ورده)

سيرانو : لقد ابتكرت ست طرق لاقتحام القبة الزرقاء

وغزو قلاعها

دى جيش : (يلتفت خلفه) ستة طرق ؟

سيرانو : (بطلاقة لسان) أما الطريقة الاولى فهى أن أقف
مثل كفك عاريا ، تحيط بى قوارير بلورية ، ملأى بعبيرات
الطبيعة الباكية ، فى البكرة الندية ، معرضا الجسد للشمس
المتوهجة القاسية فتمتنص قطر الندى وتمتنصى معه .
دى جيش (بدهشة ، يقف على الرغم منه مصفيا) : هذه
واحدة ، فما هى الثانية ؟

سيرانو (وهو يتراجع خطوات لكى يبعد به عن الشرفة
الدانية) : والثانية يا صاح أن أعمد الى توليد الرياح والاهوية ،
فاحتجزها فى صندوق من خشب الارز ، بوساطة مرايا متعددة
الاجوه وعدسات محرقة ، ثم أرقى بها
دى جيش (وهو يتقدم خطوة) : والثالثة ما هى ؟

سيرانو : (يتراجع خطوة مثلها) أما الثالثة فتححتاج الى براعة
آلية ، لاصطناع جرادة عملاقة ، ذات أذرع صليبية ، وألقى بنفسى
فى جوفها ، محركا اياها ، بمادة بارودية تحدث انفجارات متصلة
تقذفنى الى تلك الحقول السماوية الزرقاء حيث قطعان النجوم .
دى جيش : (يتبعه وهو ساهم يعد على أصابعه) عجل
بالرابعة

سيرانو : ولما كان للأدخنة والأبخرة خاصية الصعود الى
الطباق العالية ، أروح أملا بها منطادا ، بالقدر الذى يكفى لحملى
معه

دى جيش : (يتابعه مندهشا) هذه طرق أربع ، فلعل الخامسة
أبدع .

سيرانو : أو أطلع نفسي بنخاع من جسد ثور ، أيتها
الثيران ، مادامت فيى (١) ، وهى تتضاءل ، تحب ارتضاع
الدهن .

دى جيش : (مندهشا) هذه خمس ، فما السادسة ؟

سيرانو : (وكان قد تراجع بدى جيش الى ان بلغا الجانب
الآخر من المكان ووقفا بجانب احد المقاعد) أو أركب لوحا من
حديد وأمسك فى يدى بقطعة من مغناطيس أقذف بها فى الفضاء ،
ولا يكاد المغناطيس يطير حتى يندفع وراءه الحديد منجذبا اليه ،
ثم أبادر بقذف المغناطيس كرة ثانية ، وهكذا دواليك .

دى جيش : هذه ست طرق كلها طيبة باهرة فاخرة ، فأيتها
كالت المختارة ؟

سيرانو : اخترت سابعة

دى جيش : انه لمدهش . فما تلك ؟

سيرانو : خدس ان استطعت

دى جيش : ليتنى عرفت

سيرانو : دعنى أمثلها تمثيلا (يمد ذراعيه ويلوح بهما فى الفضاء
كما يفعل الطافي فوق صفحة الماء ، ويمثل الخريز والامواج) .
هويش | هويش |

دى جيش : وما هذا ؟

سيرانو : الا تخمن ؟

(١) الهة القمر وهى رمز له

دى جيش : لا

سيرانو : هذا هو اللج المتقاذف ، أو هو حركة المد والجذر
فى تلك الساعة الساحرة التى يغازل القمر فيها الامواج ، ويجتذب
عندها اللج الزجاج . وقد رحت بعد الاستحمام فى الماء المالح
الاجاج ، أستلقى على الرمال ، حتى اذا أقبل القمر الوهاج ،
جذب اليه اللجة فاجذبت من رأسى لان شعرى كان مبتلا بالماء ،
ولم أزل أرقى السماء طبقا طبقا ، حتى رأيتنى فجأة قد
اصطدمت ...

دى جيش : (يجلس من الدهشة فوق المتكأ ليستمع الى
النهاية) وماذا بعد ؟ ..

سيرانو (يعاود لهجة الغسقونى الصميم ، ويترك التقليد) :
لقد مضت الدقائق المحدودة فلن أمنحك بعد هذا ولا دقيقة واحدة .
وقد تمت صيغة القران ..

دى جيش : (يشب واقفا) يا عجا . هذا الصوت أعرفه ..
(تفتح الابواب فى تلك اللحظة . ويأتى الخدم والغلمان يحملون
فى أيديهم الشموع مستبقيين العروسين وقد تماسكا باليدين ، وفى
أثرهما الكاهن ويحمل راجينو كذلك مشعلا مضيئا . وفى الساقية
الخادمة بشياب النوم مبهوتة)

سيرانو : (يرفع قبعته) والآن ، هل عرفت من أنا ؟

دى جيش : (وقد كاد يجن من الدهشة والغضب معا) : وهذا
الانف .. انت سيرانو ..

سيرانو : (منحنيا بأدب) لقد انتهوا الان من عقد القران

المشهد الرابع عشر

روكسان - كريستيان - الطاهى - راجينو - الخدم -
الوصيفة .

دى جيش : يا الهى ، ومن العروسان ؟ (يدور فى القوم يلتبس
الوجوه . فيلمح روكسان) : أأنت (ثم يلمح كريستيان) وهذا
هو ؟ (ينحنى لهما الحناء الاعجاب) : يا لك من مأكرة غادرة
(ويلتفت الى سيرانو) : تهنأتى الحارة ، أيها المخترع صاحب
الآلات الطائرة فان قصتك والله لتحتجز على باب الفردوس
القديسين والابرار ، ونصيحتى لك ألا تغفل فى كتابك مما بسطته
لى صغيرة ولا كبيرة ، فانه بلا شك سيكون ذا فائدة جليلة .

سيرانو : (منحيا) سوف أقوم ياسيدى بتنفيذ وصيتكم
(يتقدم الراهب الى الكونت ليريه العروسين ، وهو مغتبط
جدلان تهتز لحيته البيضاء)

الكاهن : زوجان جميلان تفضلت عليهما يا بنى فوحدت
بعقد القران اتباعا لوصيتك

دى جيش : (يرمقه ببرود) حسنا (الى روكسان) هلمى أيتها
العروس ، ودعى القرين قبل وشك الفراق . .
روكسان (مروعة) : وكيف هذا ؟

دى جيش : (يوجه الكلام الى كريستيان) : ان فرقتك الساعة
راحلة فلتلحق فى الحال بها .

روكسان (جازعة) : أمسافرة الى الميدان ؟

دى جيش : بلا شك

روكسان : ولكن فرقة شبان الحرس لا تذهب ..

دى جيش : بل هى ذاهبة لا محالة (يتذكر الورقة التى فى
جيبه فيخرجها) : وهذا هو الامر الصادر بشأنها .. (الى
كريستيان) احمل الامر الى البارون بنفسك

روكسان (تترنم فى أحضان فتاها الوسيم الجميل صارخة) :
كريستيان !

سيرانو : (لنفسه) يظن انه بذلك يسبب لى ألما

دى جيش : (الى سيرانو هازئاً متهمكاً) ما زالت ليلة الزفاف
نائية ..

سيرانو (وهو على المشهد حزين كظيم « لنفسه ») : أواه ..
ان فى لدغة تهكمه ألم الموت ان كان يدرى ، ولكنى المتجلد
الصبور .

كريستيان : هات شفتيك ، مرة أخرى

سيرانو : حسبك الآن وهلم

كريستيان : (يهوى على صفحتها ثقيلًا) يشق على النفس
فصالها ، ولكنك لا تدري ...

سيرانو : (يحاول ان يبعد به) بل أدري .

(أصداء طبول مدوية من مكان سحيق)
دى جيش : (من الخلف) لقد آذن الرحيل ، والفرقة على أهبة
المسير .

روكسان (تتشبث بكريستيان لتمنعه ويمسك به سيرانو
ليجتذبه معه) : سيرانو ، وصيتى لك أن ترعاه ، والى ذمتك
أعهد به ، فهلا وعدتني أنك عليه حريص ، وهلا أقسمت ألا تدعه
يجازف يوما بالحياة ، وأن تصد الاخطار عنه وتقيه البأس
والبلاء .

سيرانو : سأبذل جهدى ، اما أن أعد فليس فى امكانى
روكسان : (متوسلة باكية) اذن فاقسم على أنه سيكون
الحاذر الحريص على نفسه !

سيرانو : وفى هذا أيضا سأبذل جهدى ، ولكن ..

روكسان : وفى الحصار لا تدعه يعانى بأسا أو يشكو بردا

سيرانو : كل ما فى مكتة الانسان أنا فاعله ..

روكسان : وأن يبقى على حبل مخلصا وفيا

سيرانو : بلا شك ، ولكنى ..

روكسان : وأن يكتب لى أحيانا

سيرانو : أما هذا فلك به وعدى وثوقا واطمئنانا .

(ينزل الستار)

سیرانو دی برجراک

الفصل الرابع

العسكر الغسقونيون

الموقع الذي تحتله فرقة كاربون دي كاسيل جالو في حصار مدينة أراس . يمتد بطول المسرح كله ، عند مؤخرته ، يشاهد فيما وراء ذلك سهل ممتد الى الافق ، اما الارض فتغطيها منشآت تتصل بعملية الحصار . ترى عن بعد وعلى صفحة السماء اشباح اسوار أراس ومبانيها . خيام واسلحة متناثرة وطبول . النهار يوشك ان يطلع وفي الشرق لمع خافته من خيوط صفر متجمعة . الحراس والقون على ابعاد متساوية . نيران العسكر موقدة . يردد العسكر الفسكونيون في سبات ملتفين بعباءاتهم . كاربون دي كاسيل جالو ولوبريه ساهران للحراسة وقد شحبت لونهما ونحل بدنهما . وكريستيان رافد في مقدمة المسرح مع غيره من رفقاء فرقة ، وقد التفت بعباءته واستضاء وجهه بضوء احدى النيران المشبوبة بالمسكر . والسكون مغيم على الجميع .

لوبريه : لقد ساءت حالتنا

كاربون : وهل بعد أن نفدت ميرتنا من سوء ١٩

لوبريه : يا للشيطان ..

كاربون : (يحذره باشارة منه أن يخفض صوته) العن واسخط كما شئت ولكن في شرك لئلا يستيقظوا (يلتقي ببصره الى الشباب الرقود) لكم الله أيها الشباب الجياع العرقى ، وليهناكم النوم (الى لوبريه) فان الجياع النيام يأكلون .

لوربه : ولكن هذا عزاء لا يغنى عن الذين هم مسهدون
لا يخالط الكرى أجفانهم • يا لها من مجاعة !
(أصوات طلقات من مكان بعيد)

سيرانو (فوق الهضبة) : برجراك أيها الاحمق (ينزل من
الهضبة)

كاربون : ألا سحقا لهم ولطلقاتهم ! سوف يوقظون
أولادى (يخاطب الجنود وقد استيقظوا ورفعوا رؤوسهم)
عودوا الى الرقاد !

(ينامون ثانية ، وتسمع طلقات جديدة عن كشب)
أحد الجنود : (يتحرك فى موضعه) لقد عاد الشيطان •
كاربون : لا شيء ، انه سيرانو عائد الى المعسكر •
(يرقد الجنود ثانية)

حارس : (فوق الهضبة) يا للشيطان •• من يسير هناك ؟
كاربون : لعنة الله على نيرانكم ، انها ستوقظ أبنائى من نومهم
(ينظر فى رءوسا ارتفعت) بل استرسنلوا يا بنى الاعزة
المكدودين فى سباتكم فان اليقظة لهف نفسى مؤلة (يتحرك فى
هذه اللحظة شاب من النائمين ، على سماع طلقات النيران)
يا للشيطان ألا تزال هذه الاصوات مدوية •

كاربون (اليه مواسيا) : لا شيء يا بنى لا شيء •• ان هذا
الا سيرانو راجعا ••

(يعود الرقود الذين هموا بأن يرفعوا رؤوسهم الى النوم
مستسلمين)

الديديبان : (يشاهد على التل) أيها القادم قف • من أنت ؟
سيرانو : سيرانو برجراك ، أيها المعتوه (يظهر وهو يهبط
المنحدر)

لوبريه : (مبادرا) يا للسماء

سيرانو : صه •• لئلا يستيقظوا

لوبريه : أو جريح أنت ؟

سيرانو : لا ترع يا صاح •• ألسنت تعلم انهم قد جعلوا
دأبهم ألا يرونى بينهم فى الصباح ؟

لوبريه : ان مهمتك قد جاوزت كل حد ، تحمل رسائل فى
كل مطلع فجر ، ان هذا والله لهو الخطر الاكبر •

سيرانو (يقف قبالة كريستيان) : ماذا أصنع غير هذا الذى أنا
صانع •• لقد وعدتها أن يكتب اليها كل يوم • (يظل لحظة
يتطلع الى كريستيان) انه نائم و سنان ولكن لله ما أشد شحوبه ،
(فيتوجه اليه لوبريه مضطربا) فلو أن فتاته عرفت أنه اليوم
يوشك أن يموت جائعا ضاويا ••• ولكن جماله لا يزال على
حاله باقيا •

لوبريه : هيا أسرع الى غرفتك لتنام •

سيرانو : (أقصر اللوم يا صديقى ، أو أقلله ناصحا
مشققا ، ولا تحسبنى فى حملى البريد كل ليلة جزافا كبيرا • لقد
اهتديت الى موضع أسرب منه مجتازا خطوط الاسبان ، حيث

يرقد الجند سكارى بين ضابط منزوف وجندى ثمل ، وديدبان
نشان •

لوبريه : حاول اذن أن تجلب الينا طعاما •
سيرانو : لا ينبغي لمن يذهب أن يكون لشيء ثقيل حاملا •
ولكن ثق أن مفاجأة ستباغتنا الليلة ، فاما أن يجد الفرنسيون
طعاما ، واما أن يلاقوا الموت زؤاما ، اذا صحت رؤيتي •
لوبريه : ألا تقص علينا الخبر ؟!

سيرانو : كلا ألت متأكدا من ذلك ••• سوف ترون ا
كاربون : من المخجل أن نجوع نحن المحاصرين
لا المحصورين

لوبريه : ليس ثمة أعقد من حصار أراس هذا • لقد جئنا
لنحصر جيشا فاذا بنا للقى فضا منصوبا، وشركا محتلا، اذ بادرننا
الاسبان بجيش هذا الكردينال الطفل فحاصرونا •
سيرانو : يجب أن يخف اليه الآن من عليه النوبة في
محاصرته •

لوبريه : لست مازحا

سيرانو : عجبا عجبا !

لوبريه : هلا فكرت أيها الجاحد أنك تعرض في كل يوم
حياتنا للخطر ، حياة قبل حياتك لمجرد حمل •••
(يرى سيرانو متجها الى احدى الخيام)

لوبريه : الى أين ؟
سيرانو : الى الخيمة لاعد كتابا آخر .
(يدخل الخيمة)

المشهد الثانى

تشرق الشمس ، وبصطفج الجو بهمرة خفيفة .
وتبدو مدينة اراس فى الافق ، وقد انعكست عليها
الاشعة الذهبية .
يسمع لصف المدافع من بعيد ، يتبعه قرع الطبول
من جهة الغرب ثم يسمع صوتها مكتربا ، وتتجاوب
أصواتها وهي تدنو ، ويتضائل الصوت اذ تتباعد
الى ان تتلاشى جهة الشرق حول المعسكر .
وتلب الحركة فى الطيام حين يستيقظ النائمون .
وتسمع احاديث الضباط من بعيد

كاربون : هذه نوبة الصحيان . ويحى ! (يتحرك الجنود فى
مضاجعهم ويتمطون بأصلاهم) أيها النوم اللذيذ لقد انتهيت ،
وانى أعرف ما ستكون صيحتهم الاولى .

أحد الجنود : (يتحرك ويفتح عينيه) أشعر بجوع ا

آخر : اننى أموت .

الجميع : أواه ! أواه !

كاربون : انهض يا هذا !

ثالث : لا قدرة لى على الانتقال خطوة واحدة

رابع : ليست لى القوة على الحركة

الاول : (ينظر الى نفسه فى صفحة السلاح) لسانى مغطى
بطبقة صفراء • يبدو أن ثمة شيئاً فى الطقس لا يمكن هضمه •
آخر : انى لاتنازل عن جميع ألقابى فى مقابل قطعة من
الجبن

آخر : أما أنا فان لم يدخل معدتى شىء يهيج عصارتهما ،
فسوف أحذو حذو أخيل ، وأدخل خيمتى •

آخر : نعم • شىء كالخبز مثلاً !

كاربون : (يذهب الى خيمة سيرانو ويناديه بصوت
منخفض) سيرانو !

آخرون : اننا نموت جوعاً

كاربون (عند باب خيمة سيرانو يكلمه بصوت منخفض)
أقبل يا سيرانو ناشدتك الله فأعنى على أمرى ، فلقد عرفناك
المرح ، القادر على ادخال السرور الى القلوب • تعال اشدد
قلوبهم برطب حديثك ولطف أمازيحك

الجندى الثانى : (يهوى على الجندى الاول ، وقد رآه
يمضغ شيئاً) ماذا تمضغ يا هذا ؟

الجندى الاول : قطعة من فتيلة مدفع محمرة فى شحم
محور عجلته ، وقد اتخذت من احدى الخوذات مقلاة لتحميرها ،
ذلك أن ضواحي أراس ليست غنية بحيوانات القنص •
جندى آخر (يدخل) لقد كنت أصطاد

ثالث (المزاح عينه) وأنا كنت أصيد السمك
 الجميع (وقد نهضوا وراحوا يضحكون ويتمازحون مع
 القادمين) ماذا ؟ وماذا أحضرتما معكما ؟ أسمكا أم طيوراً ؟
 لنرى ما في جعبتكما أسرعاً أسرعاً !
 الصياد : لقد صدت عصفوراً دورياً
 صائد السمك : وأنا صدت سمكة نهريّة
 الجميع : كفانا هزراً (وقد أخذ منهم الغضب مأخذه)
 لنتمرد !
 كربون : أغثنى ياسيرانو !
 (وقد طلع النهار)

المشهد الثالث

المنظر السابق - سيرانو

سيرانو : (يخرج من خيمته ساكن النفس هادئاً ، وقد وضع
 قلماً خلف أذنه وأمسك بكتاب) ما الذى أصابكم ؟ (سكون •
 يوجه كلامه لجندى يتخاذه فى مشيته) مابالك يا هذا تجر
 ساقيك هكذا جراً ؟

الجندى : أحس شيئاً فى قدمي يمنعهما عن السير

سيرانو : وما هو ؟

الجندي : معدتي !

سيرانو : وأنا والله مثلك

الجندي : لعلها مسببة لك ضيقا

سيرانو : بل هي مسببة لى اتساعا

جندي آخر : لى أسنان طويلة !

سيرانو : اذن فلن تقضم الا ما سمك وغلظ

آخر : معدتي خاوية

سيرانو : ذلك خير ، لكى تصلح طبلا ضخما ندق عليها نوبة

الهجوم ..

ثالث : اسمع دويا فى أذنى

سيرانو : كذبت فان المعدة الخالية لا آذان لها •

آخر : الينا بشيء نأكله بالزيت

سيرانو : (يخلع خوذته ويضعها بين يديه) خوذتك ملأى

بزيت الشعر •

بعضهم : يا لله ! ألا شيء نلتهمه •

سيرانو : (يدفع اليهم بكتاب كان فى يده) اليك الالياذة

أحدهم : ان الوزير فى باريس ينعم بأربع وجبات فى يومه

سيرانو : كان من الذوق أن يرسل اليك بعض طير تأكله •

الجندي : ولم لا ؟؟ ونبيذ أيضا !

سيرانو : من نبيذ بورغونيا يا ريشيليه أسعفنا وكن متفضلا •

صاحب الطلب : كان فى وسعه أن يرسله الينا مع كهانه وأجباره

سيرانو : بل يحمله اليك قداسته متشحا بشرب أغبر

فتى آخر : اننى جوعان جوعة الغول

سيرانو : كل من صبرك حتى تنخم

الجندى الاول : (يهز كتفيه) ألا تزال كدأبك لا تكف عن

المجون واستعمال التورية والمجاز ؟

سيرانو : كيف وانى لاوثر أن أجد منيتى على مساء يوم صائف

وعلائل النسيم فى البكور ، أو عند رونق الضحى ، وماللمجون

من ضير ، اذا كان لهدف نبيل ، لنفى حزن وطرده شر ، أو حمل

جندى شجاع على ألا يموت الا من حد الحسام بطعنة من عدو

نبيل كائنا من كان ، أى والله انى لاوثر أن أموت فوق عشب

بالدم مخضب ، على أن أقضى على فراش الحمى عليلا ، فأهوى

وسن الحربة فى قلبى وحلو النكتة على شفتى .

(أصوات تصرخ) : نحن جياع ، فماذا نصنع ؟

سيرانو : (وقد ضم ذراعيه) ويحى ! أكل أفكاركم وأخلاقكم

من لحم يؤكل وشراب يشرب ؟ فأنت يا برتران نافخ البوق .

كنت بالامس راعيا تهش على الشياه والنوق . أخرج من

حقيبتك الجلدية احدى آلاتك الموسيقية . هل اضرب الناي ،

لهؤلاء الجنود الشرهين النهمين المتعاونين ، ألحانا مما يتغنى به

أهلنا فى ريفنا ، رجاعة بحنين ، ملأى بشكاة وأنين ، تذكرهم

بالوطن وقومه ، وأناشيده ونغمه ، كل صدى من أصداؤها

يناغيك كأنه بعض أهلك ، ويدعوك دعاء خفيا . وكل لحن من

ألحانها يسرى رويدا ، ويصعد رويدا ، كما تصعد ذوائب

الدخان وتيجانه من مداخن قرانا وأكواخنا ، وأفران دورنا
وأعشاشنا ، وان موسيقاها لتقع في أسماعنا موقع غسقونيتنا
ورطانة ديارنا .

(يتناول الشيخ الراعى الناي)

سيرانو : هذا الناي الذى يؤمله أن يكون محاربا معنا ..
ذكره الساعة وأنت ترقص أناملك على جذعه الرفيع فيرسل
أنغاما مطربة غير مترددة ، مثل صدح الطير تفريدا ، ذكره بأنه
قبل أن يصنع من الابنوس قد صنع من أنابيب القصب والغاب
على ضفاف بلادنا وشواطئ أنهارنا لتذهله أنغامه ، فهيا ياناي
غننا أو غن بنا ، وهيا أعد علينا ذكريات أناشيد مراعيينا وحقولنا ،
وهيا يا ناي استعد عهد شبابك في غياضنا الزاهرة ومروجنا
(الشيخ يعزف شيئا من ألحان لانجويدوك وأناشيدها)

سيرانو : ارهفوا الاسماع الى العزف والتوقيع معاشر
الغساقنة ، فليست هذه الاصوات الخداشة التى تسمعها في
معسكراتنا ، ولكن الناي من تحت أنامل الشيخ ناي الغابات
والاجم ، ان ألحانه وهو بين شفثيه لا تنادى الى الممارك
أرواجنا ، وانما تسمعنا اللحظة أناشيد الرعاة العذبة خلف خرافنا
وشيائنا وقطعنا . هيا يا غساقنة ، ارهفوا الآذان لاغانى
ودياننا وغاباتنا وأكامنا وألحان الرعاة وقد أكسبتهم الشمس
سيرة وردية نحت قبعاتهم القرمزية . انها أغانى المساء المرحية
تتردد على ضفاف الدردون الخضراء . انها غسقونيا بكل ما
فيها .. فاسمعوا يا غساقنة الى شدة الغاب ، وارهفوا الآذان .

(لا يبقى في الجنود أحد لم يطرق ، ولا خلا منهم فرد لم يزفر ولم يشفق ، ولا تلبث أعينهم أن تشرذ منها الابصار واللمحات ، كأنهم في حلم عذب تراءى لهم في نوم عميق وسبات ، وهم يمسحون الدموع والعبرات ، وهم سكوت والنأى يتكلم)
كاربون : (لسيранو همسا) لقد هيجت أشجانهم ، وأحزنتهم من حيث أردت ابهاجهم ، واستثرت الدموع من أعينهم منهلة ، وكنت تحاول أن تدخل الفرح على القلوب منهم والارواح .
سيранو : انه الحزين للوطن ، وان له لالما أشرف وأنبل من عضة الجوع ، هو ألم الروح لا وجع المعدة ، وعواء البطن ، فليتألموا وليتوجعوا .. فان وجائع القلوب خير والله من آلام المعد والامعاء .

كاربون : ولكنك تضعف من روح الشجاعة في نفوسهم ، وتضعف بذلك بقية قواهم .

سيранو : (يشير الى جندي من جنود الموسيقى وضاربة الطبول ليدنو منه) كلا يا سيدى القائد ان البطولة الكامنة في قلب الفسقونى ودمه على استعداد في أية لحظة لتستيقظ وتنبه ، بل تكفى دقة واحدة .. (يشير الى الجندي فيدق طبلا راعدا ، فاذا الشباب جميعا يستوون على سوقهم ويبادرون الى أسلحتهم متحمسين) ..

الجميع : عجبا ! ما هذا ؟

سيранو (الى قائده مبتسما) : أفرايت ، لقد كانت دقة واحدة من دقات طبول الحرب كافية عندهم لنسيان كل شيء ،

فما لبثوا أن نسوا الاحلام والآلام والذكريات والحسرات ،
وذكروا الوطن والحب ، وما أثار فيهم لحن الناي ، عدت عليه
دقة الطبل فمحته محوا •

(فتى من بعيد يصيح) : ها هو ذا مسيو دى جيش قادم نحونا .

(يصيح الجميع صيحة تأفف وكراهية) هوو ! هوو !

سيرانو : (مبتسما) تذر الرياء

آخر : لقد سئنا هذا الرجل

آخر : انه يسير بخيلاء وقد برز طوق رقبة المطرق فوق

درع صدره •

آخر : كمن يلبس فوق الدروع رداء

الجندي الاول : كان يجوز له هذا لو أن في رقبة دملا

يحرص على اخفائه •

الجندي الثاني : هو ذا رجل آخر من رجال البلاط !

آخر : انه ابن أخ عمه

كاربون : ولكنه على كل حال غسقوني

الجندي الاول : انه مزيف فتحاشاه • ألا ترى أن العساقنة

مجانين • ليس ثمة أخطر من غسقوني عاقل •

لوبريه : انه صاحب الوجه

آخر : انه جائع كأي شيطان سقيم منا ، ولكن لما كانت

درعه ملأى بأزرار ذهبية ، فإن ألم جوفه يبدو مشعا في ضياء

الشمس زاهيا •

سيرافو : دعونا اذن • لا نترأى متألمين أمامه •• هلموا
أخرجوا أوراق اللب وزهر النرد وغلايينكم •
(يبادرون جميعا الى ابراز أدوات لهم وهم وتسلياتهم ،
يضعونها على الطبول والكراسى ويدخنون غلايينهم الطويلة)
ولاتظاهر أنا بقراءة الفيلسوف ديكارت (يروح ويغدو مطالعا
في كتاب يخرج من جيبه)

المشهد الرابع

المنظر السابق - دى جيش

(يدخل دى جيش فيبدو الجميع منهمكين في تسلياتهم ،
ويرى وجهه شاحبا ، يتجه الى كاربون)

دى جيش (الى كاربون) : طاب يومك (ويقف كلاهما
يتفحص الواحد الآخر)

الكونت (لنفسه بلهجة المتشفي) انه ليبدو مصفرا ••

كاربون : (لخاطره) لم يبق منه الا عيناه

دى جيش (الى الشباب) أهؤلاء هم المتمردون ؟ أيها
السادة لقد سمعت من جميع الجهات أنكم تسخرون منى في
مجامعكم ، وان صغار الجنود ونبلاء الجيش من سكان الجبال
وفلاحى يسارن وبارونات بيريجوران يطوون الكشوح على
كراهيتى ويلقبوننى بصانع الدسائس ورجل البلاط الملكى ،

ويتهامسون عن تأتقى وحسن سمتى، كأنما عندكم أن العسقولى
لا يكون غسقونيا حقا الا اذا بدا أشعث أغبر متصعلكا مفلوكا،
عارى الجسد أو فى ثياب خلقة •

(سكون والجميع ماضون فى العايبهم وتدخينهم)

دى جيش : أتريدون أن آمر قائدكم بعقابكم ؟
كاربون : لو أنت قد فعلت يا سيدى لما أطعت امرك •
دى جيش : ماذا تقول ؟

كاربون : ان الفرقة فرقتى وأنا الذى يدفع أجور جندها ،
فلا أخضع الا للاوامر المتعلقة بالحرب •

دى جيش : أ يصل الامر الى هذا الحد ؟ لقد والله سمعت
ما فيه الكفاية • ان تسخروا منى فانى منكم لساخر ، وما بى
حاجة الى من يعرفنى قدر نفسى وحقيقة شأنى ، وقد عرف
الناس من قبل مقدار شجاعتى واقدامى وبأسى .. ورأوا بالامس
كيف كانت حميتى وأنا أغبر على جيش الكونت دى بيكوا فى
« بابوم » الليلة البارحة ، وكيف جمعت جنودى فانقضضت
عليه ثلاث مرات متوالية •

سيرانو (وهو منكب على كتابه) : وما رأيك فى وشاحك
الابيض ؟

دى جيش : أو عرفت حقيقة هذا الحادث وتفصيله ، لقد اتفق
أننى بينما كنت أجمع رجالى للهجمة الثالثة اذ لقيتتى شرذمة من
الهاربين فحملتتى معها ، الى موضع قريب من صفوف الاعداء ،
فأدركت اننى قد وقعت فى خطر من أسر أو موت مبادر ، وكان

الظلام شديد الحلقة فخفضت أن ينم وشاحى الابيض عن درجتى
العسكرية فخطر لى أن أخرجه وألقى به جانبا ، ففعلت ولم ينتبه
الاسبان الى فعلتى .. وبعدت الى مكانى فاستعنت بمدد من
جنودى ففرقتهم كل مفرق ، فماذا ترون أيها السادة فى عمل
كهذا وما منزلته من تقديركم ؟

(لا يبدى الجند رغبة فى الاستماع • ولكنهم يكفون
لحظة عن التدخين ولعب الورق والنرد ، ويخيم السكون فى
توقع حدوث شىء ما)

سيرانو (يتقدم منه) : ان هنرى الرابع لم يرتض حين أهدق
الخطر به أن ينزع عنه ريشته البيضاء القائمة فى جانب من
خوذته ، على الرغم من كثرة المعارضين •

(يتהלل الجميع ولكنهم يظلون على صمتهم وألعابهم
وتدخينهم)

دى جيش : نعم ولكن الخدعة نجحت وهذا يكفى
(يظل الجند على صمتهم ولعبهم)

سيرانو : يجوز .. وانما لا ينبغي للجندى أن يكون هذا هو
دأبه فى الفرار من شرف الموت من رصاص أعدائه (تتبادل
أوراق اللعب والزهر ويزيد مرح الجند) ولو أنى كنت حاضر
أمرك حين سقط وشاحك لبادرت اليه فالتقطته وألقيته على
بدنى وقلت للموت هيا • ان شجاعتنا يا سيدى من طراز غير
طراز شجاعتك •

دى جيش : (بسخرية) ما هذه الا ادعاء غسقونية
كايلافك زهوا وتباهيا ..

سيرانو : أعربيه الليلة التفع به وأنا أقسم لك اننى به مقتحم
صفوف العدو شجاعا أبيا ..

دى جيش : ادعاء ثانية ، اذ أنت تعلم ان الوشاح الآن فى
أيدى الاعداء ، فقد سقط منى على حافة قناة جارية ، والرصاص
الساعة عليها متكاتف يحصد الارواح جنيا .. فما الى الوشاح
اليوم من سبيل ..

سيرانو : (يدس يده فى «جيبه» ، واذا هو يخرج الوشاح
الايض ، ويتقدم الى دى جيش) : ها هو ذا وشاحك ياسيدى
خذه اليك . انى قد حفظته لك مصونا تقيا (سكون . ولكن
العساقنة يكتمون ضحكاتهم خلف أوراق اللعب التى فى أكفهم
من سخرية صامتة . يبدأ أحدهم بغير اكتراث يصفر بفمه
صغيرا يشبه النغمة التى سمعتها منذ لحظة من الشيخ الراعى
صاحب الناي وعزفه)

دى جيش : (يتناول الوشاح) شكرا لك ، انه اللحظة
يجدى نفعا فانى سأخذ منه يبرق اشارة لاعطيها وقد صميت
نفسى من اعطائها حتى الآن .

(يصعد هضبة ويلوح بالوشاح ثلاثا)

الجميع : ما هذا الذى تفعله يا سيدى الكونت ؟

الحارس : (ينادى بأعلى صوته من أعلى الهضبة) هناك

رجل يجرى هربا

دى جيش : (ينزل من الهضبة) هذا جاسوس أسباني مزعوم اصطغته لنفسى يحمل عنى أبناء الى الاسبان . وأنا الذى أنقذه اليهم وبذلك تكون خطتهم متأثرة بما ندلى اليهم من معلومات .

سيرانو : يا لك من وغد !

دى جيش : (وهو يضع الوشاح عليه بكل برود) انه نافع لنا . ماذا كنا ياترى قائلين ؟ لقد تذكرت . لقد اجتمعنا أمس فى حضرة المارشال قائدنا العام للبحث فى أمر مجاعتنا ، فرأى المارشال أن يشخص خلسة بنفسه الى «دورلان» حيث تودع مئونة الملك وميرته . ولكى يعود الى المعسكرات بلا خطر أو مشقة اصطحب قوة لا بأس بها من جنودنا ، وبقينا نحن هنا مرابطين ، فمن يردنا بقتال أو غارة ينتفع بهذه الفرصة السانحة له ، لأن نصف جيشنا عن الخطوط غائب .

كاربون : ولو عرف الاسبان الحقيقة لكان فى ذلك القضاء علينا ، ولكن ألا يعرفون شيئا عن هذا الامر ؟

دى جيش : بل عرفوا وسوف يهاجمونا

كاربون : عجباً !

دى جيش : لقد جاءنى جاسوسى هذا فنبأنى النبأ قائلاً : « ان فى وسعى أن أدلهم على الموضع الذى منه يهجمون على مواقعكم فمن أى الموضع تريد أنت أن يهاجموا لئلا يهجموا أضعف المواقع استحكما وأكثرها للهزيمة تعرضا ، فليزحفوا نحوها وهم مطمئنون ؟ » فأجبته أن ارقب اشارتى فمن حيث

تشهدها فلتكن غارتهم ، وها قد رأيتم الاشارة التى أعطيتهما
اليه .

كاربون : (مناديا جنوده) الى السلاح
(ينهضون فى خطفة البرق من مجاعتهم الى أسلحتهم ليكونوا
على أتم الاهبة والاستعداد ، تسمع صلصلة السيوف وقعقة
المناطق وهم يتمنطقون بها)

دى جيش : سينقضون علينا بعد ساعة

أحد الجنود : بعد ساعة ؟ حسنا !

(يعود الجنود الى الجلوس ومتابعة ألعابهم)

دى جيش : (لكاربون) يجب علينا كسب الوقت فالمرشال
فى طريقه الينا .

كاربون : وكيف نكسب الوقت :

دى جيش : بتفضلك بالسماح لهم بقتلك !

سيرانو : أهذا هو الانتقام اذن ؟

دى جيش : لن أدعى بأنى اخترتك وجنودك لفرط حبى
لكم ، ولكن لما كانت شجاعتكم لا تبارى ، فقد اخترتكم خدمة
لمليكى وشفاء لغلتى !

سيرانو : اسمح لى أن أبدى لك يا سيدى شكرى وعرفانى

دى جيش : من كان يطرب لقتال مائة فلا يشكو من

قتال آحاد . الفرصة سانحة لك الآن !

سيرانو : الآن أيها الشجعان الصناديد ، قد آن لكم أن

تضيفوا الى شعاركم فى الحرب ، ورمز سلاحكم ذى الستة

الالوان المزيجة من أزرق وأصفر ، لونا آخر كان ينقصه حتى الساعة وهو اللون الدموي الاخير .

(يرى دى جيش فى المؤخرة وهو يتحدث مع كاربون .
وتصدر الاوامر بالاستعداد للنزال . يتجه سيرانو نحو كريستيان
الذى يقف مكتوف الذراعين فى ذهول صامت)

سيرانو : (يضع يده على ذراع كريستيان) كريستيان
كريستيان : (يهز رأسه) روكسان !
سيرانو بسخرية : وا أسفاه !

كريستيان : وددت لو أنى على الاقل بعثت اليها بكتاب
وداع جميل وضعت فيه كل قلبى .

سيرانو : لقد هتف بنفسى من قبل هاتف أن اليوم هو له
فهيأت اليها الكتاب (ينتزع من طيات صدره كتابا)

كريستيان : (زافرا متأوها) أرنيه !

سيرانو : أو على رؤيته أنت الساعة قادر ؟

كريستيان : (يتناول من كفه فيشره ولكنه لا يكاد يقرأ
فيه قليلا حتى يغغم) : ما هذا ؟
سيرانو : ماذا ؟

كريستيان : بقعة صغيرة مستديرة

سيرانو : (يأخذ الخطاب بلهفة ويلقى عليه نظرة ساذجة)
أو تقول بقعة مستديرة ؟
كريستيان : انها دمة !

سيرانو : نعم ، انها دمعة .. ذلك يا صاح دأب الشعراء ،
يقعون في سوء تعبير ، وفي ذلك سحرهم ، ومحرك أخيلتهم •
ولقد جعلت أكتب هذا الوداع فاسترسل معي حزينا ،
ومضى من قلبي في أسلوب غم واكتئاب حتى لقد دمعت عيناى
فتساقط الدمع منى على صفحة الكتاب •

كريستيان : (ينظر اليه) أبكيت ؟

سيرانو : أواه • ان الموت في ذاته ليس برهيب ، ولكن
أن تفارقها ، ونحن نحس أننا بعد اليوم لن نملأ العين منها ،
هو لذعة الموت ، وانها من الموت نفسه أبلغ والله في الايلام ،
وقد كنت أتخيل أننى لن •• (كريستيان يرمقه بنظرة) اننا
لن •• (ثم يستدرك مسرعا) انك لن ••
كريستيان : (يختطف الكتاب من يده) هاته فانى له
لحفيظ •

تسمع جلبة من مكان بعيد، ثم يطرق أذنيهما صوت
الحارس •

الحارس : يا للشيطان ! من القادم هناك ؟

(تسمع طلقات النيران وجلبة وضوضاء ورنين أجراس)

كاربون : وما هذا ؟

الحارس : (فوق الهضبة) انها مركبة (يندفع الجميع
لمشاهدتها)

صيحات : ما هذا ؟ مركبة في المعسكر ؟ انها داخلة الى
المعسكر • انها قادمة من معسكر الاعداء • يا للشيطان ! اطلقوا

النار عليها • لا • انتظروا • ان الحوذى يصيح • ماذا يقول
انه يصيح :

— في خدمة الملك

دى جيش : في خدمة الملك ، وكيف ؟

(ينزلون من الهضبة ويصطفون في نظام عسكرى)

كاربون : ارفعوا القبعات تحية !

دى جيش : (فى الركن) فى خدمة الملك • تقهقروا الى
الوراء أيها الرعاع وأفسحوا لها المكان لتدور دورتها فى أبهة
وجلال •

تظهر مركبة علاها الفبار وتلطخت بها الاوحال ، ولا تزال
مسدلة الاستار • ومن خلفها جلس وصيفان ، تدخل المعسكر
مسرعة ثم تقف مرة واحدة)

القائد : سلام سلاح •

(يدوى المكان بصليل السيوف ودق الطبول ، يرفع الجنود
قبعاتهم تحية)

دى جيش : أنزلوا سلم العربة

(يتقدم رجلان نحو العربة ، يفتح الباب وتنزل روكرسان
من المركبة متهلة مشرقة المحيا)

روكرسان : طاب يومكم

(دهشة عامة عند سماع صوت المرأة • ينتصب الجند
وكانوا قد انحنوا للتحية)

المشهد الخامس

الشخصيات السابقة - روكان

دى جيش : فى خدمة الملك ، أنت ؟
روكان ضاحكة : أى نعم .. فى خدمة ملك الحب ،
فهل ثم ملك أدين له سواء ؟
سيرانو : يا اله السموات !
كريستيان : (يندفع نحوها) ما الذى جاء بك ؟
روكان : هذا الحصار قد طال عليه المدى
كريستيان : ولكن لم جئت ؟
روكان : سوف أقص عليك ذلك فيما بعد !
سيرانو : (وهو يجمد فى مكانه كالماخوذ) يا الهى لست
أجسر على النظر اليها •
دى جيش : لا ينبغي أن تمكثى هنا ؟
روكان : بل انى لماكثة • من ذا يقدم طبلته لاقتعدها
(يبادرون الى تقريب طبله منها فتجلس فوقها) شكرا (وتضحك)
لقد أطلقوا النار على المركبة (بكبرياء) العسس ا يبدو أنها
صنعت من قرعة • أليس كذلك ؟ كمركية سندريللا ، والخدم
فيها جردان
(ترسل من طرف أناملها قبلة الى كريستيان)

(تدير عينيها في الوجوه) كم لا تلوحون فرحين
بمتهللين ، ألا تعلمون أن الطريق طويل من باريس الى أراس
هذه ؟ (تلمح سيرانو) أهذا أنت يا ابن العم . ما فرحتي بلقائك
وما أبهج خاطري !

سيرانو : (يتقدم للسلام عليها) ولكن بالله .. كيف ؟
روكسان : أتسأل كيف اهتديت الى السبيل ، الامر
بسيط ، لقد مررت وسط خراب ضارب بجراحه وبلقع صفصف
ودمار شمل الارض يا الهى ! لم أكن لأصدق بوجود هذا
الدمار الرهيب لو لم أره بعيني رأسى .. أهذه هى خدمة
الملك أيها السادة ؟ انى اذن لاوثر أن أخدم ملكى أنا .
سيرانو : ان هذا لجنون مطبق ، ولكن أى طريق شيطانى
سلكت ؟

روكسان : أى طريق ؟ سقت مركبتى وسط معسكر الاسبان
احد الجنود : لله ما أمكرهن !
دى جيش : ولكن حين جئت الى خطوط نيران الاسبان
كيف تواتى لك اجتيازها ؟

لوريه : لا بد انك لاقيت صعوبات جمة
روكسان : فى الحق لم أجد عناء ، ولم أصادف تعباً ، اذ
كنت كلما مرت بى المركبة على حارس من حراسهم افتح
نافذتى وأبتسم له ابتسامتى ، والحق أقول لكم أيها السادة
فى غير غض من أقداركم ، أن الاسبان أرق أهل الارض خاشية
وأظرفهم نفوساً . ولذلك مررت .

كاربون : هذا صحيح هذا الذى يرى الابتسامة منك
ويخطر له أن يعترض سبيلك هذه الابتسامة هى جواز
المرور . ولكن لابد أنهم أوقفوك مرارا ليسألوك يا سيدتى عن
وجهتك .

روكسان : وقد جعلوا يسألوننى عن وجهتى ، فكنت
أجيبهم اننى ذاهبة لارى حبيبى ، فكانت هذه الكلمة وحدها
كافية لترد أشرس رجالهم خلفا وأرهب جندهم ضراوة ، هادئا
صامتا وتحدوه الى ايصاد باب المركبة واعطاء الاشارة الى
الجنود بخفض فوهات بنادقهم ، وبانحناء حزينة ، وحركة
وقور رائعة ، يرفع القبة قائلا : دعوا السنيورة تمر فى طريقها
آمنة .

كريستيان : ولكن رباه

روكسان : معذرة وصفحا عن قولى : حبيبى . ولكن
أتحسبهم كانوا مجيزين لى المرور لو أنى قلت اننى ذاهبة الى
زوجى العزيز ؟

كريستيان : ولكن ا

روكسان : ماذا بك ؟

دى جيش : حسبك مزاحا ، لقد حان أن ترجعى فان هذا
الموضع لا يصح أن يحتويك ا
روكسان : أنا أرجع ؟

سيرانو : لا تردد ولا ممالة

لوبيريه : وبأسرع ما يكون الاسراع ا

كريستيان : نعم .. يجب ذلك
 روكرسان : ولكن لماذا تريدني أن أعود ؟
 كريستيان : (متحيرا) لان ..
 سيرانو : (متحيرا أيضا) لان بعد ثلاثة أرباع الساعة ..
 دى جيش : (متحيرا) بل بعد ساعة واحدة ..
 كاربون : (متحيرا) خير لك أن ..
 لوبريه : (متحيرا) قد يكون ..
 روكرسان : سأبقى هنا ، انكم ستقاتلون
 الجميع : كلا ، كلا
 روكرسان : انه زوجي (ترتمى في أحضان كريستيان) فلنمت
 معا

كريستيان : ولكن ما هاتان العينان ؟
 روكرسان : سأقص عليك السبب
 دى جيش : (وقد ضاق ذرعا) انها لوظيفة مرعبة
 روكرسان : (تلتفت اليه) تقول مرعبة ؟
 سيرانو : ودليل ذلك أنه وكلها لنا
 روكرسان : (الى دى جيش) ويحك ! أتريد أن أصبح
 أرملة ؟

دى جيش : كلا ، والآن لاكونن مجنونة . ولن أغادر المكان
 فضلا عن أن المسألة مسلية جدا .
 سيرانو : ماذا هل انقلبت الادبية بطة ؟
 روكرسان : لا تنس يا مسيو برجرارك أننى ابنة عمك

أحد الجنود : سوف ندافع عنك ونحميك
روكسان (متأثرة) انى لوائية من ذلك أيها الاصدقاء
جندى آخر : لقد فاح أريج السوسن فى جميع أرجاء
المعسكر .

روكسان : ولقد لبست لحسن الحظ قبعة تبدو موائمة
جدا لميدان القتال (تلتفت الى دى جيش) ولكن ربما قد حان
الوقت لانصراف الكونت ، فقد يبدأ القتال فى أية لحظة .
دى جيش : أواه هذا كثير ا هذا كثير ا انى ذاهب لتفقد
المدافع وسأعود ثانية ، وما زال أمامك وقت للتفكير فى الامر
روكسان : كلا ! لن أغير رأيى (ينصرف دى جيش)

المشهد السادس

كريستيان : (متوسلا) روكسان ا . .
روكسان : كلا

أحد الجنود : (لزملائه) سوف تبقى ا
الجميع : (يتدافعون ويتخاطفون الاشياء) أريد مشطا .
أين الصابون ؟ ان فى ثوبى رتقا ، فهل من ابرة لكى ارتقه ؟ ألا
من شريط . أعرنى مرآتك يا هذا ؟ أى أكمامى ؟ الى بمكواة
الشارب . أين موسى الحلاقة ؟
روكسان : (لسيرانو الذى ما زال يتوسل اليها أن ترحل)
كلا ! لن يزعجنى شئ عن هذا المكان ا

كاربون : (وقد حذا حذو الآخرين ، فشد وثاق منطقته
ونفض الغبار عن نفسه وقبعته وثبت الريشة عليها ، وأصلح من
كمى سترته ، واقترب من روكرسان يحدثها بذلاقة) ربما كان
الاجدر بى أن أقدم لك - ما دمت قائمة بيننا - نفرا من
هؤلاء السادة الذين يودون أن يكون لهم شرف الموت تحت
راية عينيك (تنحنى له روكرسان وتقف وقد اشتبكت ذراعها
بذراع كريستيان فى انتظار تقديم كاربون لزملائه) البارون
بيرسكو دى كولينيكا

الجندى : (محيا) سيدتى ..

كاربون : (يمضى فى تقديمه زملائه) بارون دو كاستراك
دوكوزاك - فيدام دوما لجوفر استرساك لييا ديسكارايو -
شفاليه داتينيكا جوزيه - بارون هيلو دوبلايان - ساليشان
دوكاستل كرايول

روكرسان : ولكن بكم اسم يسمى كل منهم ؟

بارون هيلو : أسماء لا عدد لها

كاربون : (لروكرسان) افتحى يدك التى تقبضين بها على

منديلك .

روكرسان : (تفتح يدها فيسقط المنديل الى الارض) ولم

ذلك ؟

(يسارع الجنود مستبقين لكى يفوز أحدهم به)

كاربون : (يفوز به قبلهم) ان فرقتى لا راية لها فلتكن لها

من منديلك هذا والله أجمل راية خفقت فوقها .

روكسان : ولكنه صغير جدا
كاربون : (يضع المندبل على رأس حربة الكابتن) ولكنه
من « الدانتيل »

أحد الجنود : (لزملائه) الآن وقد رأيت هذا الوجه
الجميل أموت وأنا سعيد قرير العين . لو أن في جوفى من الطعام
بقدر حجم الجوزة

كاربون : أو نتحدث عن الطعام يا هذا في محضر سيده
جميلة رائعة ؟

روكسان : مالى أراكم فى المعسكر متحفظين فى تعاليم
الجنديّة كثير ، ألا من شراب يقدم أو طعام ؟ اننى فى الحق أحس
جوعا وأجد فى نفسى ظمأ ، ان قائمة طعامنا حاضرة : فطائر
وكعك وفواكه مثلجة ولحوم باردة وليذ معتق ، هذا كل ما
لدينا فهلموا احضروه إلينا .
(ذهول ودهشة)

أحد الجنود : أكل هذا تريدان ؟

جندي آخر : ولكن أمزاحا أردت أم جدا ؟ من أين لنا
بشيء من هذا .. لست أدري

روكسان : (برفق وتؤدة) فى مركبتى .

الجميع : (مبهوتين) وكيف ذلك ؟

روكسان : أماننا عهل كثير ! فلنقدم الطعام ونقطع اللحم
ونزع العظم ، ألا اقتربوا أيها السادة من سائق المركبة ، تتعرفوا

على أنفس الشخصيات ، أما الطعام الذى ابترد ففى وسعنا أن
نجلبه الى الموائد ساخنا .

الجميع : (يتدافعون نحو المركبة) يا عجا ، هذا راجينو
•• ليحيى راجينو ! ليحيى راجينو !

روكسان : (بتأثر) يصفح الله لهم .

سيرانو : (يتناول يدها ويطبع القبلات عليها) أيتها الحبيبة
الرفيقة الحانية .

(يقف راجينو فوق مقعده من المركبة كما يفعل عادة دجالو
الاطباء فى طريق عام)

راجينو : أيها السادة (عاصف من التصفيق) .

الجنود : مرحى مرحى !

راجينو : عندما نظر الاسبان الى وجه الغادة الحسناء
شغلهم حسننها عن النظر الى الاطعمة التى تحملها المركبة !
(هتاف)

سيرانو : (يميل على كريستيان هامسا) كريستيان !
بينما يسترسل الحلوانى القديم :

راجينو : وقد شغلتهم النزعة الغرامية ، فلم يلحظوا
الصينية •• (يأخذ طبقا من على المقعد) وهذه اللحوم الشهية
(تصفيق حاد)

(يتناقلون طبق اللحم بينهم)

سيرانو : (يميل على كريستيان هامسا) لى كلمة معك
أرجو أن تنصت لى ••

راجينو : ولقد اجتذبت فينوس ربة الجمال منهم الابصار
في المعركة حتى لقد عميت أعينهم عما حملت ديانا ربة الصيد
من لحمان صيد شهية

(يمد اليهم فخذاً من اللحم فيتراقصون بها من الفرح
وقد أمسكت بها عشرون يداً)

سيرانو : (هامسا لكريستيان) أريد أن أتحدث اليك
روكسان : (تخاطب الجنود وهم يقبلون وأيديهم محملة
بالطعام) ضعوا كل شيء على العشب (تضع ملاءة على العشب
يساعدها خادمان ثابتا الجنان كانا واقفين خلف مركبتها ، تنادى
كريستيان في اللحظة التي يريد سيرانو أن يختلى به) كريستيان
أقبل . ساعد الرفاق على الوليمة الهنية .

(يذهب اليها تاركا سيرانو في حيرة متناهية)

راجينو : ديك رومي محشو بالكماة .

الجندي الاول : (منشرح الصدر يقبل على الطعام فيقتطع
شريحة من اللحم) مرحى ! لن نذهب الى المعركة الاخيرة قبل
أن نجلس الى المائدة (يرى روكسان مقبلة فيستدرك) عفوا
قبل أن نجلس الى الوليمة

راجينو : (يمد يده الى وسادات المركبة فيقبلها على ظهرها
ويلقى الى الجمع بها) الوسادات أيضا محشوة بالعصافير .
(صيحة مدوية . يمزقون الوسادات ويطلعون الطعام وهم
في مرح وضحكات ضاحجة عالية)
جندي ثالث : مرحى !

راجينو : (وهو يلقي زجاجات النيذ الى الفتیان) نبيذ
أحمر كالياقوت ونبيذ أبيض يضرب الى صفرة الياقوت الاصفر
روكسان : (وهى تطرح غطاء مائدة قد طوى طيا فوق
رأس سيرانو) انشر هذا الغطاء ، وكن خفيف الحركة ، هيا
راجينو : (يلوح بأحد مصاييح المركبة) كل من المصباحين
مخزن طعام ، بل نملية .

(سيرانو وكريستيان يتعاونان على نشر الغطاء)
سيرانو : (الى كريستيان) يجب أن أتحدث اليك قبل أن
تتحدث أنت اليها .

راجينو : ان مقبض سوطى مصنوع من السجق ا
روكسان : (وهى تسعى عليهم بالشراب) مادما سنموت
شهداء فلندع بقية الجيش تبحث عن حاجتها بنفسها ، فان هذا
كله لكم معاشر الغساقنة ، وليكن فى علمكم جميعا أنه اذا جاء
دى جيش فلن يدعى الى طعامكم أبدا - تمشى بين الصفوف
- على مهلكم ، على مهلكم ، فان فى الوقت فسحة ومتسعا ،
(تنتقل بينهم) اليكم الشراب ، ما بالى أرى فيكم بكاء وأشهد
دموعا ..

الجندي الاول : يا لها من وليمة رائعة ا
روكسان : (وهى تطوف عليهم) نبيذا أحمر تشتهى أم
الاييض اليك أحب ؟ قليلا من الخبز لمسيو كاربون ، سكين
هنا ، هات صفحتك أيها الفتى ، أتفضل قشرة الرغيف ؟ دعنى
أسكب لك خمرا ، قطعة أخرى ؟ أتريد جناحا ؟

(سيرانو يسير في أثرها وقد حمل الصحف باليدين معا)
ليكون لتعاليمها وأوامرها طائعا ، وقد أفاض فيض عاطفته
وجاش بالحب جانحته .

— يا لله .. كم أعبدها !

روكسان : (لحبيها) وأنت ماذا تشتهي ؟

كريستيان : لا أشتهي شيئا

روكسان : كمعا وكأسا من شراب ، عزمتم عليكم
الا ما أخذت من هذا قليلا ؟ أ فلا حسوت من شراب ؟

كريستيان : (وهو يحاول احتجازها) هلا نبأتنى ما الذى
حدا بك الى المجيء هنا

روكسان : مهلا ، بعض هذه اللهفة المتعجلة ، حتى أزدى
واجبى الأول نحو هؤلاء الفتية المساكين ، ألا تصطبر لحظة
واحدة ؟

لوبريه : (ينتقل في المؤخرة نحو الهضبة وقد حمل كسرة
من الخبز فوق احدى الحراب) دى جيش !

سيرانو : أسرعوا ! اخفوا كل شيء ! الاطباق والقوارير
والاباريق والصحاف . ولنبد كأن لم يكن شيء أمامننا (الى
راجينو) أما أنت فاقفز الى مقعدك فوق المركبة .. أخفيتم
كل شيء ؟

(يظهر الكونت دى جيش ، فما هى الا ومضة الطرف حتى

كان كل شيء على الموائد من شراب ولحوم وخبز وحلوى قد
اختفى في طيات أرديتهم أو أردان أثوابهم وتحت الصناديق
(سكوت)

المشهد السابع

دى جيش : (وقد هبت على أنفه رائحة الطعام) أجد
للطعام ريحا فما سرها ؟

أحد الجنود : (يغنى وهو ساه) تولولو ..

دى جيش : (لفتى اصطبغ وجهه ارجوانا) اراك يا هذا شديد
الاحمرار ؟

الجندى : لا شيء . وانما دمي يغلى فى شرايينى اذ أتصور
المعركة القادمة .

جندى آخر : (يغنى) بوم .. بوم .. بوم ..

دى جيش : (ملتفتا) وما هذا ؟

الجندى : (مخمورا) لا شيء انها أغنية . أغنية صغيرة

دى جيش : (لآخر) وأنت ما بالى أراك مرحا .

الآخر : ان لقرب القتال نشوة .

دى جيش : (يستدعى كاربون دو كاستل جالو ليملى عليه

أمرا عسكريا) اننى أيتها الكابتن .. (تقع عليه عيناه فيقف عن

الكلام ثم يتابعه) يا للطاعون ! انك تبدو مشرق الوجه أيضا .

كاربون : (يحمر وجهه وهو يخفى زجاجة خمر خلف ظهره) ثبا لى !

دى جيش : لقد تركت أحد المدافع هنا ، وكنت قد أصدرت أمرى بنقله الى ذلك الركن (يشير الى جناح المعسكر) يستطيع رجالك استخدامه اذا استدعت الضرورة .

أحد الجنود : (بخيلاء) لفظة كريمة !

جندى آخر : (مبتسما) مطلب جميل

دى جيش : أجن جنونهم ؟ (بخفاء) اما ولم تعتادوا استعمال المدافع ، فاحذروا من رجفتها

الجندى الاول : أهذا ؟ بفتت . . . ت . . .

دى جيش : (يتجه نحوه غاضبا) ولكن !

الجندى : مدافع الفسقونيين لا تتراجع ابدا

دى جيش : (يهزه من ذراعه) انك مخمور . مم ؟

الجندى : (بخيلاء) من رائحة البارود

دى جيش : (يهز كتفيه ويتجه الى روكرسان) أى اعتزام

اعتزمت يا سيدتى ؟

روكرسان : اننى هنا ماكثة

دى جيش : بل يجب ان تفرى من هذا الموضع فرارا

روكرسان : كلا . بل لابقين هنا

دى جيش : مادام الامر كذلك آتوني بندقية .

كاربون : ولماذا ؟

دى جيش : لانتى انا ايضا معتزم البقاء
سيرانو : الآن قلت قولاً عظيماً .. فهذه هى الشجاعة
الحقيقية يا سيدى
الجندي الاول : أنت غسقونى على الرغم من مظهرك
روكسان : ماذا ؟ ..

دى جيش : ما كنت لاترك امرأة فى خطر
جندي آخر : اسمع يا صاح . يمكننا أن نعطيه شيئاً
ياكله .

(لا تلبث الاطعمة أن ظهرت كأنما كان ظهورها بسحر
ساحر)

دى جيش : (تتقد عيناه عندما يشهد الاطعمة) ماذا أرى ؟
أطعمة ؟

الجندي الثالث : وسينبعث غيرها من تحت كل رداء
دى جيش : (بكبرياء وأنفة) أتخسبون أنى أكل مما
تركتم أو أرتضى فضلاتكم ؟

سيرانو : (محيياً) لقد تقدمت تقدماً كبيراً !
دى جيش : (بكبرياء وقد اتخذ كلامه لهجة غسقونية)
سوف أقاتل قبل أن أكل .

الجندي الاول : (فى نشوة الفرح) انه بدأ يتكلم بلهجتنا !
دى جيش : (ضاحكاً) هل فعلت ذلك ؟
الجندي : انه واحد منا ..

(يأخذ الجنود فى الرقص والمرح)

كاربون : (يظهر فوق الهضبة ، وكان قد اختفى لحظة خلفها) لقد عينت لرجالي حاملي الرماح موافقهم • انهم ذووا عزم وتصميم

(يريهم صفا من الرماح البارزة فوق الهضبة)
دى جيش : (يميل الى روكرسان) أتنفضلين بأخذ ذراعى لاستعراض الجيش ؟

(تتأبط ذراعه ، فيصعدان معا الى قمة الهضبة ، يخرج الجند من مكانهم ويتبعونهما)
كريستيان : (يتجه نحو سيرانو بلهفة) عجل بما تريد أن تقوله لى

(تظهر روكرسان فوق الهضبة ، فتتوارى الحراب عن الاعين وقد نكست للتحية ، ويدوى المكان بالصياح • تنحنى روكرسان)

حاملو الرماح : (يسمع صوتهم من بعيد) تعيش ! تعيش !
تعيش !

كريستيان : ما هو السر الذى تريد أن تفضى به الى ؟

سيرانو : اذا تحدثت روكرسان اليك ••

كريستيان : عم ؟

سيرانو : عن الخطابات ؟

كريستيان : نعم الخطابات • أعرف ذلك

سيرانو : فلا ترتكب حماقة باظهار الدهشة وابداء العجب

كريستيان : مم ؟

سيرانو : ينبغي ألا أكتبك الحق • رباه ! ان الامر •• وقد
خطر ببالي اليوم عندما رأيتهما ، وهو أنك •••

كريستيان : بالله عجل

سيرانو : بأنك •• بأنك كتبت اليها مرارا ، أكثر مما تظن
كريستيان : عجا ! أفعلت أنا ذلك ؟

سيرانو : رباه ! لقد أخذت الامر على عاتقي ، وكنت أعبر
عما يجيش في صدرك من عاطفة ، فجعلت أحيانا أكتب اليها ولا
أقول لك •

كريستيان : عجا

سيرانو : فالامر كما ترى جد يسير

كريستيان : عجا •• ولكن كيف تيسر لك أن تبلفها الرسائل
ونحن هنا محاصرون من كل ناحية ؟

سيرانو : لقد كنت أئسلل مع الفجر فأجتاز خطوط العدو

سرا

كريستيان : وهل هذا أيضا بسيط للغاية ؟ ولكن نبثني
يا صاح كم مرة في الاسبوع كنت تكتب اليها •• مرتين ••
أثلاثا •• أم أربعا ؟

سيرانو : لا والله بل أكثر من ذلك أيضا •

كريستيان : أكنت تكتب اليها اذن مرة في كل يوم ؟

سيرانو : نعم •• مرتين في اليوم •

كريستيان : أو هكذا كنت تسخر من الموت لمجرد أن في
ذلك الذي ألححت عليه لذة وفرحا ؟

سيرانو : (يلمح روكان قادمة) صه لا حديث بينا أمامها
(وينطلق مبتعدا فيدخل خيمته)

المشهد الثامن

روكان - كريستيان - مشهد الجنود في المؤخرة
يروحون ويحيئون - كاربون ودى جيش يصدرون الاوامر
روكان (تنطلق نحو كريستيان) هذا أنت يا كريستيان
أخيرا ..

كريستيان : (يتناولها من يديها) الآن نبيني لماذا جئت الينا
مجتازة كل هذه المخاطر والمهالك القائمة دوننا ، لقد تجشمت عظيما
وأردت أمرا شاقا .

روكان : كتبك هى التى جاءت بى ، وحديث رسالاتك هو
الذى اقتادنى ، فان كنت قد جازفت فاللائمة لائمتك .. لقد
ذهبت كتبك بلبى .. ولقد جاءتنى فى هذا الشهر منك ترى وكل
كتاب منها أبلغ من سالفه وأروع سحرا .

كريستيان : أمن بضعة كتب غرامية لا خطر لها و ...
روكان : حذار .. لا تتحدث عنها هكذا .. أوأه . انك
لا تستطيع لسلطانها تصورا .. فمنذ تلك الليلة التى رحت فيها
تحت شرفى تسكب فى مسمعى حديثا عجبا ، لم يكن لى بمثله عهد ،
جعلت كتبك التى بلغتنى طيلة هذا الشهر تعيد الى مسمعى ذلك
الصوت الرقيق الحانى الذى فتنتنى بسحره .. فالخطأ فى مقدمى

خطوك وأنت عليه الملموم ، ان صوت تلك الليلة دعانى فلييت ثم
لييت .. ويمينا لو أن « بنيلوب » فى الاساطير الاولى تلقت من
زوجها « عولص » كتباً فى مثل فنون كتبك وبلاغتها لما أطاقت
على المقام فى نوى عنه صبرا . ولما لبثت مخلدة الى مغزلها
دهرا ، بل لذهبت تفتش الارض عنه كما فعلت هيلانة
العاشقة (١) مجنونة بالحب رغما عن ارادتها وقهرها .
كريستيان : ولكن ..

روكسان : لقد جعلت أقرأها ثم أعاودها ، حتى ذاب جسمى
وشعرت أنى أصبحت ملكا لك ، فكأنما كنت أخال كل صفحة
منها ورقة منفصلة من كم زهرة ، انتزعت من أعماق روحك
منتزعا فطارت نحوى طيرا . لقد كان الحب فى كل كلمة منها
يشمل فى القلب نارا ، هذا الحب الصادق العميق .
كريستيان : الصادق العميق ؟ وهل أحسسته فى الكتاب
جليا ؟

روكسان : أجل ، لقد أحسسته فى كل كلمة منه وسطر ،
وبيت من بيوته وشطر ..
كريستيان : وهذا هو الذى من أجله جئت ؟

(١) اشارة الى ابطال حرب طروادة التى قامت بسبب اختطاف هيلانة زوجة
مينلاوس ملك اسبرطة على يد باريس بن بربام ملك طروادة . وكان عولص Odysseus
أحد ابطال هذه الحرب قد مضى الالهة لحكمت عليه بالنفى خارج بلاده والسياحة
فى البحار . وظلت زوجته بنيلوب الوفية تنتظره ورفض المتقدمين بطلب يدها
ولممنهم بتلبية عرضهم حين تنتهى من غزلها فكانت تنكث ليلا ما تغزله نهارا
حتى لا ينتهى الغزل وتضطر الى قبول احدهم زوجا .

روكسان : أى حبیبى ومالكى ، لقد جئت ولو انى الساعة جئت
عند قدميك لانهضتى ، ولكن روحى هى عند قدميك الجائبة ، فما
أنت على النهوض بها الى أفق أرفع مما نهضت بها بقادر . فقد
بلغت القمة العالية ، أى والله لقد جئت لأسألك صفحا ، وأطمع فى
كلمة غافرة راضية ، لقد حان الابتهاال وآتت المغفرة ، ما دام الموت
قد أصبح دانيا ، أستغفرك يا كريستيان فاغفر حماقتى ونزقى حين
أحببتك بادىء الرأى لملاحاة وجهك وحسن مظهرك ..
كريستيان : روكسان !

روكسان : غير أن الحب ما لبث أن رشد بعد أن غوى ، فأمسى
كطائر نشر جناحيه ثم لم يستطع طيرانا ، فقد احتجز جمالك حبى ،
ثم اجتذبت نفسك نفسى ، فأحببتك جذابا بالجمال والنفس معا .
كريستيان : والآن ؟

روكسان : الآن انتصرت نفسك على نفسك ، فأصبحت أحبك
لنفسك وحدها ..

كريستيان : (يتراجع عنها) روكسان !
روكسان : فلتسعد بما كاشفتك الساعة به فالحب من أجل
الجمال فحسب ، هذا الثوب المستعار الذى لا تلبث الايام أن
تحيله ناعلا ، أو ترده مزقا بالية ، هذا النوع من الحب مبعث
شقاء للنفس الالوية ، ولكن الحب حين تحب النفس وجمالها ،
والاحاسيس ونبلها ، هو الذى على الدهر يظل باقيا . ان
ذلك الجمال الجسدى الذى فتنتى فى البداية ، قد تكشف الآن
لعينى فلم يعد عندى منظورا ولا مرثيا .

كريستيان : ربه !
روكسان : أأنت في شك من الانتصار لنفسك ؟
كريستيان : (متوجعا) أواه أ روكسان !
روكسان : أفهم من ذلك أنك لا تستطيع أن تؤمن بهذا
الحب ؟

كريستيان : لست أسألك حبا كهذا الذي تصفين • وإنما أوتر
أن تحبينى ل • • •
روكسان : لذلك الذى أحبتك الغايات واحدة بعد أخرى
من أجله ، حاشاى ، لخير لك أن تكون محبوبا منى أصدق
من هذا حبا • •

كريستيان : لقد كنت أسعد حالا منى الآن
روكسان : ما أبعدك من الحق ، ان حبنى الساعة هو الافضل
الاعز • فلو ان جمالك الباهر انطفأ بريقه • وذهب لمعانه • لظلمت
أحبك ، لان نفسك هى التى أحب •
كريستيان : حسبك • حسبك • •
روكسان : بل لا أنفك عن حبك لو انقلبت دميما قبيحا
فى لحظة

كريستيان : لا تقولى قولا كهذا !
روكسان : بل أقوله
كريستيان : ماذا تقولين ؟ حتى وان كنت دميما
روكسان : أقسم لاجبنك دميما
كريستيان : ربه !

روكسان : أفسرور أنت الآن سرورا عميقا ؟

كريستيان : (بصوت مختنق) نعم ...

روكسان : ماذا بك ؟

كريستيان : (يبعدها بلطف) لا شيء • أود أن أقول كلمة

فاسمحي لي بدقيقة أو دقيقتين ••

روكسان : ولكن ؟••

كريستيان : (يسير الى جماعة من الجند في المؤخرة) ان

هؤلاء المساكين الذي يوشك الردى أن يطيح بهم محرومون من

مراكب بسبب حبى لك ، فاذهبى تحدثى اليهم وتبسمى لهم قبل

أن يدركهم الموت •

روكسان : (برقة وحنان) كريستيان العزيز

(تطلق الى جموع الشباب الذين كانوا وقوفا عن كشب

حلقات فيستقبلونها استقبالا كريما ويلتفون حولها)

المشهد التاسع

كريستيان - سيرانو - روكسان (فى المؤخرة تتحدث مع

كاربون وبعض الجنود)

كريستيان : (مناديا) سيرانو !

(يخرج سيرانو مدججا بالسلاح من فرعه الى قدمه)

سيرانو : ماذا تبغى • وما بالك هكذا مسفوغ اللون مصفرا ؟

كريستيان : انها لم تعد تحبنى

سيرانو : ماذا تعنى ؟

كريستيان : انها تحبك أنت

سيرانو : لا !

كريستيان : انها لا تحب منى غير الروح

سيرانو : لا !

كريستيان : أجل وأنت تعلم أن نفسى التى تعنى ، هى

أنت . فهى اذن تحبك . وأنت كذلك تحبها .

سيرانو : أنا ؟

كريستيان : أعرف ذلك .

سيرانو : وهذه هى الحقيقة

كريستيان : انك تحبها الى حد الجنون

سيرانو : بل اكثر من ذلك قدرا

كريستيان : اذن فلتبح لها

سيرانو : كلا

كريستيان : ولم ؟

سيرانو : انظر الى وجهى تجد جواب ما سألت

كريستيان : ولكنها صارحتنى باننى لو كنت دميما لظلت

تجنبنى

سيرانو : أقالت ذلك حقا ؟

كريستيان : وبكل صراحة

سيرانو : انى لمسرور انها قالت ذلك . ولكن حذار يابنى

لا تصدقها ، آه كم سرنى أنها فكرت فى ذلك وقالته ، ولكن

اذهب ، لا تأخذ كلامها على علاته ، ولا تكف عن الظهور أمامها
وسيمما جميلا . والا لامتني عليه وكنت عندها مستولا .
كريستيان : هذا ما أريد أن أتبينه
سيرانو : كلا ! كلا !

كريستيان : يجب أن تخبرها بالحقيقة كما هي . ولتختبر
هي بيننا !

سيرانو : كلا ! كلا ! لا أستطيع أن أتحمل هذا الامر
كريتيان : أفلا نرى الجميل الوجه ، الحسن معارف وقدا ،
أحطم سعادتك وأبدد هناءتك .. انى اذن لظالم .

سيرانو : وأنا من أجل انى قد حيت من الطبيعة فى بعض
أسرارها وغرابة أطوارها بموهبة اليان ، وملكة الافصاح عما أحسه
وما أنت كذلك به شاعر ، أعدو على سعادتك وأسلب منك
كأسا هنية ؟

كريستيان : اذهب قل لها ذلك كله .

سيرانو : انه يصر على اغرائى بذلك وهذا أمر جلل .
كريستيان : لقد نثت حملا بهذا المنافس الذى فى أعماق
نفسى .

كريستيان : سيرانو ، اصغ لى .. لقد كان قراننا سرىا لم
يحضره شاهد ومن السهل فسخه اذا عشنا ولم نك فى الهالكين .

سيرانو : يا الهى ، أراك ملحا متشددا !

كريستيان : أما ان أحب وحدى أو لا أحب مطلقا ، وهأنذا

منطلق الى المخافر الامامية لكي أرى ماذا يفعلون عندها فتحدث أنت اليها ودعها تختار من بيننا أحدا •

سيرانو : انها ستختارك أنت ••

كريستيان : أدعو الله ! (ينادى) روكرسان

سيرانو : كلا ! لا تفعل !

روكرسان : (تقبل نحوه) ما الخبر ؟

كريستيان : لدى سيرانو كلاما خطيرا يريد أن يسره اليك (تعدو نحو سيرانو ، بينما كريستيان ينصرف)

المشهد العاشر

روكرسان - سيرانو - لوبريه - كاربون - الجنود -

راجينو - دى جيش ، وغيرهم

روكرسان : كلاما خطيرا ؟

سيرانو : (مبهوتا) لقد ذهب ... (لروكرسان) لا شيء ،

ألا تعلمين انه يرى في الشيء التافه شيئا عظيما •

روكرسان : (متلهفة) أو قد شك فيما نبأته به ؟ الى رأيت

الشك يخامره ••

سيرانو : (يتناول يديها) أواثق أنك قلت له الحقيقة

كلها ؟

روكرسان : نعم نعم ! لقد قلت له اني لاجبه وان كان ••

(تبدو مترددة)

سيرانو : (يتنسم ابتسامة مريرة) أشعرين بارتباك من
قولك في وجهي يا روكسان ..

روكسان : ولكن ..

سيرانو : قولك « لن يضيرني وان كان دميما »

(يدوى في الفضاء صوت الرصاص)

روكسان : وان كان دميما ! (يدوى في الفضاء صوت

الرصاص) .. هذا صوت الرصاص يدوى

سيرانو : (بحماس) وان كان دميما الخلقة مخيفا ؟

روكسان : وان كان مخيفا !

سيرانو : وان كان مشوها ؟

روكسان : ومشوها ..

سيرانو : وبشعا أيضا

روكسان : لن يكون بشعا في نظري !

سيرانو : اذن لاحتبته الحب ذاته .

روكسان : نعم ذاته بل لقد أزيد عليه (يكتفم نفسه في

ذهول) رباه ليتها الحقيقة ، فتتحقق السعادة . (لروكسان)

اصغى الى .. أنا .. يا روكسان ..

(يأتي لوبريه من جهة الاسوار مسرعا)

سيرانو (ملتفتا نحوه) ما الخبر ؟

لوبريه : لا ترفع صوتك (يسر اليه كلاما)

سيرانو : (تفلت يد روكسان من يده ، ويصرخ) واها !

روكسان : ماذا ألم بك ؟

سيرانو : (محدثا نفسه وجلا) لقد قضى الامر (يسمع ضرب النار)

روكسان : ما الخبر ؟ ما الذى يجرى هنا ؟ هل يطلقون النار ؟

(تصعد روكسان الى الهضبة لتتظر)

سيرانو : لقد قضى الامر . لن أستطيع أن أبوح بشيء بعد الآن .

روكسان : (مندفعة) ما الذى يجرى هنا ؟

سيرانو : (يحاول منعها) لا شيء

(يقبل جمع من شباب الفرقة يحملون على أكفهم بدنا مسجى وهم يحاولون اخفائه عن روكسان)

روكسان : هؤلاء الرجال ١٠٠ !

سيرانو : (يأخذها بعيدا) دعيهم وشأنهم !

روكسان : ولكن ماذا كنت تريد أن تقول لى منذ لحظة ؟

سيرانو : كنت .. كنت أريد أن أقول .. بالله عليك ، لا

شيء ، أقسم لك يا سيدتى (بحزن واطراق) أن روح كريستيان

.. وأن نفسه كانتا (يستدرك مرتعبا) أنهما أعظم ..

روكسان : تقول كانتا ؟ (تصدر عنها صرخة مدوية) أواه !

(تنجس نحو القوم وتدفعهم)

سيرانو : لقد قضى الامر !

روكسان : (تشاهد كريستيان طريحا فوق قبائه) كريستيان !

لوبريه : (لسيرانو) لقد كانت أول طلقة من طلقات العدو

(ترتدى روکسان فوق جسده ، يعود العدو الى اطلاق النار
ويسمع صليل السيوف ودق الطبول)

كاربون : (وقد استل سيفه) لقد بدأ الهجوم ، فالى
مدافعكم (يتجه الى الجانب الآخر من الهضبة يتبعه جنوده)

روکسان : كريستيان ا

كاربون : (يسمع صوته من وراء الهضبة) اسرعوا ا

روکسان : كريستيان ا

كاربون : اصطفوا ا

روکسان : كريستيان ا

كاربون : احكموا الهدف .. اطلقوا النار ا

(يقبل راجينو مهرولا يحمل الماء فى خوذة)

كريستيان : (يفتح عينيه وهو يحتضر) روکسان ا

(تجشو روکسان عند صدره وقد مزقت قطعة من ثوبها عند

الصدر وجعلت تبللها بالماء وتمسح بها جرحه)

سيرانو : (يهمس فى اذن كريستيان) لقد بحث لها بكل

شئ ، فاذا هى تختارك أنت

روکسان : ماذا يا حبيبى ؟

كاربون : ارفعوا فوهة المدفع عاليا ا

روکسان : (الى سيرانو) انه لم يمت

كاربون : اطلقوا النيران واحصدوهم حصدا

روکسان : أشعر بخذه يتردد ازاء خدى

كاربون : سددوا الضرب واحكموا الهدف

روكسان : هذا كتاب على صدره (تفضّه) انه لى

كاربون : اطلقوا النيران

(يشتعل الفضاء لهيبا ، ويتساقط الرصاص ، وتحترق
المعركة ويعلو الصباح)

سيرانو : (يحاول الفكاك من يدها ، وكانت قد أمسكت
به وهى جائية) روكسان • دعيني أنطلق فقد ابتدأت المعركة •
روكسان : (وهى لا تزال متشبثة) انتظر فقد مات •
وليس يعرفه معى حق المعرفة سواك • لقد كنت أنت الرجل
الوحيد الذى عرفته (ينتحب بهدوء) ألم يكن مخلوقا رائعا
عجيبا ؟

سيرانو : (يقف حاسر الرأس) أجل روكسان

روكسان : وكان شاعرا لا يبارى ، جديرا بالتبجيل ؟

سيرانو : أجل ، روكسان

روكسان : وكانت له روح سامية ؟

سيرانو : أجل ، روكسان

روكسان : ألم يكن ذا قلب كبير ، لم يتطرق الفساد اليه ،
ونفس أبيّة ساحرة ؟

سيرانو : (بعزم) أجل ، روكسان

روكسان : (ترتدى فوق صدر كريستيان) ولكنه مات ا

سيرانو : (يستل سيفه من غمده) الآن طاب الموت • فهى
الساعة تبكىنى فى بكائها عليه وعلى الرغم من أنها لم تعرفه
دى جيش : (يظهر فوق التل ، منكوش الشعر ، دامى

الجبين ، ثم يقول بصوت راعد) انها الاشارة الموعودة ! هذا صوت الابواق يعلو وها هم الفرنسيون يدخلون المعسكر يحملون الامداد والمؤن • اصمدوا قليلا •

روكسان : أرى الدم على خطابه ، والدموع !

صوت : (من الخارج يصيح) سلموا !

الجنود : لن نسلم !

راجينو : (يعتلى مكانه من المركبة ليشاهد المعركة منها)

ان خطر المعركة ليتفاقم !

سيرانو : (الى دى جيش وهو يشير الى روكسان) ابتعد

بها يا سيدى ، فانى مقتحم أبواب الموت لست مباليا •

يحملون الامداد والمؤن • اصمدوا قليلا •

روكسان : (تقبل الخطاب وهى خائرة القوى) هذا دمه ،

وهذه دموعه •

راجينو : (يقفز من العربة ويتجه نحوها) الله لها • لقد

أغمى عليها •

دى جيش : (على الهضبة يخاطب الجنود بصوت غاضب)

اصمدوا

صوت من الخارج : ألقوا السلاح

الجنود : كلا

سيرانو : (لى جيش) الآن وقد أبت شهادتك وبسالتك

يا سيدى فانطلق بها ناجية •

دى جيش : (يسرع نحو روكسان ويحملها على ذراعه)

سأفعل ، وسوف نتصر اذا أتم كسبتهم الوقت وصدمتم قليلا
سيرانو : انا لفاعلون ا

سيرانو : (ترى روكسان محمولة على ذراع دى جيش
يعاونه راجينو) روكسان الوداع •
(ويمرق كالسهم ليلقى بنفسه فى وسط المعركة الحامية
فيوقفه كاربون)

(ضجيج المعركة • صيحات مدوية • يظهر الجنود مشغنين
بالجراح ، يهزون على الارض)

كاربون : انا تتراجع ، وقد أصبت بطعنتى رمح ا
سيرانو : أيها الغساقنة لن يولى الادبار منكم أحسد •
واثبتوا فى أماكنكم الى النهاية (الى كربون) لا خوف عبك
فان لى اليوم من الموت تأرين ، ثار لصديقى الذى استشهد
وثار نعيمى الذى تبدد •

— اطبقوا عليهم واسحقوهم •
(وينطلق والسيف فى يمينه وقد علق بذبابته منديل روكسان
الذى استحال علما مرفرفا ويبرقا داميا •)

سيرانو : (ينادى العلم فى جنة الحرب وحماستها الهائلة) ••
ألا أيها المنديل رفر فانت باسم روكسان ، متجمل مزدان •
(يفرس عصا الحرب فى الارض ويصرخ فى الجنود)

(صوت زمر)
(يبدأ الزامر فى الزمر ، ينهض بعض الجرحى مرة أخرى •
يلتفت بعض الجنود منحدرين من الجسر حول سيرانو وحول

البندق الصغير • ولما كانت العربدة مكتظة بالجنود من الداخل والخارج فقد برزت أسنة بنادق الجنود كالشوك ، وبدأت وكأنها قلعة منيعة)

أحد الطلبة العسكريين : (يظهر على دعامة من دعامات الجسر وهو يقاتل ، ثم يصيح) انهم يصعدون المنحدر !
(يخرصرعاً)

سيرانو : اننا سنرحب بهم !
(يظهر فجأة فوق الجسر حشد رهيب من الاعداء • وتظهر ألوية الجيش الامبراطوري العظيمة)

سيرانو : اطلقوا النيران !
(تطلق النيران من جميع المواقع)
صيحة (بين صفوف الاعداء) اطلقوا النيران !
(يجرى تبادل اطلاق النار ، ويسقط الجنود صرعى من كل جانب)

ضابط أسباني : (يخلع قبعته) ما خطب هؤلاء الرجال الذين عقدوا العزم كله على أن يقتلوا جميعهم !
سيرانو (يجأر اذ يقف وسط الطلقات النارية المتطائرة) : انهم الجنود الغسقونيون التابعون لكاربون دى كاستل جالو • وهم مقاتلون مشهورون •

(يقفز الى الامام تتبعه حفنة من الجنود الباقين على قيد الحياة) انهم جنود ...
(يختفى بقية المشهد فى غمار المعركة)

سیرانودی برجر اک

الفصل الخامس

الفصل الخامس

بعد مضي خمس عشرة سنة - ١٦٥٥ . الحديقة
التابعة لدير شقيقات الصليب ، في باريس .
اشجار قليلة سامة . الى اليسار ، البيت الذى
له عدة ابواب تفلد الى شرفة فسيحة تنتهى بدرج .
في منتصف المسرح ترتفع اشجار ضخمة منفصلة وسعد
لفناء اهليجي الشكل . الى اليمين في الجناح الاول ،
مقاعد حجرى نصف دائرى ، تحيط به شجيرات
مخضرة .

يظهر على طول المسرح من الخلف طريق تصطف
على جانبيه اشجار القسطل ينحني في اليمين - الجناح
الرابع - الى باب كنيسة ترى من خلال الاشجار .
وترى من خلال صفى الاشجار المتشابهة فوق الطريق
مساحات من العشب وطرق مليئة باشجار اخرى
واجمات من الاشجار والاطراف البعيدة من الحديقة
لم تلب السماء . وتصل الى الكنيسة عن طريق باب
جانبي الى شرفة ذات عمد ، تكتنفها كروم لوزية .
امتد الشرفة الى الامام وتختلى عن الاعيين خلف
الشجيرات القائمة الى اليمين .

والوقت خريف . تتطاير اوراق الاشجار على العشب
الذى مازال نظرا . ولما بلغ قائمة من الاوراق الدائمة
الخضرة واوراق نبات السدر، وتحت كل شجرة بساط
من الاوراق الصفراء . تنتشر اوراق الاشجار في جميع
ارجاء المسرح ، ويسمع لها صوت وهى تتفلت تحت
ال اقدام ، وتنتشر في ارض الشرفة وعلى المقاعد .

وبين المقعد الذى الى اليمين والشجرة القائمة في
الوسط اطار للتطريز كبير ، يقع امامه مقعد صغير ،
وسلال ملأى بالصوف الملفوف في خصل وكرات . وفي
الاطار طنفسة لم تكتمل بعد .

وعند رفع الستار ترى الراهبات رائعات غاديات
بالحديقة ، تجلس قلة منهن على المقعد الحجري
حول راهبة مسنة ، تتساقط اوراق الاشجار .

الراهبة مارتا : (وهى تخاطب كبيرتهن الام مرغريت) لقد رأيت كبير تقف أمام المرأة لتصلح من عقصة شعرها .

كبير : وأنا لقد شهدت الاخت مارتا فى هذا الصباح تتناول خوخة من فوق فطيرة كبيرة .

الام مرغريت : هذا لا يحسن أيتها الاخت مارتا ولا يليق .

كبير : لم تكن سوى لمحة ولم أزد .

مارتا : وهل على من تتناول خوخة صغيرة حرج ؟

الام : سأنبئ مسيو دى برجرارك فى هذا المساء بما فعلتساء

كبير : كلا انه لذاع السخرية !

مارتا : انه ولا ريب قائل اننا نحن الراهبات ككل بنات حواء من ذوات الدلال !

كبير : بل أكبر الظن انه سيقول : ان الراهبات لمنهومات !

الام مرغريت (ضاحكة) : ولكنه سيقول انهن حانيات رقيقات .

كبير : أليس حقا أنه قد ألف الحضور فى كل يوم سبت من الاسبوع منذ عشر سنين لم يتخلف عنها يوما واحدا

الام : بل أكثر من ذلك ، ولعلها أربع عشرة سنة من ذلك اليوم الذى جاءت فيه ابنة عمه فى ثوب حدادها لتقيم بيننا أبدا ، كأنها الطائر الحزين وسط أطيوار بيض .

مارتا : وانه أبرع من عرف كيف ينقى الحزن عن خاطرها
مذ حلت بديرنا ، وان كان حزنها عضالا ، لم يخفف الزمن من
حرقته ا

جميع الراهبات : (كل بدورها) انه غريب الاطوار كلما
جاء الى الدير لا يلبث أن يدخل روحا جديدة على أفقه . انه
يطرد الهم من نفوسنا بمجاثته اللاذعة . انا نجه جدا ونصنع
له الفطائر . انه يعاكسنا . ما أطفه ا
مارتا : ولكنه ليس كاثوليكييا ملييا

كلير : سنجعله على الدهر مؤمنا والى الصواب سنرده
على الايام .

الراهبات جميعا : نعم . نعم . سنفعل ذلك
الام مرغريت : احذركن أن تأتين شيئا كهذا فيقلل من
زوراته أو يمتنع عن روحاته وغدواته .

مارتا : ولكن يا الهى ا
الام مرغريت : لتطمئن عليه نفوسكن ، ان الله به عليم
خبير .

مارتا : انه كلما حضر يوم سبت راح يقول بشم وابهاء :
أختاه ، لقد أكلت أمس أكلا دسما شهيا ا
الام مرغريت : رباه ، أقال ذلك ؟ لقد لبث آخر مرة يومين
كاملين لم يذق فيهما طعاما .
الاخت مارتا : وأسفا له .

الام مرغريت : انه الفقر !

مارتا : ومن نبأك بذلك ؟

الام مرغريت : مسيو لوبريه نبأنى •

الاخت مارتا : أو لا يمدون اليه يد العون ؟

الام مرغريت : لا يفعلون لان ذلك يغضبه

(فى احد ممرات الدين فى المؤخرة تبدو روكسان فى ثوب

الحداد وقد أرخت على وجهها نقابا أسود ويمشى الى جانبها

بأبهة دى جيش وقد بدت الشيخوخة عليه • سيران على مهل،

تقف الام مرغريت عندما تشاهدهما)

مرغريت : لقد حان أن ندخل ، فان السيدة مادلين

تتمشى فى الحديقة مع زائر لها •

الاخت مارتا : (تهمس لكبير) انه الكونت دى جيش الذى

أصبح يلقب بالماريشال دون دى جرامون ؟

الاخت كبير : (تنظر نحوهما) أظن ذلك •

الاخت مارتا : لقد فرطت أشهر على آخر زيارة له •

الراهبات : (كل بدورها) انها مشاغله • واجبات البلاط

الملكى • مسئولياته العسكرية •

الاخت كبير : مشاغل الحياة

(ينصرفن ، أما روكسان ودى جيش فينزلان فى سكون

ويقفان أمام اطار للتطريز)

المشهد الثانى

روكسان - دوق دى جرامون (الكونت دى جيش سابقا)
- لوبريه • راجينو

دى جيش : أتقيمين هنا • هذا البياض ما فائدته وأنت فى
ثياب الحداد أبدا ؟

روكسان : لن أفارق الدير آخر الحبة •
دى جيش : أولاتزالين على عهدك باقية ؟

روكسان : نعم وسأبقى
دى جيش : (بعد فترة سكون) أو عفوت عني ؟

روكسان : (بكل بساطة وهى تنظر الى صليب الدير) ما
دمت هنا فليس فى خاطرى من آثار الناس شىء من ألم أو
موجدة •

دى جيش : أكان حقاً انسانا ؟•
روكسان : ليتك عرفتة حق معرفته ا

دى جيش : لم أعرف عنه الا قليلا •• أو لاتزالين محتفظة
بآخر رسائله فوق قلبك ؟

روكسان : ألبسه حجابا مقدسا لا يفارق صدرى معلقا
بهذا المخمل •

دى جيش : أولا تزاين تحبينه وقد رحل من هذه الدنيا ؟
روكسان : يخيّل الى أحيانا أنه لم يمّت . فان قلبينا لا يزالان
يتناجيان كأنما روحه ترفرف على وتلفنى تحت جناحيها .
(سكون)

دى جيش : وسيرانو .. أياأتى لزيارتك ؟
روكسان : نعم أحيانا ، هذا الصديق القديم هو بمثابة
الصحيفة اليومية لى . وهو يزورنا بانتظام ، فإذا كان الجو
صحوا وضعنا له كرسيّا تحت الشجرة التى تجلس أنت الآن
تحتها وأنتظره هنا وأنا دائبة على شغلى ، وتديق الساعة ، وفى
الدقة الاخيرة أسمع دون أن أتلفّ خلفى وقع صوت عصاء على
الدرج ، فيجلس ويروح يمجن ساخرا من الثوب الذى أنسجه
ولا أنتهى منه آخر الحياة ، وينشئ يحدثنى بأخبار الاسبوع
وما جرى خلال غيبته . (تلمح لوبريه نازلا الدرج) ها هو ذا
لوبريه . كيف حال صديقنا ؟

لوبريه : خلفته فى حال سوء .

دى جيش : وا أسفاه

روكسان : ويحك . لا تبالغ .

لوبريه : لقد صدقت فيه نبوءاتى الواحدة اثر الواحدة
الفاقة والحرمان ، والبؤس ، والاستهداف المتصل بالنقد اللاذع
للنبلاء والاشراف ، والاصدقاء المزيّفين ، والشعراء الذين
يسرقون القصائد . وبالجملة معاداة جميع الناس .

روكسان : ولكن سيفه لا يزال مرهوبا ، فلن يكون يوما
لاحد مغلوبا .

دى جيش (يهز رأسه) : من يدري ؟

لوبريه : انى لاختشى عليه عدوا واحدا ، هو أنكى عليه من
سائر أعدائه ، وما عدوه الالد ، الا العزلة والكمد ، وها هو ذا
الشتاء يدخل عليه المرقد ، كأنه الذئب الجائع تسلل للنهش
والعض . وكثيرا ما قضى الليالى طاويا ، وقد شد على بطنه
بمنطقة ، متجلدا لانياب الجوع الحداد ، وقد استحال أنفه
الذى جلب عليه الوبال على مثل لون العاج القديم ، ولم يبق
لديه الا ثوب أسود يستتر بدنه !

دى جيش : هذا أتاہ القدر مواهب كثيرة وذكاء ،
فأضاعها جميعا هباء ، ومثله لا يستحق شفقة ولا رثاء .

لوبريه (بضحكة مريرة) : سيدى المارشال ..

دى جيش : لا داعى للرتاء له . انه عاش عمره لم يلتزم
بشيء فى دنياه ، حرا فى أفكاره ، كما فى أعماله

لوبريه : (بابتسامة كسيفة) سيدى الدوق !

دى جيش : نعم ، فلست أنكر أن عندى كل شيء ، وانه
لا يملك شيئا ، ولكنى وددت لو تصافحنا (ينحنى بالتحيية
لروكسان) الوداع

روكسان : سأرافقك الى الباب (ينحنى دى جيش للوبريه
ويتجه مع روكسان نحو درج الشرفة)

لوبريه : أعلى البلاء تراه المحسود ؟

دى جيش : (يقف على الدرج) نعم ، أحيانا أرانى لفكرة الحسد نها . ولا عجب فان المرء كلما أصاب على الدهر نجاحا مرموقا ، لا يلبث فجأة أن يستشعر بالمجد برما وضيقا ، دون أن يكون قد ارتكب خطأ جسيما ، ولست أعنى بهذا أنه يحس فى أعماق صدره وخزا وتأنيبا ، ولكنى أعنى ضجرا وملالا عجيبا ، وكلما صعد درجات المجد تراكت على هذب ثوبه العسكرى الاوهام والاشجان ، كما يحدث وأنت تصعدين هذا الدرج حين يكتسب هذب ردائك الاسود أوراق الخريف الميتة روكسان : (بتهكم) أراك مسترسلا مع الاخيلة العنيفة القاسية

دى جيش : هى والله كذلك ، والآن فلانصرف مودعا (ينحنى انحناء التوديع) لوبريه ا ائذنى لى يا روكسان لحظة (يتجه نحو لوبريه ويحدثه بصوت منخفض) حقا يا صاح ليس فينا من أوتى الجرأة على التحرش بصاحبك ، فلا عجب اذا أضمر له الناس كراهية وحقدا ، حتى لقد قيل لى بالامس فى البلاط انه بات يخشى عليه من حادث يقع له . لوبريه : ويلاه ا ماذا تقول ؟

دى جيش : نعم ، فيقلل من خروجه ، وليكن على حذر من أعدائه .

لوبريه : (يرفع ذراعيه نحو السماء) ليكن على حذر ا

يا الله .. ولكنه سيحضر بعد قليل / وسأنبهه الى ما يكاد له .. أجل
سأحذره ، ولكن ...

روكسان : (واقفة عند أعلى السلم) من ذا أرى ؟
(تدنو راهبة نحوها) من هذا يا أختاه ؟
الراهبة : راجينو يريد رؤيتك ، يا سيدتي ا
روكسان : دعيه يدخل (تلثفت الى دى جيش ولوبريه) لقد
جاء يشكو البؤس ، فقد جال في خاطره يوما أن يكون شاعرا
فاذا هو يصبح بدوره مغنيا في الكنيسة

لوبريه : وصاحب حمام ا
روكسان : ومثلا
لوبريه : وموظفا تافها
روكسان : وحلاقا
لوبريه : ومعلم موسيقى
روكسان : وماذا لعله صائر الآن ؟
راجينو : (يدخل مسرعا) آه .. سيدتي (يلمح لوبريه)
سيدتي

روكسان : (تضحك) اقصص على لوبريه ماذا صنع الدهر
بك ، وسأعود حالا .

راجينو : ولكن ... سيدتي
(روكسان تخرج غير ملتفتة اليه مع دى جيش ، ويعود
راجينو الى لوبريه)

المشهد الثالث

لوبريه - راجينو

راجينو : حسنا ! ما دمت أنت هنا ، فخير لها أن تبقى جاهلة بما حدث . كنت ذاهبا الساعة اليه فما كدت أدنو ثلاثين قدما من داره حتى رأيته خارجا فأسريت اليه لالحق به وأبصرته ينعطف في طريق آخر ، واذا بخادم يلقي فجأة من نافذة كان يعبر تحتها كتلة ضخمة من الخشب عليه ، هل كان ذلك قصدا أو مصادفة ، لست أدري .

لوبريه : يا للخونة الاوغاد ، وماذا حدث لسيرانو ؟

راجينو : فلما وصلت اليه وجدته . .

لوبريه : هذا شيء نكر .

راجينو : وجدته ، يا سيدى ، وجدت صديقنا وشاعرنا ، ملقى على الارض ، والدم ينزف من ثقب كبير فى رأسه .

لوبريه : أترأه قضى ؟

راجينو : كلا ، ولكنى احتملته الى حجرتة . له الله . آه

لو رأيت فى أية حجرة يعيش !

لوبريه : هل يتألم ؟

راجينو : كلا يا سيدى ، انه فاقد الوعي •

لوبريه : هل التمسث له طبيبا ؟

راجينو : لقد التمسث أطباء كثيرين فتحللوا .. ولكن

طيبيا كريما رضى أن يذهب ليفحصه •

لوبريه : ان قلبى لمتفجع عليه • ينبغي ألا تنبئء روكسان

النبا وشيكا • وما رأى الطبيب فيه ؟

راجينو : لقد تكلم أخيرا ، أبسبب الحمى ، أم بسبب

التهاب المخ ، لست أدرى ، آه لو رأيته ، وقد عصب رأسه

باللفافات فلنذهب فى الحال اليه ، لانه الآن وحده صريع الداء ،

ليس بجانبه أحد مواسيا ولا راعيا ، ان الخطر من الموت محقق ،

اذا هو غادر فراشه أو تحرك

لوبريه : (يسحب راجينو الى جهة اليمين) فلنمض من هنا

فتعال بنا ، هذا الطريق من الكنيسة أقرب الطرق اليه •

(تعود روكسان من توديع دى جيش فتلمحهما ، وهى لا

تزال على الدرج ، يتواريان خلف أعمدة الكنيسة فتنادى)

مسيولوبريه !

(لوبريه وراجينو يسرعان تاركين روكسان تنادى)

روكسان : أيزهـب حين أناديه ، أتراها مشكلة أخرى من

مشكلات هذا الرجل الطيب راجينو ؟ (تنزل الدرج)

المشهد الرابع

روكسان وراهبتان

(تجلس روكسان وحيدة ساهمة)

روكسان : أواه .. هذا هو اليوم الاخير من شهر سبتمبر
انه ليوم جميل ، وقد بدأت كآبتي تبتسم ، هذه الكتابة التي
كانت روعة الربيع تغضبها ، أصبحت قسوة الخريف تغريها على
الابتسام .

(تأخذ في شغل الابرّة ، وفي هذه اللحظة تدخل أختان
تحميلان كرسيًا فتضعانه تحت الشجرة) آه .. هذ هو المقعد
العتيق الذي يجلس فوقه صديقي القديم !

الاخت مارتا : تصفينه « بالعتيق » وهو أحدث كرسي في
قاعة الاستقبال !

روكسان : شكرا يا أختاه (الراهبتان تبتعدان) لن يلبث
أن يحضر (تدق الساعة أربعا فتصغى الى دقائقها) الساعة تدق
مؤذنة بمقدمه ، وهو لم يأت بعد .. يا عجب ! أراه لأول مرة
متأخرا .. رباه لا بد أن الراهبة المنوطة بالباب .. أين قمع
الخيطة ؟ ها قد وجدته .. لا بد أن هذه الراهبة قد حجزته عند
الباب تحضه على التوبة . لا يمكن أل يتأخر أكثر من ذلك ..
يا الهى .. هذه ورقة ذابلة ، (تسقط الورقة الذابلة على اطار

شغلها فتزيحها عنها) ، ولكنى على يقين من أن لا شيء يمكن
أن يعوقه عن الحضور . أين مقصي ؟ هاهو ذا داخل حقيبتى .
أخت : (من فوق السلم) مسيو دى برجرارك !

المشهد الخامس

روكسان - سيرانو - الراهبة مارتا

روكسان : (دون أن تلتفت وراءها) ماذا كنت أقول
لنفسى اللحظة (تمضى فى الخياطة وقد أوشك الظلام أن يعم
ما حولها) .

(هنا يبدو سيرانو شاحبا مخيفا وقد أسدل القبعة على
عينيه ، تنسحب الراهبة التى كانت تقوده ، ثم يأخذ فى نزول
السلم رويدا بمشقة ، معتمدا على عصاه)

روكسان : يا لله .. لست أدري كيف أجعل اللون الاصفر
فى هذا الغطاء متمشيا مع بقية الالوان ..

(تنبه الى سيرانو فتقول فى شيء من العتاب) : هذه أول
مرة تتأخر فيها منذ أربعة عشر عاما .

سيرانو : (وقد وصل الى الكرسي وجعل يقول بصوت مرح
لا يتفق مع معالم وجهه الشاحب) : أى ورب ، اننى أكاد أتميز
من الغيظ ، لقد أرغمت على التأخير .
روكسان : وما الذى أرغمت عليه ؟
سيرانو : بزيارة مفاجئة .

روكسان : آه .. أبعض الثقيلات هي ؟

سيرانو : بل كان يا ابنة العم أحد الثقلاء (١)

روكسان : وهل استطعت منه خلاصا ؟

سيرانو : نعم . قلت له اننى آسف أشد الاسف ، فاليوم يوم السبت ، اليوم الذى اعتدت فيه الذهاب الى مكان طيب ، وموضع محبوب ، فلن تستطيع قوة فى الارض احتجازى عنه أو تأخيرى ، فلتأت بعد ساعة أو نحوها .

روكسان : اذن على هذا الضيف أن ينتظر طويلا فانى غير تاركتك قبل المساء .

سيرانو : ولكن من يدري . فقد اضطر الى الرجوع قبله ؟

(يغمض عينيه ويصمت لحظة)

(الاخت مارتا تمر فى الحديقة فتلمحها روكسان وتشير اليها أن تأتى)

روكسان (لسيرانو) : مابالك اليوم لاتعاكس الاخت مارتا كعادتك ؟

سيرانو (يصحو من ذهولته) : آه .. سأفعل بلا شك .
(يتصنع الضحك) يا اختنا مارتا ، اقتربنى (تتقدم فتقف امامه)
ها .. ها .. ألا تزال العينان الجميلتان تغضان الطرف حياء وتعبسان تجلدا واستهزاء ؟

(١) يعنى الموت ..

مارتا (ترفع بصرها ضاحكة) : ولكن .. (تلمح وجهه الشاحب فيعتريها شيء من الفزع) : رباہ ..

سيرانو (يشير الى روکسان ويقول لها بصوت محبوس) : صہ .. ان هذا الذى رأيتہ لا يهم (بصوت مرتفع) لقد تناوات أمس طعاما دسما ونعمت بأكل شہى •

مارتا : أعرف ذلك (لنفسها) ولذلك أراه شاجبا مفرط الشحوب (تخاطبه بسرعة راعشة الصوت) : هلا جئت بعد قليل الى المطبخ ، أتناول شرابا ساخنا ؟ انك ستأتى • ناشدتك الله أن تجىء •

سيرانو : نعم ، نعم ، سأجىء

مارتا : آہ .. أراك اليوم أكثر تعقلا !

روکسان (وقد سمعتہما أخيرا وهما يتهامسان) أترأها تحاول أن تعظك لتتحول بك الى مذهبها فى الدين ونحلثها ؟

مارتا : كلا ، فالى متحاشية ، محاذرة •

سيرانو : يا عجباً ! ما الذى جرى • لقد كنت يا أختنا مارتا لا تكفين عن الكلام فى الدين ، واليوم لا أجدرک تحاولين ادخال الدين فى رأسى • انه لشيء عجاب حقا (فى شيء من الغضب المصطنع) ولكنى جاعلك تعجبين أنت الاخرى .. سأهاجمك اللحظة بمفاجأة (يبدو كأنه يبحث عن مداعبة لطيفة يفاجئها بها) آہ .. آتحيين عجبيا منى أن أطلب اليك الصلاة لاجلى فى الكنيسة هذا المساء .. ما قولك يا أخت فيما طلبته ؟

روكسان : عجبا ..!

سيرانو : (ضاحكا) مالى أرى الاخت مارتا مبهوتة ذاهلة ؟
مارتا (بهدوء) : لم أكن أتوقع أن تسمح لى بذلك
(تخرج)

سيرانو : (يعود الى روكسان وينحنى فوق اطار شغل
الابرة) يا للشيطان ! ألا تزالين حائكة .. أيها الغطاء المغزول
متى أرى نهايتك ؟

روكسان : كنت أرتقب هذه النكتة اليوم منك (فى هذه
اللحظة تسقط الرياح أوراقا ذابلة من فوق الشجر)

سيرانو : الشجر يتساقط علينا أوراقا .. نذير خريف
مقبل .

روكسان (ترفع بصرها ثم تنظر الى ممرات الحديقة التى
غطتها الاوراق المتساقطة) : ان لها لونا أشقر جميلا ، ألا ترى
اليها وهى متساقطة .

سيرانو : لله ما أحلاها فى تساقطها ! فى تلك المسافة القصيرة
التى تمتد من الفرع الى الارض تعرف الاوراق كيف تتجمل
قبل الوداع الاخير ، ومع انزعاجها من العفن فوق الثرى تأبى
الا أن تضيف على سقوطها جمال خفق الطائر .

روكسان : مالى أرى سيرانو اليوم حزينا ؟

سيرانو : (ينتبه لنفسه) ما أنا بمحزون يا روكسان مطلقا

روكسان : هيا دع الاوراق لشأنها واقتصص علينا الجديد
يا جريدتى •

سيرانو : هاهى

روكسان : أجل ؟

سيرانو : (يبدو أكثر شحوبا ويحاول اخفاء ألمه) السبت
اليوم التاسع عشر من الشهر - أصيب الملك بالحمى ، من
البطنة والتخمة بعد أن ملأ طبقه ثمانى مرات من « مربى »
العنب والفواكه وقد اتهم مرضه بالخيانة العظمى فحكم
عليه بالفصد، وهكذا خلا لبضه الملكى من آثار الحمى • أقيمت
يوم الاحد حفلة متكررة فى جناح الملكة ، فأوقدت سبعمائة
شمعة وثلاثة وستين من الشموع البيض ويقال ان قوائنا
انتصرت فى المعركة على قوات جان النمسوى • أعدم أربعة
دجالين شنقا • مرض كلب مدام داتى الصغير ••

روكسان : مسيو دى برجراك ، هلا تكرمت بالسكوت ؟

سيرانو : (مسترسلا) الاثنين - لا شىء غير أن مدام

ليجدامير اتخذت عشيقا جديدا •

روكسان : أوه •• أوه

سيرانو : (يستولى عليه الصمت ويشتد به الألم) الثلاثاء

انتقل البلاط الى فوتنبلو • الاربعاء - تحدثت لامونجلا الى
الكونت دى فيهسك فقالت له « لا » ، الخميس - منسينى
ملكة فرنسا أو تكاد •• وفى الخامس والعشرين تحدثت الحسناء

لامونجلا الى الكونت فيهسك فقالت له « نعم » • وفي يوم
السبت السادس والعشرين من الشهر ...

(يغمض عينيه ويطلق برأسه)

(سكون)

روكسان (تعجب لسكوته فتلفتت واذا تراه على هذه الحال
تنهض مذعورة) : يا لله لقد أغمى عليه (تهوّل نحوه صارخة)
سيرانو • • سيرانو •

سيرانو (يفتح عينيه ويغمغم بصوت شارد) : ماذا • •
(يلمح روكسان جاثية بجانبه فيصلح من قبعته فوق رأسه ثم
يفوص بخوف في جوف كرسيه) : كلا • كلا • أقسم لك • •
لا شيء • • دعيني •

روكسان (بهلع) : ولكنك • •

سيرانو : انه جرح أراس • • ذلك الجرح القديم الذي
تعرفينه •

روكسان : واها لك يا صديقي المسكين •

سيرانو : هذا أمر لا أهمية له ، وسيزول وشيكاً ألى
(يضحك مغالبا) لقد انتهى وزال كل شيء • •

روكسان (وهى واقفة بجانبه) : كلنا من جرحه متألم • أما
أنا فجرحى هنا ، جرحى القديم (تشير الى قلبها) هنا • • فى هذا
الموضع تحت الرسالة التى اصفرت صفحتها ، ولا أزال أشهد
عليها الى اليوم دمعا ودما • •
(الشمس تأخذ فى المغيب)

سيرانو : رسالته .. لقد كنت قد وعدتني أن ترينى كتابه
فى يوم ما لاقرأه .

روكسان : أتريد رسالته ؟

سيرانو : نعم ... أريد اليوم ...

روكسان : (تعطيه الرسالة المدلاة فى سلسلة من عنقها)

هاكها ..

سيرانو : أأأذن لى فى فضاها ؟

روكسان : افضضها واقراء (تعود الى شغلها فتطويه)

سيرانو : (يقرأ) وداعا روكسان .. انى لا محالة ميت ..

روكسان : (تقف متعجبة) أقرأوها بصوت مسموع ؟

سيرانو : (مستمرا فى القراءة) فى هذه الليلة بالذات أشعر

ياحبيبتى أن روحى قد ناءت بحب مكتوم لم يصب تعبيرا ..

روكسان وداعا انى الليلة سأموت ، فلا تعود عيناي اللتان

أسكرهما الحب ..

روكسان : كم هى عجيبة قراءتك لرسالته ؟

سيرانو : (مستمرا فى القراءة) عيناي اللتان تطربهما قبلة

فى الهواء لكل حركة تأتينها . أذكر منها حركة ألفتيهما حين

تلمسين جبينك ، فلا يسعنى الا أن أصبح ..

روكسان : (مضطربة) كم هى عجيبة قراءتك للرسالة !

(يخيم الظلام فلا يشعر به)

سيرانو : (متابعا القراءة) فأصبح : الوداع !

روكسان : انك تقرأها ..

سيرانو : أى عزيزتى .. حبيبتى .. كزى
روكسان : (حاملة) انك تقرأها بصوت ..

سيرانو : حبيبتى

روكسان : (ترتعش) وبصوت لست أسمعه لأول مرة ،
صوت ليس على سمعى غريبا (تقترب منه دون أن يشعر فتقف
خلفه وتنظر الى الرسالة والظلام مخيم) .

سيرانو : (يتلو) لن يفارقك قلبى لحظة واحدة ، وانى
لباق فى العالم الآخر الرجل الذى تجاوز حبه الحدود .
الرجل ..

روكسان (تلمس كتفه بيدها) : يا عجباً . كيف تواتيك
القراءة ، والليل أرخى سدوله ؟

(يرتعش ويلتفت اليها ليجدها بجانبه فيضطرب ويطسرق
برأسه .. سكون طويل)

روكسان : (فى حلقة الظلام ، تضم يديها وتتكلم بتؤدة)
ألا تزال على ديدنك .. تؤدى الدور ذاته أربعة عشر عاما ..
دور الصديق الذى يسلى النفس ، ويضحك ، ويروح عن
الصدر وان كان حزينا آسيا ؟

سيرانو : روكسان ..

روكسان : لقد كنت أنت ..

سيرانو : كلا . روكسان . كلا

روكسان : كان ينبغي أن أفهم حين كان ينادينى باسمى .

سيرانو : كلا . روكسان .. لم أكن أنا ..

روكسان : بل لقد كنت أنت •

سيرانو : أقسم لك ••

روكسان : انى مقدرة موقفك النبيل • كل تلك الكتب
كانت كتبك •

سيرانو : كلا

روكسان : والكلمات العزيزة النشوى كانت كلماتك ،
والصوت السارى فى جوف الليل كان صوتك •

سيرانو : أقسم لك • كلا • كلا •

روكسان : والروح الشعرية كانت روحك

سيرانو : لم أحبك يوما •

روكسان : بل أحببتنى •

سيرانو : لقد أحبك هو ••

روكسان : بل أنت أحببتنى ••

سيرانو : كلا • كلا • (بخفوت)

روكسان : أراك تخفض من صوتك •

سيرانو : كلا يا حبيبتى الغالية •

روكسان : رباه •• كم من أشياء ماتت ، وكم من أشياء

جديدة ولدت •• لماذا لزممت الصمت أربع عشرة سنة ، وما هى

ذى رسالة لم يكتبها هو ، وسكبت أنت عليها دموعك ؟

سيرانو : (يناولها الرسالة) وهذا الدم دمه

روكسان : اذن لماذا هذا الصمت الجليل ينهار اليوم ؟
سيرانو : تسأليننى لماذا ؟
(لوبريه وراجينو يندفعان الى الموضع مسرعين)

المشهد السادس

سيرانو — روكسان — لوبريه — راجينو

لوبريه : أى استهتار بالحياة هذا .. آه .. كنت على يقين
أنى هنا واجده .. ها هو ذا
سيرانو (يضحك وهو ينهض) : أنت .. يا لك من عفريت
لوبريه (لروكسان) لقد قضى على نفسه ياسيدتى بمغادرته
فراشه .

روكسان : يا الهى، أكان ضعفك منذ قليل هو السبب فى ..
سيرانو : نعم . لم أكن قد انتهيت من سرد الحوادث . ففى
يوم السبت السادس والعشرين من الشهر ، وقبل العشاء بساعة
واحدة . مات السيد دى برجرأك قتيلا ..
(يرفع قبعته وتظهر الاربطة حول رأسه)

روكسان (فى هلع) : ويلتنا .. ماذا أرى .. سيرانو .
رأسه ملفف بأربطة ، ويلتنا ماذا صنعوا بك ويحكم .
سيرانو : بضربة سيف مسددة من كف صنديد الى صميم
القلب ، كنت أتمنى أن تكون نهايتى ، ولكن القدر قد سخر

منى، وهانذا قتيل من كمين، من سقطة كتلة من الخشب تصيبني
من الخلف ، لا من أثر طعن ونسرب . قطعة خشب هوت فوق
رأسى من كف خادم مهين . جميل والله، لقد كنت الخاسر حتى
فى الموت .

راجينو : أواه سيدى (يبكى) .

سيرانو : راجينو . . لا تجعل لبكائك شهيقا وزفيرا . .
(يمد اليه يده) قل لى يا صاحبنى ماذا تصنع الآن يا أخا الود
والعهد .

راجينو (وهو يبكى بحرارة) : أنا الآن أطفئ الشموع
عند مولير .

سيرانو : مولير .

راجينو : ولكنى سأترك خدمته غدا ، لانى محتج متألم ،
فقد كانوا بالامس يمثلون على المسرح رواية « سكابان » وبدا
لى أنهم سرقوا منك فيها مشهدا .
لوبريه مشهدا كاملا ؟

راجينو : نعم يا سيدى . المشهد الذى فيه تقول : ماذا هو
بالله صانع ؟

لوبريه : نعم . لقد اتحلله مولير منك اتتحالا .

سيرانو : صه ! صه ! لقد أحسن عملا (الى راجينو) وهل
أصاب المشهد اعجاب الناظرين ؟

راجينو : أجل يا سيدى ، لقد ظللوا له ضاحكين .

سيرانو : وا أسفى . لقد كانت حياتى حياة الملقن الذى

يهمس الكلام للغير ثم هو في النهاية يذهب نسيا منسيا
(لروكسان) أفتذكرين ليلة جاء كريستيان يتحدث اليك تحت
الشرفة والليل بهيم ، لقد كانت كل كلمة في ذلك الحديث من
صميم حياتي ، بل حياتي نفسها . وبينما كنت مختفيا في الحديقة
وسط الظلمة البادية ، كان آخر يصعد ليقطف قبلة النصر له
دائبة ، ذلك عدل وحق أنا به مقر حتى باب مقبرتي الآتية ..
لموليير العبقري ولكريستيان الجمال والصباحة والصفحة البهية
(تدق أجراس الكنيسة ، وتبدو الراهبات من بعيد ذاهبات
الى الصلاة)

سيرانو : ليذهبن الى الصلاة مادام ناقوسهن يدق .
روكسان (تنهض وتنادى) : أخطاه .. أخطاه
سيرانو (يمسك بها) : كلا . كلا . لا تنادى أحدا . فلن
تجدينى حين تعودين لاني سأكون عندئذ قد رحلت .
(الراهبات يدخلن الكنيسة وتسمع عندئذ أنغام الموسيقى
الكنسية الشجية)

سيرانو : كنت في حاجة الى شيء من الموسيقى ، وها هي
ذى تأتيني في الوقت المناسب .

روكسان : بل لتحي يا سيرانو ولتعش . اني أحبك
سيرانو : كلا . تلك أسطورة من الاساطير حيث تقول
الفتاة لفارس أحلامها الذي صبغ جبينه الحياء : « أحبك » ،
لا يلبث أن يحس دماسته تذوب على حرارة كلماتها كأنها الشمس
العامية ، ولكنى وا أسفاه سأبقى آخر الحياة دميما كما أنا

روكسان : يا ويحى .. لقد كنت سبب شقائق
سيرانو : أنت ، بالعكس ، فقد كنت أجهل حنان المرأة ، فأمرى
لم تجدنى جميلا ، وما كنت لى فى هذه الدنيا أخت حانية ولا
شقيقة راعية ، بعد ذلك صرت أخشى الخلية الساخرة الغاوية
فابتعدت عن النساء ناجيا .

وأنا لك مدين ، لقد وجدت فيك الصديقة الوفية ، ولولاك
لما مر بحياتى ثوب امرأة .

لوبريه : (يريه القمر وهو يبرز من خلال الشجر) وها هو
صديقك الآخر ، أقبل لبراك .

سيرانو (يضحك للقمر) : آه .. حقا .. هاهو ذا
روكسان : ما أحببت فى دهرى الا انسانا واحدا ، وهأنذى
أفقدته للمرة الثانية

سيرانو (لصديقه لوبريه) سأصعد الليلة الى منازل القمر
بغير حاجة الى اختراع جهاز يعين على الصعود اليه .
روكسان : ماذا تقول ؟

سيرانو : أى نعم ، هناك عند هذا القمر ، سأهتدى الى
فردوسى الجميل الباهر ، وألتقى بالارواح الاثيرة التى أحبها ،
والصحب الكرام الذين أتوق الى لقاءهم ، سألتقى بسقراط
وجاليليو .

لوبريه : (ثائرا حزينا) كلا . كلا . يا لله ما أقسى النهاية
وأمرها ! أكذا يكون ختام شاعر ، ونهاية قلب كبير ؟ أكذا يوافى
الموت مثله ؟ أكذا تحم المنية الغادرة ؟

سيرانو : مالى أرى لوبريه متذمرا ؟

لوبريه : (مختنقا بالعبرات) أواه .. يا صديقى الحبيب
سيرانو : (ينهض شارد اللب والنظرات) هاهم أولاء شباب
غسقونيا وفتيانها • المادة الاساسية .. أى والله هنا العقدة ا
لوبريه : يا للعجب .. حتى فى هذيانه لا يكف عن علومه
سيرانو : لقد قال كوبرنيكوس
روكسان : أواه ..

سيرانو : ولكن ماذا بربك كان يريد أن يفعل ؟ ماذا بربك
كان يريد أن يفعل داخل سفينته ؟ .. هذا الفيلسوف والعالم
الطبيعى الشاعر • المبارز • الموسيقار • الرحالة الى الآفاق
العليا • المفحم فى أجوبته وردوده • العاشق أيضا ، وفى العشق
بؤسه .. هنا يرقد هرقل سافينيان دى سيرانو دى برجرارك ،
الذى كان كل شىء والذى لم يكن أى شىء •

ولكنى ذاهب .. معذرة لا أستطيع أن أستبقى أحدا فى
انتظارى ، كما ترون جميعا وتشهدون بأعينكم ، ها هو ذا ضياء
القمر يقترب لياخذنى (يسقط ، فيعيده بكاء روكسان الى
الحقيقة ، ينظر اليها ، ويداعب نقابها)

سيرانو : لا أريد يا روكسان أن تبكى الآخر أقل مما أنت
غدا باكىتى ، ذلك الفتى الجميل الناضر الباهر ، ولكنى أريد
شيئا واحدا حين تغمر جسدى الناحل برودة الموت وهدأته ،
وهو أن تضى على هذا النقاب الاسود معنى مزدوجا ، ليكون
حدادك عليه حدادا على ، ولو قليلا •

روكسان : أقسم لك •

سيرانو (تسرى فيه قشعريرة وينهض هائجا) : كلا • ليس هنا • • كلا فى جوف كرسى أنت موافى ؟

(يمضى مهرولا فيجرون خلفه) دعونى • • لا تلمسونى • •
(يذهب فيستند الى جذع الشجرة) لا سناد لى غير الشجرة •
(سكون) انه (١) فى طريقه نحوى ، أحس كأن حذائى قد استحال
ثقيلا كأنه من المرمر ، وققازى من الحديد (يجهد فى مكانه) آه
• • ولكن مادام داليا نحوى ، فلا تنظره واقفا (يمسك سيفه)
وسيفى فى يدى •

لوبريه : سيرانو • •

روكسان (منهارة) : سيرانو

(يتراجعون مذعورين)

سيرانو : أراه ينظر الى ويحدق ، لينته يجرؤ على النظر الى
أنفى • • القبيح (يشهر السيف) ماذا تقول ، صراع لا نفع منه
أعرف ذلك • ولكن المرء لا يبارز مؤملا فى الانتصار ، وإنما يجالذ
مستينسا مكافحا ، أى ورب ان المبارزة لاجمل وأروع ، حين
تكون بغير نفع ، ولكن من هم الذين أرى قبالتى • • أنتم ألف
أم مائة ؟ آه • • عرفتكم معاشر أعدائى السابقين ، أيها النفاق
أهذا أنت (يضرب بسيفه الفضاء) هاكها اذن هه • • هه • •
هه • • وأنتم من تكونون ؟ معاشر المرائين ، والكاذبين والجبناء ،

(١) معنى الموت

خذوا (يضرب الفضاء) أأبرم صلحا معكم ؟ كلا ، كلا . . .
أعرف أنك في النهاية طارحى الى الارض ، وما أهمية هذا ؟
ولكنى الساعة مجالدك ومجالدك ومجالدك (يضرب الفضاء
بحركات عنيفة ، ثم يقف فجأة من الضرب لاهثا مقطوع
الانفاس) لقد سلبتمونى أيها الاوغاد كل شيء : الغار والورد
خذوهما كذلك ، ان هناك على الرغم من محاولاتكم شيئا واحدا
لن تستطيعوا له سلبا ، شيئا أنا الليلة معى آخذه فى رحلتى الى
الله ، تحيتى لبارئى ، لاكنس به أعتابه المقدسة . . هناك شيء
أنتم أعجز من أن تسلبوه وسأخذه أنا معى على الرغم منكم ،
سليما ناصعا لا شية فيه (يشهر السيف) ذلكم هو . . (يسقط
السيف من يده ، فيترنح ويقع فى أحضان لوبريه وراجينو)
روكسان : (تنحنى عليه وتطبع قبلة على جبينه) وما هو ؟
سيرانو : ذلكم هو . . (فى هذه اللحظة يفتح عينيه فيعرفهما
ويبتسم لهما) . . هو ريش خودتى ا .

« ستار »

الذكر ، حتى صار اسم المسرحية اليوم مقرونا باسمها أكثر من اقترانه باسم مؤلفها .

ومن ثمة ظل الغالب قبل غيره على الأذهان ، هو اقتران اسم « سيرانو دي برجرالك » باسم « ادمون روستان » .

سيرانو في ميزان النقد

ويبقى علينا الآن ، بعد أن مضى زمن غير قليل على انتصار « سيرانو » ذلك الانتصار المجلل الرنان ، أن نتساءل ماذا فعل به الزمان ؟

سبق أن رأينا كيف كان استقبال الصحافة والجمهور للمسرحية منذ حفلاتها الافتتاحية فى ختام القرن التاسع عشر ، وكيف ضجت الدنيا لها ، وهتفت اعجابا بها حتى لنرى ناقدا وقورا عظيما اشتهر بين الشباب المتحمسين أنه من « الدهنيين » ، ونعنى به « اميل فاجيه » قد تغلبت الحماسة عليه بعد أن شهد المسرحية فى ليلتها الافتتاحية ، فاذا هو من نشوة حماسته يهتف كالمفتون فى شيخوخته : « أصبح هذا ؟ » لم ينته الأمر اذن . . لا يزال عندنا معين لأدب شعرى عظيم . انه هذا الأدب ! لقد قام من لحدده . . حسبى أنى عشت حتى رأيت . لقد بدأت أخشى الموت ، انى أشفق على نفسى أن أموت فلا أشهد بقيته . ما ألد الرجاء ! وهذه الخشية ما أذهها كذلك !

هذه الحماسة لم تكن وقفا على « اميل فاجيه » ، بل شارك فيها النقاد أجمعون ، وان كان قد فاقهم فى شدة الانفعال وحدة الفورة

وفرط النشوة • ولم يخرج على الاجماع ويشذ عن القاعدة الا ناقد واحد هو « جيل ليمتر Jules Lemaître » ، فقد طلع على القراء فى « مجلة العالمين » يقول :

وا أسفاه ! ان كل تقرىظ أنا قائله ، مها يبلغ من حرارته وصدق لهجته ، سيدو لا محالة - بعد ما قاله الاستاذ « اميل فاجيه » - شاحبا سقيما فاطر الحرارة ، وقد يحمله مؤلف المسرحية على أنه شتائم ملتوية على أسلوب الكناية والتورية • ولكننا مع ذلك ، سنرسل القول على هدى العقل ، وأمرنا لله •

ان مسرحية « سيرانو » بدعة عجيبة ، ولكنها ليست من خوارق الطبيعة • ونحن حين نقول انها شىء مستحسن مستطاب ، نزيد على ذلك أن هذا الشىء جاء فى حينه ، وان ما أحرزته المسرحية من النجاح الضخم يرجع الى سببين : أحدهما - وهو الأهم - جودتها • والسبب الآخر هو بلا ريب سامة الجمهور - بعد ذلك الشعب والامتلاء والكفظة - من كثرة ما قدمته المسارح اليه من الدراسات النفسية وحكايات الخيانة الزوجية ، والاباحيات الباريزية ، والموضوعات الاجتماعية عن حق المرأة ومشكلات الطبقات وغير ذلك من الدعايات ، سواء كانت هذه المسرحيات الأخيرة مؤلفة أو مترجمة عن الاسكندناوية • وانى أبادر فأكرر القول بأن ملاءمة الفرصة ومناسبة الأوان أمر لا يمكن أن يكون له كل هذا الشأن فى نجاح مسرحية « ادمون رويستان » ، ان لم يكن للمسرحية قيمة نادرة فى ذاتها •

ولكن ، ما هى تلك القيمة ؟